الفصل الثالث

الإتّجاه الصهيوني .. التيار القومي الإمبريالي

المبحث الأول : هيكل الصهيونية .. تعريفها وجذورها

المبحث الثاني : الإتّجاه الصهيوني في القرن التاسع عشر

المبحث الأول : هيكل الصهيونية .. تعريفها وجذورها

توطئة

في الفصل السابق بحثنا الإتجاهات المتنوعة للفكر اليهودي في القرن التاسع عشر ، وتناولنا أبرز الإضافات الفكرية والدينية التي أفرزتها تلك الإتجاهات ، وتأثيرها على تنويع مسارات الفكر اليهودي. بحيث تنوعت تلك المسارات إلى المسار العلماني والتصوفي والإصلاحي والأرثوذكسي والمحافظ.

كل هذه التيارات أثرت في واقع الجماعات اليهودية ، وكل واحد منها تبعته جموع غفيرة من التجمعات اليهودية من جهة ، وعارضته مجموعات أخرى من جهة أخرى. لذلك لا نستطيع أن نرصد نصراً حقيقياً لأي اتجاه من الإتجاهات ، بمعنى تغيير حال الجماعات اليهودية كلها ، والتأثير فيها بحيث تتجه بشكل عام وجماعي نحو تيار محدد.

في هذا الفصل سنحاول أن نسلّط الضوء على اتجاه آخر كان له تأثير كبير على الجماعات اليهودية كلها ، على الرغم من المعارضات التي واجهها ، إلا أنه تمكن في النهاية من الوصول إلى

الهدف المرسوم. وهذا الإتجاه هو التيار الصهيوني . الذي أجهض كل المحاولات التنويرية والإصلاحية ، وقضى على مفهوم التعايش مع الأمم والإندماج في المجتمعات ، وأتى بمشروع سياسي استيطاني احتلالي ، كان قد أكّد على أن الحل الوحيد هو البحث عن وطن قومي . و قد حاز هذا على موافقة وتشجيع كثير من رجال الدين الذين حرصوا على التأكيد بأن فلسطين هي الموقع المطلوب.

قد جاءت الصهيونية لتعيد المنهج التلمودي في التعامل مع المجتمعات البشرية ، وفي معالجة القضية اليهودية. وقد نشأت لتحقق ما يصبو إليه الفكر التلمودي من التسلط والهيمنة على جميع الشعوب والأديان في العالم من خلال تمجيد الشعب اليهودي وتشجيعه على تخريب الأمور واستغلال كل الوسائل الممكنة من أجل الوصول إلى المكانة التي يجب أن تتمتع بها الأمة اليهودية.

أهمية البحث عن الحركة الصهيونية ضمن فصل مستقل تأتي من أهمية الحركة نفسها في معالجتها لما يسمى بـ (القضية اليهودية) ، تلك المعالجة التي كانت على حساب جزء من عالمنا الإسلامي أرضاً و شعباً .

أهمية معرفة هذه الحركة تأتي من أهمية المعركة . بكل أبعادها . التي شغلت بالَ المسلمين منذ زمن ، والتي تحتل الصهيونية فيها موقع (الطرف المقابل) ، تلك المعركة التي تجري أحداثها منذ أكثر من نصف قرن في قلب العالم الإسلامي (فلسطين) ! . وتأتي أيضا من حجم المساحة التي تشغلها تلك الحركة منذ زمن في المعادلات السياسية والفكرية والدينية الاستراتيجية في العالم العربي والإسلامي برمته.

نحن في هذا الفصل سندرس الصهيونية من خلال أفكارها ، أي نتناول الفكر الصهيوني من ناحية جذوره الدينية ، وأهدافه ، واستراتيجياته الفكرية والسياسية للتعامل مع المسألة اليهودية (أي حال الجماعات اليهودية المنتشرة في بقاع العالم المختلفة) ومع غير اليهود (بكل ما تعنيه الكلمة ، أي الديانات والشعوب غير اليهودية) .

وهذا يعني أننا لا ندخل في بحث الصهيونية في الممارسة ، إلا للإستشهاد (أي إيجاد الشواهد العملية على الفكر الصهيوني) ، وذلك لأن مدة دراستنا المحددة التي هي القرن التاسع عشر لا تسمح لنا بالتوغل في تفاصيل الصهيونية في الممارسة . حيث أُسِست الصهيونية كحركة في أواخر القرن التاسع عشر ، وبالتالي تأتي الممارسات فيما بعد هذا القرن .

ولكن قبل تأسيس الحركة الصهيونية كانت الصهيونية مطروحة كنظرية ، أي كان هناك مفكرون عديدون طرحوا فكرة الصهيونية وجعلوا لها قواعد وأسساً فكرية ، وقبلهم وتحديداً في النصوص الدينية والأدبيات اليهودية الأخرى كانت الأفكار الصهيونية موجودة بقوة .

وبالنسبة لأواخر القرن التاسع عشر ، فإن الحركة الصهيونية قد تأسست بعد إجماع المفكرين الصهاينة واتفاقهم على الصيغة النهائية للحركة وأهدافها واستراتيجياتها . أي قد تم تحديد أدبيات واستراتيجيات الحركة قبل تأسيسها ، وليس المؤتمر المنعقد في مدينة (بازل) بسويسرا عام (1897) إلا إعلانا للتأسيس والاتفاق على تلك الأدبيات والاستراتيجيات التي نحن في هذه الدراسة نسلط الضوء عليها. والإستراتيجيات هي هي حتى الآن (ونحن نعيش في القرن الحادي والعشرين والدولة الصهيونية موجودة في فلسطين المحتلة) ، لكن التكتيكات والوسائل تتغير حسب الظروف والأحوال.

المطلب الأول

التعريف والجذور الدينية

أولاً : تعريف المصطلح

في أواخر القرن التاسع عشر حدث في واقع الجماعات اليهودية في الغرب عموماً حدث مهم ، أتى بتغيير كبير في حياة تلك الجماعات ، وحياة المجتمعات الغربية أيضاً ، بالإضافة إلى إحداث التغيير في مسيرة القوى الإمبريالية (الإستعمارية ، التي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر بتمتين مكانتها وهيمنتها على العالم الشرقي . الإسلامي على وجه الخصوص .).

هذا الحدث هو الإعلان عن تأسيس (الحركة الصهيونية) أو (المنظمة الصهيونية العالمية) في المؤتمر الصهيوني الأول عام (1897م) ، الذي عقد في مدينة (بازل) بسويسرا ، بقيادة الصحافي النمساوي (تيودور هرتزل) ، الذي أصبح قائد الصهيونية الأول ، ويرمز إليه بأنه أبو الصهيونية[1].

(1)لمعرفة كيفية انعقاد هذا المؤتمر وقراراته وتأسيس الحركة الصهيونية ، أنظر ص (303 . 308) من هذه الدراسة.

بتأسيس الحركة الصهيونية التي اتجهت اتجاهاً سياسياً عنصرياً استيطانياً استعمارياً ، سقط جميع المفاهيم الفكرية والاجتماعية السابقة للتيارات الإصلاحية والإندماجية اليهودية ، التي حاولت أن تعالج معضلتين كبيرتين في حياة الجماعات اليهودية ، وهما:

الشتات : أي تشتت الجماعات اليهودية في بقاع العالم المختلفة . أي معالجة مفهوم الشتات الذي كان سبباً رئيساً في إحساس اليهودي بالغربة والظلم والبعد عن وطنه الأم (أي فلسطين ، حسب تعاليم النصوص اليهودية والحاخامات) .

والمعضلة الثانية هي : **الطبيعة الإنعزالية** وحياة الجماعات اليهودية في الغيتوات ، التي كانت سبباً رئيسياً لتخلف الجماعات اليهودية من الناحية الفكرية والدينية ، وكانت دافعاً أساسياً لمعاداة العالم المسيحي والمجتمعات الأوروبية لتلك الجماعات ، خاصة إذا تعمقنا النظر في المخلفات التي أحدثتها الحياة في الغيتو [1] .

فالصهيونية وجهت ضربة قاصمة للإتجاهات الفكرية التي أرادت أن تفسر حالة الشتات تفسيراً إيجابياً يؤكد على أن اليهود إنما شُتتوا في أطراف الأرض ليحققوا رسالتهم بين البشر ، وأن النفي وسيلة لتقريبهم من الآخرين ومخالطتهم بالشعوب والأمم جميعا ، وليس لعزلهم عنهم ، والبشرية ليست مسؤولة عن شتات اليهود لذلك يجب أن لا يلقى اللوم على الشعوب الإنسانية.

وأن اليهودية رسالة للبشر عموماً ، ولا تُحفَظ هذه الرسالة (أو الهوية التقليدية اليهودية) بعزلة الجماعات اليهودية عن الآخرين ، بل تُحفَظ بنشر أدبيات هذه الرسالة بين الشعوب والأمم كالديانات السماوية الأخرى.

إن الصهيونية الحديثة التي نشأت في أواخر القرن التاسع عشر وضعت حلاً قومياً سياسياً استعماريا لمسألة (الشتات) التي كانت جوهر المسألة اليهودية في جميع العصور . ومن خلال هذا المفهوم استطاعت الحركات اليهودية المتلاحقة أن تُبقي حب (الوطن الأم) أو (أرض الأجداد) حيةً في نفوس و ذاكرة الأجيال المتعاقبة للجماعات اليهودية في مختلف أنحاء العالم ..

فحِلُّ الحركة الصهيونية كان تأسيسَ الدولة القومية السياسية لليهود في فلسطين ، وذلك بتهجير اليهودِ في كل أنحاء العالم إلى قلب العالم الإسلامي (فلسطين) ، وإجلاء السكان الأصليين من وطنهم ، كما حدث للكنعانيين الذين أخذ منهم الوطن من قبل العبرانيين.. وبذلك يتحقق الحلم اليهودي المعلن في

---

(1)راجع إن شئت ص (85 . 93) من هذه الدراسة.

النصوص اليهودية منذ قرون سحيقة ، وتحل المشكلة اليهودية ، ويزرع معسكر غربي يحمي تطلعات الغربيين الاستعمارية والاقتصادية والاستراتيجية والسياسية.

هذا هو ما حدث في أواخر القرن التاسع عشر ، أي أواخر المدة المطروحة للتحليل في هذه الدراسة ، وبذلك ننتهي من تناول حركات واتجاهات يهودية أخرى ، ونختم البحث بدراسة الصهيونية. ونفعل ذلك من خلال دراسة تاريخ النظرية الصهيونية واستراتيجياتها ، وزعماءها ، وجذورها الدينية ، ودراسة الحركة الصهيونية ، تأسيسها ، وأهدافها المعلنة وغير المعلنة ، وذلك بالبحث عن الأفكار المتراكمة التي أدت في نهاية القرن التاسع عشر إلى تأسيس الحركة الصهيونية ، وعن أفكار زعيم الحركة الصهيونية (هرتزل) ومحاولاته لتحقيق أهداف الحركة..

وقبل كل شيء علينا تحديد مفهوم مصطلح (صهيوني) و(الصهيونية)..

اختلفت الآراء و الإتجاهات في تفسير كلمة الصهيونية : فيقال إن الصهيونية تنسب إلى (جبل صهيون) في جنوب (بيت المقدس) الذي جاء ذكره في عدة مواضع من العهد القديم ، أي أن اسم الحركة الصهيونية اشتق من كلمة (صهيون)[1].

وكلمة (صهيون) لم يجد لها الباحثون أصلاً متفقاً عليه في اللغة العبرية ، وأكثر الشراح يرجحون أنها عربية الأصل لها نظير في اللغة الحبشية وأنها من مادة (الصون والتحصين) وكانت فعلا من حصون الروابي العالية. وكلمة صهيون تكتب في اللغة العبرية مرة بحرف السين ومرة أخرى بحرف الزاي [2] .

وفي دراسات أخرى أن كلمة صهيون (Zion) تدل على قلعة القدس أو المدينة التي حطمها (داود) ، كما تستعمل اسماً للقدس والمعبد جبل صهيون المقدس ، ثم أطلقت على جميع الأراضي المقدسة ابنة صهيون. وبعد ذلك أصبحت رمزاً لماضي اليهود ومستقبلهم المرتبط بذكريات مضت عليها آلاف السنين[3].

(1)أنظر شلبي ، مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 135 ، و موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج2 ، ب3 ، مدخل (صهيون) ، و الأبياري ، فتحي : الصهيونية ، سلسلة كتابك رقم (13) ، دار المعارف ، القاهرة ، ص6 ، و الطيار ، د. خليل إبراهيم: التخطيط الصهيوني ، من اللاهوتية إلى الصهيونية (نظرية وتطبيق) ، في (مستقبل الحركة الصهيونية والمشروع الحضاري العربي) مجموعة باحثين ، المرجع السابق ، ص43.

(2)أنظر الابياري ، المرجع نفسه ، ص6-7.

(3)أنظر الابياري ، المرجع نفسه ، ص7-9.

"يرجع (الفرد ليلينتال) السياسي والدبلوماسي أمريكي الجنسية ويهودي المعتقد فكرة الصهيونية ، إلى شاعر يهودي مجهول كتب المزمور السابع والثلاثين بعد أن قوض الآشوريون بنيان (مملكة إسرائيل) الشمالية عام (712ق.م) ودمر الرومان الولاية اليهودية عام (70 بعد الميلاد). وطبقا لليلينتال ، فإن كلمات هذا المزمور تقول : (على أنهار بابل هناك جلسنا ، بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون.. على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا...لأنه هناك ، سألنا الذين سبونا ، كلام ترنيمة ، وسألنا معذبونا فرحين قائلين: رنموا لنا من ترنيمات صهيون.. كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة ؟ إن نسيتك يا أورشليم تنسيني يميني...) ، ويرى ليلينتال ، أن من هذه الكلمات نبتت بذرة (فكرة الصهيونية الوطنية) [1]. "

وتقول موسوعة اليهود واليهودية " : [2] تشير كلمة (صهيون) في التراث الديني اليهودي إلى جبل صهيون والقدس ، بل إلى الأرض المقدسة ككل ، ويشير اليهود إلى أنفسهم باعتبارهم (بني صهيون) ، كما تستخدم الكلمة للإشارة إلى اليهود كجماعة دينية. والواقع أن العودة إلى صهيون فكرة محورية في النسق الديني اليهودي ، إذ أن أتباع هذه العقيدة يؤمنون بأن الماشيح المخلص سيأتي في آخر الأيام ليقود شعبه إلى صهيون (الأرض . العاصمة) ويحكم العالم فيسود العدل والرخاء. "

فلكلمة (صهيون) دلالاتٌ دينية عند الجماعات اليهودية عبر التأريخ ، وهذه الدلالات قد جاءت من إشارات كثيرة في النصوص الدينية إلى صهيون ، وترسخ هذه الإشارات ارتباط اليهودي الوجداني بفلسطين باعتبارها الأرض التي وعد الله أن يعطيها لشعبه المختار.

تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [3] ولكلمة (صهيون) إيحاءات شعرية دينية في الوجدان الديني اليهودي ، فقد جاء في المزمور رقم (137/1) على لسان جماعة إسرائيل بعد تهجيرهم إلى بابل: (جلسنا على ضفاف أنهار بابل وذرفنا الدمع حينما تذكرنا صهيون). وقد وردت إشارات شتى في الكتاب المقدس إلى هذا الارتباط بصهيون الذي يطلق عليه عادة (حب صهيون) ، وهو حب يعبر عن نفسه من خلال الصلاة والتجارب والطقوس الدينية المختلفة ، وفي أحيان نادرة على شكل الذهاب إلى فلسطين للعيش فيها بغرض التعبد. "

---

(1)الطيار ، د. خليل إبراهيم ، في (مستقبل الحركة الصهيونية ..)، المرجع السابق ، ص43 ، مستشهدا بـ(الفريد ليلينتال): (ثمن إسرائيل) ، ترجمة حبيب نمولي وياسر هواري ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت (1981) ، ص ص9 ، 100.

(2)م6 ، ج1 ، ب1 ، مدخل (الصهيونية: تأريخ المفهوم والمصطلح. (

(3)المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

إذن كلمة (صهيون) في الوجدان اليهودي تشير إلى فلسطين (الأرض الموعودة) . وتأخذ هذه الكلمة قدسيتها وأهميتها لدى الجماعات اليهودية . التي تشتتت في مناطق العالم المختلفة بعد تدمير المعبد النهائي في عام (70 بعد الميلاد) على يد الملك الروماني (تيتوس) . من تقديس النصوص لها ، وتأكيد الفكر الديني (ممَثَلاً من قِبَل الحاخامات أو الأدبيات اليهودية الفكرية عموماً) عليها ، وترسيخه دلالاتها الروحية والدينية والسياسية في وجدان أعضاء الجماعات اليهودية عبر التأريخ.

فكلمة (الصهيونية) (Zionism) قد جاء اشتقاقها من كلمة (صهيون) أي صيغت كلمة (Zionism) من كلمة ، (Zion) لتدل على الحركة الدينية والسياسية التي تحاول تحقيق (أو تحلم بتحقيق) أمل الجماعات اليهودية المتشتتة في دول العالم في العودة إلى الأرض التي لها معاني دينية . أي تقديس النصوص الدينية لها ووعد إله اليهود بإعطائها لشعبه حسب زعم التوراة . ، و تأريخية . على أساس
أن أجداد اليهود القدماء قد عاشوا في هذه الأرض منذ زمن وفيها شكلوا دولتهم ..

وكلما تستخدم عبارة (الصهيونية) فإن المراد بها هو الاتجاه الذي له ارتباط روحي وديني بتلك النزعة التي تهدف إلى تحقيق العودة.

و هناك رأي يذهب إلى أن الصهيونية نسبة إلى صهيون الذي قاد البابليين في المنفى تحت سور بابل لكي يعيدوا بناء المعبد، وهم الذين أشعلوا نيران الثورة التي قام بها المنكابيون ضد (أنطونوس ايفانس) .[1]

ولكلمة (الصهيونية) جذور تأريخية ، وهناك ثورات وحركات في تأريخ الجماعات اليهودية ارتبطت بمفهوم الصهيونية وأهدافها (وسنتناول هذا الموضوع بالتفصيل في فقرة خاصة باسم " الجذور التأريخية ").

وقد مرت المفاهيم الصهيونية ونزعاتها بمراحل تأريخية مختلفة ، ما جعلها متشعبة الشكل والآليات . فمثلا ظهرت تيارات صهيونية مختلفة مثل التيار المتدين أو الملحد أو السياسي أو العلماني أو الأثني...الخ . إلا أن الصهيونية في كل مراحلها التأريخية وبكل تياراتها المختلفة تتجه فلسفتها صوب تحقيق حلم (العودة) أي عودة يهود الشتات إلى صهيون (فلسطين) ، وتشير كلمة (الصهيونية) إلى القيم الروحية والقوى التأريخية التي شكلت الشعور بالقومية اليهودية. ولا تعني العودة إلى جبل صهيون قيام وطن سياسي لليهود فقط ، بل تهدف إلى البعث الروحي للجماعات اليهودية بأسرها واستعادتها الأرض ذات الأصل الديني والبعد التاريخي.

---

(1)أنظر الأبياري : الصهيونية ، المرجع السابق ، ص7–8 ، ولمعرفة ثورة المكابيين ، أنظر ص (231 . 232) من هذه الدراسة.

إن الصهيونية كمفهومٍ و نزعةٍ قديمةٌ قدم النصوص الدينية ، وبيّنا في السابق أن العلماء قد أجمعوا على أن النصوص اليهودية قد كتبت أثناء وبعد السبي البابلي ، [1]أي إن الحنين للوطن (أي صهيون) المكتوب في تلك النصوص قد بدأ بعد تهجير اليهود من فلسطين إلى بابل (المنفى الأول) ، وقد تزايدت وتيرة الإحساس بالغربة والنفي بعد الإجلاء الأكبر الذي أتى على يد الرومانيين في (70 بعد الميلاد) ، وهذا يدل على ولادة النزعة الصهيونية . التي هي العودة إلى أرض الوطن . بعد نفي اليهود وإحساسهم بالحنين إلى الوطن . (مع أن هذا الوطن قد احتله اليهود القدامى ، الذين كانوا يبحثون عن مكان يمارسون معتقداتهم وحياتهم الخاصة فيه).

صحيح أن تمجيد بني إسرائيل وتفضيلهم علىالعالمين كان موجوداً في النص التوراتي الأصلي والديانة اليهودية بدليل وجود هذا الشيء (منطوقاً ومفهوماً) في القرآن الكريم . [2]
إلا أننا نتحدث عن الإحساس بالغربة والحلم بالعودة إلى الوطن الذي بدأ بالتهجير البابلي وتصعد بالشتات اليهودي العالمي ..[3]هذا بالنسبة للمفاهيم والنزعات الصهيونية.

---

(1)راجع ص (40) من هذه الدراسة.

(2)أنظر سورة الجاثية : الآية 16 .

(3)إن إحساس الجماعات اليهودية المطرودة من فلسطين بالغربة كان بسبب أنهم فقدوا أرضا ولدوا فيها حقيقة ، وقد تكون في نفوسهم حب صارم لتلك الأرض وهذا حال جميع المجتمعات الإنسانية ، فهم قد كانوا ترعرعوا في تلك الأرض التي احتلها سابقوهم من أجدادهم. حالهم مثل حال الجيل المسمّى بـ (الصباريم)في إسرائيل اليوم الذين ولدوا وترعرعوا في فلسطين المحتلة.

أما كلمة (الصهيونية) فقد نحتها المفكر اليهودي النمساوي (نيثان بيرنباوم) [1]في أبريل (1890) من كلمة (صهيون) لتدل على الحركة الهادفة إلى تجميع (الشعب اليهودي) في أرض فلسطين. وفعل ذلك في مجلة (الانعتاق الذاتي) ..[2]وبعد هذه الصياغة قام الصهيونيون الجدد في أواخر القرن التاسع عشر بقيادة (تيودور هرتزل) بتشكيل حركة صهيونية سياسية حولت المعتقد الديني الصهيوني إلى برنامج سياسي ، كما حولوا الشعارات والرموز الدينية إلى شعارات ورموز دنيوية سياسية .[3]أي قد ألغت الحركة الصهيونية الفكر الصهيوني الغيبي الذي يقول بأن العودة إلى فلسطين ستتم بأمر الله مباشرة وعلى يد الماشيح (المسيح) المخلص الذي يقود الشعب اليهودي إلى فلسطين ومنها يقود العالم بأكمله بسلطته الروحية.

(**1**)نيثان بيرنباوم ، (1864–1937) :كاتب سياسي نمساوي يهودي. وُلد في فيينا لعائلة حسيدية... واشترك في تأسيس منظمة شبابية هي منظمة قديما (1882). وفي عام 1884، صدر أول أعداد مجلته الانعتاق الذاتي (سميت باسم كراسة بنسكر)، وكان هو ناشر المجلة ومحررها وطابعها. وقد بلور بيرنباوم الفكرة الصهيونية قبل ظهور هرتزل ونشر كتاباً عن المسألة اليهودية عام 1893 بعنوان البعث القومي للشعب اليهودي في أرضه كوسيلة لحل المسألة اليهودية... ولبيرنباوم عدة مؤلفات من أهمها الاعترافات (1917)، كما نشرابنه سولومون بيرنباوم مختارات من كتاباته بالإنجليزية بعنوان الجسر (1956) . / موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج4 ، ب4 ، مدخل (نيثان بيرنباوم) 1864–1937 ().

(2)أنظر الموسوعة الفلسطينية ، القسم العام ، ج3 ، هيئة الموسوعة الفلسطينية ، دمشق ، 1984 ، ص64 ، وانظر موسوعة اليهود واليهودية ، المرجع السابق ، مدخل (الصهيونية: تاريخ المفهوم والمصطلح) ، المرجع السابق .

(3)أنظر الموسوعة الفلسطينية ، المرجع نفسه ، ج3 ، ص64.

وقد أحلت الصهيونية الهرتزلية فكرة تهجير الجماعات اليهودية المنتشرة في العالم إلى فلسطين (أي فكرة الاستيطان) وتأسيس الدولة السياسية في تلك الديار المقدّسة . مغتنمة الفرصةَ الذهبيةَ التي ولدت من رحم المناخ الدولي الجديد في أواخر القرن التاسع عشر ، حيث كانت القوى الإمبريالية الغربية في أوج قدرتها وسلطتها وكانت الخلافة الإسلامية العثمانية تحتظر . محلَ ذلك الفكر الصهيوني الغيبي الخرافي ..

وبسبب ذلك تعرضت تلك الحركة لانتقادات ومعارضة تيارات دينية يهودية صهيونية ، أي التي تعتقد بفكرة الصهيونية من حيث المبدأ والمعتقد ، ولكن ترى أن تطبيق تلك الفكرة محصور في مشيئة الله (إله اليهود) ، وهو سيفعل ذلك من خلال رسوله المخلص للشعب اليهودي (الماشيح) .

وهذا هو الفرق بين الصهيونية الدينية . التي يمثلها جميع التيارات التي تتسم بالنزعة الدينية الأرثوذكسية المشيحانية . والصهيونية السياسية . (وهذا سنبينه بالتفصيل فيما بعد).

وبجملة واحدة نستطيع أن نضع إطاراً عاماً يضم كل النزعات الصهيونية في مختلف التيارات الصهيونية ، وهي:

ظلت المقولة الأساسية التي يستند إليها كل من التيارات الصهيونية هي مقولة (الشعب اليهودي) ، أي الإيمان بأن الأقليات اليهودية في العالم لا تشكل أقليات دينية ذات انتماءات عرقية وقومية مختلفة ، إنما تشكل أمة متكاملة توجد في الشتات أو المنفى بعيدة عن وطنها الحقيقي: (أرض الميعاد أو صهيون ، أي فلسطين) .. [1]وهذا الإيمان نابع عن أصل ديني وروحي (وجداني).

هذا هو المبدأ الأساسي الذي يمكن أن يكون السند الذي يتفق عليه كل التيارات والحركات والنزعات الصهيونية قديماً وحديثاً ، وعليه يمكن أن نعرف أي اتجاه صهيوني ، سواء النزعات الصهيونية القديمة (في النصوص الدينية وعند الجماعات اليهودية في العالم عبر التأريخ) أو الحركة الصهيونية التي تأسست في أواخر القرن التاسع عشر .

وبذلك نتحاشى المغالطات التفسيرية حول فكرة (الصهيونية) ، التي وقعت فيها المعاجم العربية عند تفسير الفكرة أو النظرية . حيث تحاول تلك المعاجم أن تضع الصهيونية في زاوية الحركات الرامية إلى عودة اليهود إلى فلسطين ، وبذلك تشير إلى الأمل الصهيوني وليس إلى البنية والمعتقد التي تقوم عليها النظرية الصهيونية .

وقد نبه إلى ذلك المفكر (عبدالوهاب المسيري) ، وأشار إليه في موسوعته بقوله " : [2] التعريفات الشائعة في المعاجم الغربية تشير إلى (الأمل الصهيوني) وليس إلى الظاهرة الصهيونية ، على سبيل المثال بأنها (الحركة الرامية إلى عودة اليهود إلى وطن أجدادهم (إرتس يسرائيل) حسبما جاء في الوعد الإلهي والآمال المشيحانية لليهود!) . "

(1)المرجع نفسه ، ج3 ، ص64.

(2)موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج1 ، ب1 ، مدخل (الصهيونية: إشكالية التعريف. (

وأضفنا جملةً إلى التعريف وهي : " هذا الإيمان نابع عن أصل ديني وروحي (وجداني) " وذلك بقصد إبعاد الغربيين (الزعماء أو المفكرين أو الحكومات أو الهيئات) عن اشتمالهم لتعريف الصهيونية . حيث هناك عرف سائد عند عدد من الباحثين ، وهو أنهم يدرجون كل من آمن بالرواية التوراتية التأريخية لفلسطين أو الملكية اليهودية التأريخية لفلسطين ، أو كل من يحاول تحقيق عودة اليهود إلى فلسطين من الغربيين غير اليهود ، ضمن إطار الصهيونية. وهم يسمون هؤلاء الغربيين الداعمين للمشروع الصهيوني بـ (صهيونية الأغيار). فإننا نرى أن الصهيوني هو الذي يؤمن بعقيدة الشعب والأرض ، ويرتبط بها ارتباطاً دينياً و وجدانياً ويحاول تحقيق العودة إلى الأرض. وهذا يُخرِج الذين دعموا المشروع الصهيوني أو حاولوا إعادة اليهود إلى فلسطين لأسباب ذاتية ، من الإطار الذي يضم الصهيوني ويميزه عن الآخرين ..

ما بيّناه في السابق كان تمهيداً ضرورياً ، وتعريفاً عاماً باعتقادي يشمل كلَ النزعات والمفاهيم الصهيونية ، والتيارات أو الحركات الصهيونية قديماً وحديثاً. وعليه يمكن أن نفهم فلسفة الصهيونية ، مع اختلاف تياراتها وزعماءها أو مروجيها عبر التأريخ في بعض المسائل الزمكانية (الزمانية والمكانية) أو التخطيطية أو التطبيقية.

لكن النزعة أو الفكرة الصهيونية مرّت بأطوار ومراحل تأريخية ، وفي كل مرحلة تأريخية نرى أنها لها خصوصيات وطوابع تأخذها من تطورات الأوضاع حسب كل مرحلة زمنية ، خاصة التطورات التي تتعلق بحال الجماعات اليهودية المنتشرة في مناطق العالم المختلفة .

لكن القاسم المشترك بين كل النزعات أو الحركات الصهيونية أو الزعماء الصهاينة ، هو المبدأ الذي أشرنا إليه ، والذي يجمع كل مراحل ونزعات وحركات الظاهرة الصهيونية في بوتقة فكرية إعتقادية واحدة ، مع الإختلاف في الوسائل والتخطيطات والتطبيقات.

من هنا نبدأ بالخوض في دراسة الجذور الدينية والتأريخية للنظرية الصهيونية ، التي عليها تقوم النظرية الصهيونية السياسية الحديثة التي أدت إلى نشوء الحركة الصهيونية العالمية في أواخر القرن التاسع عشر ، والتي نريد أن ندرسها كآخر اتجاه فكري سياسي للفكر اليهودي بصورة عامة في القرن التاسع عشر.

ثانياً : الجذور الدينية

نقصد بالجذور الدينية للنظرية الصهيونية ما هو موجود في المصدرين الأساسيين للديانة اليهودية (التوراة والتلمود) من إشارات إلى المواد التي يقوم عليها مبدأ الصهيونية.

وقد أشرنا في السابق إلى المواد التي تشكل مبدأ النظرية الصهيونية، وهي الشعب والأرض الموعودة .

إن النصوص اليهودية مليئة بالحوافز الأساسية والنبوية للفكر الصهيوني ، حيث من خلال ترسيخ عقيدة الشعب المختار والأرض ، تؤسس الركائز الدينية الأساسية لفكرة الصهيونية.

نحن هنا نحاول أن نورد بعضاً من الإشارات في النصوص الدينية اليهودية التي كانت أساس وبداية فكرة الصهيونية ، وسنتكلم عنها بإيجاز شديد . والنصوص التي نوردها هي نماذج للأفكار الصهيونية التي تشغل مساحة كبيرة في النصوص التوراتية والتلمودية. وإذا أردنا عرض جميع النصوص التي تشكل الأساس الديني للنظرية الصهيونية ، فإننا نحتاج إلى مجلدات للإيفاء بالغرض.

لذلك سنكتفي بإيراد بعض النماذج من هذه النصوص ، لتوضيح قصدنا من عبارة (الجذور الدينية) للنظرية الصهيونية.

. 1*عقيدة (الشعب المختار)*

" مصطلح (الشعب المختار) ترجمة للعبارة العبرية (هاعم هنفحار) ، ويوجد معنى الاختيار في عبارة أخرى مثل: (أتابحرتانو) والتي تعني (اخترتنا أنت) ، و(عم سيجولاه) أو (عم نيحلاه) أي (شعب الإرث) أي (الشعب الكنز). وإيمان بعض اليهود بأنهم شعب مختار مقولة أساسية في النسق الديني اليهودي [(1)] . "

وهناك عبارة أخرى تفيد نفس المعنى والمراد ، وهي (الشعب المقدس) ، وهي " ترجمة للعبارة العبرية (عم قادوش) . وهي عبارة يطلقها كثير من اليهود ، وخصوصا اليهود الأرثوذكس على الشعب اليهودي باعتبار أنه شعب مختار له رسالة متميزة وسمات خاصة تميزه وتفصله عن الشعوب الأخرى. بل إن الفكرة تأخذ شكلاً متطرفاً أحياناً ، فقد أتى في أحد كتب المدراش أن الشعب اليهودي والتوراة كانا كلاهما في عقل الإله قبل الخلق ، أي مثل القرآن في الإسلام والمسيح في المسيحية. و(يسرائيل) الشعب و(يسرائيل) (التوراة) متعادلان ، لأن يسرائيل وحدها هي التي ستحقق التوراة وتنفذ تعاليمها. فالعالم بدون هذا الشعب ، شعب التوراة ، لا قيمة له ، أي أن الشعب المقدس هو الركيزة النهائية للكون بأسره . وقد أصبح اليهود شعباً مقدساً بسبب الحلول الإلهي فيهم وتقبلهم عبء الأوامر والنواهي ، فحياة اليهودي لابد

---

(1)المرجع نفسه ، م5 ، ج2، ب2، مدخل (الشعب المختار. (

أن يتم تنظيمها بحيث يقلد اليهودي سمات الإله فتصبح حياته مقدسة . وانطلاقا من هذا ، تصبح القومية اليهودية نفسها قومية مقدسة.(1) "

فعقيدة (الشعب المقدس والمختار) هي الركيزة الدينية الجوهرية التأسيسية للقومية اليهودية . وهذه القومية هي التفسير الصحيح للنزعة الصهيونية بشكليها الديني والسياسي.

وقد كانت النصوص الدينية منبع فكرة اختيار وقداسة الشعب اليهودي ، حيث من خلال هذه النصوص اعتقد اليهودي بخرافة قدسية قوميته أو شعبه ، وبأن (شعبه) يمثل الإرادة الإلهية في الأرض ، بل ويتحد الإله بهذا الشعب ليكونا مركباً مقدساً. (وقد بحثنا عن هذا في المباحث السابقة للدراسة) ، (2) وهذا الأمر قد تم في التراث القبالي ، حيث "عمقت القبالاه هذا التيار وجعلت الشعب المقدس شريكاً للإله في عملية إصلاح الكون (تيقون).(3) "

جاء في التوراة " لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم الذي اختاركم له من بين جميع الشعوب التي على وجه الأرض .(4) " وجاء أيضا " فأنتم شعب مقدس للرب إلهكم الذي اختاركم له من بين جميع الشعوب التي على وجه الأرض . (5) " أو " أنا الرب إلهكم الذي اتخذكم بدل سواكم من الشعوب .(6) " وفي نفس السفر جاء أيضا " وكونوا لي قديسين ، لأني أنا الرب قدوس ، اتخذتكم بدل سواكم من الشعوب لتكونوا لي . (7) " وأسفار أخرى كثيرة (تنطق بلفظ الشعب أو ترمز إليه) ، لا مجال لبسطها هنا.

إن الفكر الصهيوني قد استمد الدعم المعنوي من فكرة استعلاء الشعب اليهودي وتفوقهم على سائر الشعوب. وحين يستخدم الفكر الصهيوني هذه الفكرة التوراتية فإنه لا يعني بها فقط الدلالات القومية والسياسية ، بل يعني أيضا الدلالات الدينية والروحية التي تركز على حتمية تفوق الشعب اليهودي على جميع الشعوب ، وتسخير تلك الشعوب لخدمة هذا الشعب الإلهي الذي يستمد قدسيته من حلول الله فيه. وكما ملئت النصوص التوراتية بالعبارات والمفاهيم التي تؤكد قدسية واختيار الشعب اليهودي ، فإن الأدب التلمودي أيضا مليء بها. بل يكون الاهتمام بهذا الجانب إحدى الركائز التي تقوم عليها تعاليم التلمود . وهو يعد أهم مصدر للفكر الصهيوني الذي كان يدعو إلى استخدام جميع السبل والوسائل لتحقيق عودة اليهود إلى أرض الأجداد (أرض صهيون . فلسطين) ، اعتماداً على أن اليهود يكوّنون شعباً بلا أرض ، والأجدر به أن يعاد إلى الأرض التي وعد الله آباء وأجداد اليهود أن يعطيها لهم ، إعطاء السيد لشعبه وقومه.

---

(1)المرجع نفسه ، م5 ، ج2، ب2، مدخل (الشعب المقدس. (

(2)راجع ص (59 . 60 ، 68 . 70 ، 77) من هذه الدراسة.

(3)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (الشعب المختار) ، المرجع السابق .

(4)التثنية 2:14

(5)التثنية 6:7

(6)اللاويين 24:20

(7)اللاويين 26:20

"جاء في التلمود أن جماعة يسرائيل يشبهون بحبة الزيتون لأن الزيتون لا يمكن خلطه مع المواد الأخرى ، وكذلك أعضاء جماعة يسرائيل يستحيل اختلاطهم مع الشعوب الأخرى . [1] " وجاء أيضاً :

"المخلوقات نوعان ، علوي وسفلي ، العالم يسكنه سبعون شعبا بسبعين لغة ، إسرائيل صفوة المخلوقات ، واختاره الله لكي تكون له السيادة العليا على بني البشر جميعا ، سيادة الإنسان على الحيوان المدجن .[2] " وجاء : " إن نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءا من الله فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه.[3] "

أو " يعلمنا التلمود أنه لولا اليهود لامتنعت البركة من الأرض ، وانقطع المطر وحجبت الشمس ، لذلك لا تستطيع شعوب الأرض الحياة بدون الإسرائيليين [4] " أو " إن المفاضلة موجودة بين جميع الأشياء فكما أن الإنسان يعلو البهيمة كذلك اليهود هم أرفع من شعوب الأرض .[5] "...

هكذا يعلّم المصدران الدينيان (التوراة والتلمود) اليهود بأن يتحلّوا بطبيعة الإستكبار ، ويفتخروا بتفوقهم على باقي الأمم و الشعوب ، " وربما كان أبرز عبارتين في التوراة والتلمود ، تشكلان الوضع اليهودي... هما قول التوراة : (وكلم الرب الإله إسرائيل قائلاً : سأنزل يا إسرائيل ، وأضع السيف في يدك ، وأقطع رقاب الأمم وأستذلها لك) . وقول التلمود : (الأمميون هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار ، و كلما نفق منهم حمار ركبنا حماراً آخر) . هذا هو التوجيه ، وهذه هي أزمة البشرية مع اليهود . [6] "

إذن إن عقيدة (الشعب المختار) التي تكوّن أهم وأكبر فقرة تقوم عليها الديانة اليهودية ، هي المسوغ والمصدر الأساسي للقومية اليهودية التي سلبت من هذه الديانة جميع سمات الديانة ، لتجعلها نسقاً قومياً وسياسياً ، خاصة في القرن التاسع عشر .

وبسبب ما تعرضت له الجماعات اليهودية في العالم الغربي من اضطهادات و طرد و تشريد لتعلقها الشديد بمفهوم الشعب المختار (أي بالقومية اليهودية) ، ناهضت تيارات وحركات يهودية مستنيرة (مثل حركة التنوير والإصلاح) ضد هذه العقيدة القومية الخرافية ، وطالبت بالتخلي عنها كلياً .

وقد استطاعت الصهيونية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر أن تعطي معنى سياسياً وحركياً لعقيدة (الشعب المختار) ، أي قد أخرجتها من مجرد عقيدة قومية إلى عقيدة سياسية وأداة حركية في نفس الوقت ، حيث " بما أن شعب إسرائيل هو شعب البشرية وشعب الرب ، فهو يمثل شيئاً فريداً متميزاً في

---

(1)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (الشعب المختار) ، المرجع السابق .

(2)نقلا عن نويهض ، عجاج : بروتوكولات حكماء صهيون ، المرجع السابق، ج2 ، ص171.

(3)نقلا عن المرجع نفسه ، ج2 ، ص186.

(4)نقلا عن المرجع نفسه ، ج2 ، ص191.

(5)نقلا عن المرجع نفسه ، ج2 ، ص191. للمزيد حول التعاليم التلمودية الأخرى ، أنظرهذا الكتاب ، ص171-196.

(6)قطب ، محمد : رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، المرجع السابق ، ص 66 .

عائلة الشعوب . على أساس هذه الأفكار الرجعية اللامعقولة لليهودية والصهيونية يستخلص القادة الإسرائيليون الحجج والبراهين على دعاوى التوسع و اغتصاب الأرض . [1] "

والنصوص الدينية جنبا إلى جنب ترسخ تلك العقيدة وتبقيها حيةً في ذاكرة الفرد اليهودي بالإضافة إلى الشعائر الدينية التي هي بدورها تذكر المؤمن اليهودي يوميا بعقيدة (الشعب المقدس المختار) والتمسك بها ، حيث " يشكر اليهودي إلهه في كل الصلوات لاختياره الشعب اليهودي. وحينما يقع الاختيار على أحد المصلين لقراءة التوراة عليه أن يحمد الإله لاختياره هذا الشعب دون الشعوب الأخرى ، ولمنحه التوراة علامة على التميز.[2] "

وقد كانت عقيدة (الشعب المختار) الرابطة المشتركة التي كانت تعطي الجماعات اليهودية عبر التأريخ الثقة بالنفس و الأمل بالمستقبل ، وكانت البذرة التي منها ولدت الصهيونية.

يقول العالم النفساني الشهير سيجموند فرويد " [3] : لا شك أن اليهود يحتفظون بفكرة عالية من أنفسهم ، ويعتقدون أنهم أنبل من غيرهم ، و على مستوى أعلى ، و أكثر تقدماً من الآخرين الذين تفصلهم عنهم عادات كثيرة لهم . و بالإضافة إلى ذلك فإن ثقة خاصة بالحياة تملأهم ، كالتي يضفيها الإمتلاك الغامض لموهبة ، وهي نوع من التفائل ، يطلق عليه المتدينون الثقة في الله . ونحن نعرف سبب مدافعتهم ذاك ، وماهو كنزهم الثمين ، فهم يصدقون في الواقع ، ما يقولونه عن أنفسهم من أنهم شعب الله المختار ، ويؤمنون بأن الله قد قربهم منه بصفة خاصة ، وهذا هو مايملأهم فخراً وثقةً ، وتقول كتب التأريخ الموثوق بها أن اليهود كانوا يتصرّفون في أيام اليونان والرومان مثلما يتصرفون الآن . "

. 2عقيدة (الأرض الموعودة)

"الأرض هي المقابل العربي لكلمة (إرتس) العبرية التي ترد عادة في صيغة (إرتس يسرائيل) أي (أرض إسرائيل) (فلسطين). ويدور الثالوث الحلولي حول الإله والشعب والأرض فتقوم وحدة مقدسة بين الأرض والشعب لحلول الإله فيهما وتوحده معهما.[4] "

إن عقيدة الأرض الموعودة (أي التي وعد الله أن يعطيها لإبراهيم ونسله) تشكل مع عقيدة (الشعب المختار) الإطار العام الذي يضم الديانة اليهودية في كنفه ، ومنذ أن تشتت اليهود في العالم بقي هذان المفهومان (الشعب والأرض) رمزاً يجمع كل الجماعات اليهودية المنتشرة في البلدان في المشروع الديني القومي المستقبلي الواحد. أي كانا الرابط الديني القومي الذي وحّد شمل الجماعات اليهودية عبر التأريخ ، على الأقل من الناحية الإعتقادية ، وقد أبقى المفاهيم القومية الدينية ناضجة ونامية في ذاكرة أعضاء الجماعات اليهودية.

---

(1)رجينسكانا ، البروفسورة ميلينا مود : نقد أيديولوجية العنصرية والصهيونية ، في(الصهيونية والعنصرية)، المرجع السابق ، ص 61 .

(3)موسى والتوحيد (اليهودية في ضوء التحليل النفسي) ، ترجمة : دكتور عبد المنعم الحفني ، دار المصرية ، 1987 ، ط2، ص 210 .

(4)موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج2 ، ب2 ، مدخل (الأرض " إرتس ").

إن التراث الديني اليهودي منذ الأسر البابلي (المنفى الأول) . الفترة التي ابتدأ فيها بتدوين النصوص الدينية اليهودية (العهد القديم) . ومروراً بفترة التشتت اليهودي العالمي . التي دونت فيها النصوص التلمودية والقبالية . مليءٌ بتعاليم ونصوص تقدّس أرضَ إسرائيل ، أو صهيون ، وتؤكد على ملكية اليهود التأريخية لتلك الأرض ،وتشجّع على عودة اليهود إليها كتحقيق طبيعي للأمر الإلهي.

فهذه الأمور الثلاثة (تقديس أرض إسرائيل (صهيون) ، والتأكيد على أن اليهود هم أصحاب الأرض وذلك بإعطائها من قبل الرب إلى إبراهيم ونسله ، والتشجيع على عودة اليهود إلى فلسطين أو الحنين للعودة) تكوّن كل التعاليم والقضايا المتعلقة بعقيدة (الأرض الموعودة) ، وامتلأت النصوص اليهودية بها ، على الشكل التالي : .

أ . تقديس الأرض

تستمد أرض فلسطين قدسيتها من تقديس الإله لها برعايته لها أو توحده معها أو الإسكان فيها على زعم تعاليم العقيدة اليهودية. فقد جاء في سفر يوشع: " لذلك لا تقيمون بأرض الرب .[1] "...أو كان الرب يتعاطف مع أورشليم ويغريها . إن كلمات أورشليم أو صهيون أو أرض إسرائيل أو كلمة (أرض) نفسها ، مواد تندرج تحت فكرة أو عقيدة (الأرض) . فيقول : " لأن زوجك خالقك واسمه الرب القدير ".. .[2]فعقيدة الأرض تصل هنا إلى ذروة الإنحراف والخرافية ، حيث يقر العهد القديم بأن الرب زوج لأورشليم. !

وقد وعد الرب برعاية الأرض بنفسه ، فقد جاء في التوراة " ويتعهدها الرب إلهكم ، وعيناه عليها دائما من أول السنة إلى آخرها .[3] "

وهناك أسفار كثيرة جداً تؤكد أن أرض إسرائيل أرض الرب وهو يرعاها ، وهي أقدس أرض لأن الرب قدسها. وقد وصل الأمر في العهد القديم إلى غاية التعقيد والحلولية ، حيث يقر بأن الرب ساكن في صهيون ، وقد استقرت قناعة الجماعات اليهودية على تلك الخرافة ، وتستمد الصهيونية كذلك المعاني الدينية لنفسها منها ، وتقر (شكلها الديني) بضرورة عودة اليهود إلى أرض صهيون بقيادة الماشيح المخلص لتتم عملية التوحد الثلاثي (الإله . الشعب . الأرض) .

جاء في سفر زكريا " وقال الرب : (رنمي وافرحي يا بنت صهيون ، فها أنا آتي وأسكن في وسطك. في ذلك اليوم ينتمي أمم كثيرون إلى الرب ويكونون له شعبا ، فيسكن في وسطك.[4] " ...

(1)يوشع 3:9.
(2)إشعيا 5:54.
(3)التثنية 12:11.
(4)زكريا 2:10-11.

ب . وعدُ الله بأن تكونَ الأرضُ لشعبه المختار

تقر التوراة في كثير من أسفارها بأن الله قد أعطى أرض إسرائيل (فلسطين) لإبراهيم ونسله ، أي شعبه المختار. لذلك استنادا إلى هذا الإقرار التوراتي تعتقد الجماعات اليهودية بحقها التاريخي والديني لأرض فلسطين.

يخاطب الرب إبراهيم بقوله: " ...أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض ميراثا لك . [1] " وجاء في التوراة أيضا: " فاعملوا بجميع الوصايا التي أنا آمركم بها اليوم لتتشجعوا وتدخلوا وترثوا الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها فهي أرض أقسم الرب لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم . [2] " ...وجاء أيضا : " وقال الرب لأبرام بعدما فارقه لوط: (ارفع عينك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، فهذه الأرض كلها أهبها لك ولنسلك إلى الأبد...قم امش في الأرض طولاً وعرضاً لأنّي لك أهبها .[3] "

نرى في النصين السابقين أن كلمة (أرض) قد جاءت بدون تحديد جغرافيتها ، ولكن في النص الثالث تم تحديد الأرض الموهوبة ، بحيث لا تتجاوز ملكيتها كيلومتراً واحداً مربعاً ، استناداً إلى ظاهر معنى (أنظر). لكن ما لبث الوعد أن ارتبط بالمشي في الأرض طولها وعرضها ، مما يستدعي إمكانية (المرعى).[4]

ويتسع مفهوم الأرض إلى كل أرض كنعان: " وأعطيك أنت ونسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ملكاً مؤبداً وأكون لهم إلهاً .[5] "

ثم تتسع رقعة وجغرافية الأرض التوراتية ، بحيث تتنوع جغرافيتها ، فمثلاً جاء في موضع : " وأجعل حدود أرضكم من البحر الأحمر جنوبا إلى البحر المتوسط غربا ، ومن الصحراء شرقا إلى نهر الفرات شمالا ، وأسلم إلى أيديكم سكان الأرض فتطردونهم من أمام وجوهكم .[6] "

وجاء في موضع آخر: " كل موضع تدوسه أخامص أقدامكم يكون لكم ، من البرية جنوبا إلى لبنان شمالا ، ومن نهر الفرات شرقا إلى البحر غربا .[7] " أما أكثر المفهوم توسعاً من الناحية الجغرافية فهو: " في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام عهداً قال :

)لنسلك أعطي هذه الأرض ، من نهر مصر إلى النهر الكبير ، نهر الفرات.[8] " (

---

(1)التكوين 7:15.

(2)التثنية 8:11-9.

(3)التكوين 14:13 ، 15 ، 17.

(4)أنظر سعفان ، د. كامل: اليهود تاريخ وعقيدة ، ط1 ، دار الاعتصام (1981) ، ص85.

(5)التكوين 8:17.

(6)الخروج 31:23.

(7)التثنية 24:11.

(8)التكوين 18:15.

وفي مواضع أخرى نرى أن الشريعة المكتوبة (التوراة) تخلط عقيدتي الشعب الإلهي والأرض الموعودة وتذكر هاتين العقيدتين في نص واحد ، ونفهم من هذا أن مفهوم الشعب لا يتم بدون مفهوم الأرض ، وكذلك بالنسبة لمفهوم الأرض ، أي ليس هناك شعب بدون الأرض ، ولا أرض بدون الشعب .

جاء في سفر حزقيال "... وحين أخرجكم من بين الشعوب وأجمعكم من البلدان التي بعثرتكم فيها ، ارضى عن رائحة ذبائحكم الزكية وتعرف الأمم أنني القدوس ، وحين أجيء بكم إلى أرض إسرائيل ، إلى الأرض التي أقسمت أني أعطيها لآبائكم ، تعلمون أني أنا هو الرب .[1] " أو "...سأخلص شعبي من أرض المشرق ومن أرض مغرب الشمس ، وأجيء بهم فيسكنون في وسط أورشليم ، ويكونون لي شعبا ، وأكون لهم إلهاً.[2] "

كل هذه الأسفار تعطي خلفية عقيدية ودينية للفكر القومي اليهودي ، وبها تتغذى تلك القومية ، وتبرر أفكارها وادعاءاتها في كون اليهود المنتشرين في العالم أصحاب أرض فلسطين الحقيقيين .

وقد اشترك التلمود في صياغة عقيدة الأرض الموعودة وتمتينها . " فقد جاء في التلمود: (الواحد القدوس تبارك اسمه قاس جميع البلدان بمقياسه ولم يستطيع العثور على أية بلاد جديرة بأن تمنح لجماعة يسرائيل سوى أرض يسرائيل) .[3] "

فالأرض في العقيدة اليهودية هي الأرض المختارة التي اختارها الرب لشعبه (شعب إسرائيل) ، ومن هنا ارتباط الحركة الصهيونية بالأرض ، حتى اتخذت من (جبل صهيون) في القدس اسماً وشعاراً لها .

والصهيونية بجميع تياراتها وتوجهاتها تقوم على أساس تقديس الأرض ووهم إعطاءها من قبل الله لشعب إسرائيل ، لذلك فإن الصهيونية تقصد بالأرض (أرض إسرائيل) وترفض وجود شعب آخر في تلك الأرض ، لذلك ليس هناك في الفكر الصهيوني إشارة إلى كلمة (فلسطين) ، وهو ما أكده (بيجين) [4]

---

(1)حزقيال 20:41-42.

(2)زكريا 8:7-8.

(3)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (الأرض " إرتس ") ، المرجع السابق .

(4)مناحم بيجـين ، (1992-1913) :زعيم صهيوني... وُلد في بولندا، وتَخرَّج في كلية الحقوق بوارسو ... في أواخر

عام 1943 تولَّى قيادة منظمة (الإرجون) التي اشتهرت بمذابحها ضد المدنيين الفلسطينيين .. وفي عام 1949، قام بيجين بتشكيل

حزب (حيروت) الذي ورث شعارات بيتار والإرجون وليحي وفحواها أن الحد الأدنى لأرض إسرائيل هو ضفتا نهر الأردن، وأن القوة العسكرية هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذا الحد الأدنى، فهذه هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العرب... فاز حزبه بالانتخابات عام 1977 و تولى رئاسة الدولة... وأثناء حكومة بيجين تمضرب المُفاعل النووي العراقي أثناء توليه رئاسة الوزارة ... ومن أبرز مؤلفات بيجين التمرد (1951) الذي تناول فيه قصة الإرجون. / موسوعة اليهود واليهودية ، م7 ، ج4 ، ب3 ، مدخل (مناحم بيجـين) 1913-1992 () .

عندما قال: " إن اليهود لو تحدثوا عن فلسطين بدلا من (إرتس يسرائيل) فإنهم يفقدون كلَ حق لهم في الأرض ، لأنهم بذلك يعترفون ضمنا بأن هناك وجوداً فلسطينياً.(1) "

إن الارتباط بالأرض يفوق كل شيء في الفكر الصهيوني ، والشيء الذي يوطد دعائم هذا الارتباط هو . بالإضافة إلى الدلالات التأريخية للأرض . تعلُّقُ الإله . حسب العقيدة اليهودية . بالأمر .
هذا التعلق الإلهي من خلال انتشاره كقناعة دينية عند الجماعات اليهودية عبر التأريخ قد أدى إلى ولادة (عقيدة الأرض المقدسة). وهذه العقيدة تهمل الأبعاد التأريخية للأرض ، وبالمقابل تهتم بالأبعاد الدينية اللاهوتية للأرض ، على أساس أن الله قد أعطى الأرض لشعب إسرائيل ، وهذا يكفي لحسم الأمر وللتعلق بالأرض. وهذا يتجلى لنا بصورة أوضح في تعليق الحاخام (راستي) (2)على العبارة الإفتتاحية في التوراة (في البدء خلق الله السماوات والأرض) التكوين 1:1 ، بقوله: " إن الله يخبر إسرائيل والعالم ، أنه هو الخالق ولذلك فهو صاحب ما يخلق يوزعه كيفما يشاء ، لذا ، إذا قال الناس لليهود أنتم لصوص لأنكم غزوتم أرض إسرائيل وأخذتموها من أهلها فإنه يمكن لليهود أن يجيبوا (إن الأرض مثل الدنيا ملك الله ، وهو قد أعطاها لنا).(3) "

ج . عقيدة العودة إلى الأرض

إن عقيدة العودة إلى أرض الوطن أو الحنين للعودة إلى الأرض ، هي قضية أخرى من القضايا المتعلقة بمسألة الأرض في النصوص اليهودية. وقد بدأت فكرة الحنين إلى الوطن بعد ما تم إجلاء اليهود من أرض فلسطين على يد البابليين سنة (586ق.م) ، أي في فترة الأسر البابلي .

وقد بدأت عقيدة العودة هذه بعد أن تم إدخالها في النصوص التوراتية ، ولما بدأ تدوين النصوص التوراتية في فترة الأسر البابلي التي كانت المنفى الأول بالنسبة لليهود الذين ولدوا في فلسطين وترعرعوا هناك ، نرى أن نزعة العودة إلى أرض الوطن قد جعلت مدوِّني النصوص التوراتية أن يقوموا بإدخال نصوص وإشارات فيها كانت بداية تبلور فكرة العودة .
وكانت تلك النصوص خير عزاء لليهود المطرودين آنذاك بعد أن تعرضوا لعدة هزائم انتهت بالسبي البابلي ، وكانت أفق الأمل كذلك ، حيث تبشر بأن اليهود سوف يعودون إلى الوطن ، ويعود إليهم المجد والسلطة مرة أخرى .

---

(1)نقلاً عن حسونة ، خليل إبراهيم: الثابت والمتغير في الواقع العربي ، ج1 ، دار المقداد ، غزة (2001) ، ص 74 .

(2)هو) **الحاخام راشي**» (1105–1040) : (راشي» اختصار لاسم الحاخام «رابي شلومو بن يتسحاق»، وهو من أشهر المعلقين والمفسرين الإشكناز للتلمود، وكان رئيس إحدى المدارس التلمودية. وقد وُلد راشي في فرنسا ... وكان ملماً بالمصادر الدينية اليهودية السابقة عليه وإن كان لا يشير إليها... وقد كتب راشي تفسيراً لمعظم كتب العهد القديم، يجمع بين المنهجين المجازي والحرفي بكل يُسر ووضوح. كما كتب تفسيراً للتلمود، وحقق نصه، وعرَّف مصطلحاته، وشرح مفرداته الصعبة، ويُعَدُّ هذا من أهم أعماله. وله أسلوب خاص في رسم الخطوط يُعرَف باسمه استخدمه في كتابة الشروح والحواشي على التوراة وأسفار العهد القديم./ موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج2 ، ب7 ، مدخل (راشي " 1040 – 1105 ") .

(3)نقلاً عن حسونة ، خليل إبراهيم ، المرجع السابق ، ج1 ، ص75.

هنا نذكر نصاً توراتياً يمثّل فكرةَ الحنين إلى الوطن خيرَ تمثيل ، ويرسخ الشعور بالغربة لدى اليهودي خارج أرض صهيون ، وهو بداية انتشار فكرة الحنين للعودة إلى صهيون. وهذا النص هو ما يسمى بـ (نشيد المنفى) في التوراة ، فقد جاء في سفر المزامير ما يلي: " على أنهار بابل هناك جلسنا ، فبكينا عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف في وسطها علقنا كناراتنا. هناك طلب منا الذين سبونا أن ننشد لهم ، والذين عذبونا أن نفرحهم. قالوا: (انشدوا لنا من أناشيد صهيون). كيف ننشد نشيد الرب في أرض غريبة ؟ إن نسيتك يا أورشليم فلتنسني يميني. ليلتصق لساني بحنكي إن كنت لا أذكرك ، إن كنت لا أعلّي أورشليم على ذروة فرحي... يا ابنة بابل الصائرة إلى الخراب ، هنيئا لمن يعاقبك على ما فعلتِهِ بنا. هنيئاً لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة.(1) "

هذا النص الذي هو في غاية الروعة والبلاغة قد أثر في نفوس اليهود عبر تأريخهم المليء بالنكسات والنكبات والهزائم.

فهم بعد عودتهم من السبي البابلي إلى فلسطين لم يبقوا هناك للأبد ، بل اضطروا إلى الخروج مرة أخرى ، وقد هجروا إلى بلدان العالم المختلفة وبدأ بذلك ما يسمى بـ (الشتات) أو (الدياسبورا) أي مرحلة النفي والتشتت خارج الأرض(كما بحثنا ذلك في بدايات الدراسة).

فمنذ ذلك الحين تتغنى الجماعات اليهودية المتشتتة بالنصوص التي تبشر بعودة اليهود إلى صهيون ، وتستمد النزعة الصهيونية عبر تاريخها روحها وحركتها من الدلالات الدينية والتأريخية للأرض (أرض صهيون) . ونقصد بالدلالات الدينية التي رأيناها في النصوص التوراتية حول الأرض ، أي مسألة تقديس الأرض وإعطائها من قبل الله لشعب إسرائيل ، وهذه الدلالات كوّنت ما يسمى بـ (عقيدة الأرض المقدسة). ونقصد بالدلالات التأريخية لأرض صهيون ، المدة التأريخية التي عاش فيها آباء وأجداد اليهود القدماء على أرض فلسطين .

فقد رسخ الحاخامات اليهود عبر التأريخ تلك الدلالات . مع تعميق الدلالات الدينية اللاهوتية . في نفوس الأجيال المتعاقبة من الجماعات اليهودية المنتشرة في العالم ، لتتقوى قناعة تلك الأجيال بحقها التاريخي في مطالبتها بالعودة إلى فلسطين. وذلك قد تم من خلال تعليم أبناء اليهود بأن أرض فلسطين هي أرض الشعب اليهودي تأريخياً.

إن الصهيونية كنظرية قومية دينية تسعى لتحقيق عودة اليهود إلى أرض صهيون ، أو كنظرية قومية دينية تحلم بعودة اليهود بقيادة الماشيح المخلص إلى أرض صهيون ، وبقيادة أمور الدنيا بعد العودة ، (2) تقوم على أساس لاهوت الشعب المختار ولاهوت الأرض المقدسة ، أي هاتان العقيدتان تكونان الأساس الديني للنزعة الصهيونية ، وبدون الإيمان بهما لا يمكن أن نجزم بصهيونية أحد ، وذلك لأن فكرة عودة اليهود إلى صهيون . وهذه الفكرة نسميها بالمشروع الصهيوني . تستند إلى فلسفة استعلاء وتفوق الشعب

---

(1)المزامير 137:1-9

(2)بالاعتبار الأول نقصد الصهيونية الحديثة التي رفضت انتظار الماشيح وحاولت تحقيق العودة بنفسها ، ونقصد بالثاني الصهيونية الدينية التي تنتظر مجيء الماشيح لتحقيق العودة. وسوف نبين ذلك بالتفصيل.

اليهودي على سائر الشعوب والأعراق ، وبالتالي فهو الأجدر الوحيد بالسكن في أرض صهيون ، أرض يسكنها الرب .

فإذا كانت هذه الأرض مقدسة لحلول الله فيها ، يجب بالمقابل أن يعيش فيها شعب مقدس أيضا ، أو شعب خاص بالإله و مختار ليكون له إرادتَه العليا في الأرض.

من هنا فإذا انفصل الشعب والأرض ، فإن الأجدر أن تتم إعادة الشعب إلى موقعه الأصلي الجدير ، حتى لا يحدث خرق في هيكل الثالوث الحلولي (الإله . الشعب . الأرض).

إن الأسفار التي تشجع اليهود على العودة إلى أرض إسرائيل ، أو التي تبشر بتلك العودة كثيرة ، وكلها . على غرار (سفر المزامير 9.1:137) الذي أوردناه . يمثل الجذور الدينية للنظرية الصهيونية . وهنا نورد مقتطفات قليلة من هذه النصوص ، فقط لتوضيح الصورة أكثر:

"قولوا لمن فزعت قلوبهم: (تشددوا ولا تخافوا ها إلهكم آت لخلاصكم. يكافئكم على أمانتكم ، وينتقم لكم من أعدائكم)... والذين فداهم الرب عند رجوعهم إلى صهيون مرنمين وعلى وجوههم فرح أبدي يتبعهم السرور والفرح ، ويهرب الحزن والنحيب . [1] "

..."في وقت رضاي أستجيب لك ، وفي يوم الخلاص أعنيك ، أحفظك وأعاهد بك الشعب أن يعود ليقيم في أرضه ويعمر فيها الذي تهدم ، فتقول للأسرى : أخرجوا ! وللذين في الظلام : اظهروا... رنّمي يا سماء وابتهجي يا أرض ، ويا أيتها الجبال اهتفي لأن الرب سيعزي شعبه ويرحمه مشفقا على بؤسه. قالت صهيون: (تركني الرب تركني ونسيني السيد) ، فأجاب الرب: (أتنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ثمرة بطنها؟ لكن ولو أنها نسيت ، فأنا لا أنساك يا أورشليم ، ها على كفي رسمتك وأسوارك أمامي كل حين بناتك أسرع من هادميك ومخربوك يخرجون منك... ومع أن الذين يحتلونك يخرجون ، فسيقول الذين ولدتِهِم في السبي: ضاق عنا المكان فأتسعى لنسكن ، فتقولين في قلبك: من ولد لي هؤلاء ؟ كنت ثكلى وعاقراً ، كنتُ مطرودة ومنفية ، ومن رباهم لي ؟ كنت متروكة وحدي ، فمن أين يا ترى جاءوا ؟ ، وقال السيد الرب : ها أنا أشير بيدي إلى الأمم وأرفع رايتي ، فيجيئون ببنيك على الأكتاف ، ويكون الملوك مربين لأولادك والملكات مرضعات لأطفالك على وجوههم يسجدون لك ويلحسون غبار قدميك ، ...أتؤخذ الغنيمة من الجبار؟ أو ينقذ الأسير من يد الطاغية ؟ نعم ، فهذا ما قال الرب : سآخذ الأسير من يد الجبار ، وأتخذ الغنيمة من يد الطاغية. أنا الرب أخاصم الذين يخاصمونك ، وأنجي بنيك من بين أيديهم .[2] " ...

..."هذا ما قال الرب القدير: مدني ستعود تفيض خيراً ، والرب سيعود يعزي صهيون ويختار أورشليم . [3] "ويقول الرب مخاطبا إبراهيم : " اعلم جيدا أن نسلك سيكونون غرباء في أرض غير أرضهم " ... [4] .

(1)إشعيا 1:35-10.
(2)إشعيا 8:49-26.
(3)زكريا 17:1.
(4)التكوين 13:15.

إن المؤسسات الدينية اليهودية تحاول عبر تاريخها الطويل (منذ التدمير الثاني لأورشليم والمعبد سنة 70م) أن تفهم اليهودي بأنه غريب ومنفي ، لأنه يعيش خارج أرض صهيون. كما تعلم التوراة اليهود جميعا بأنهم سيكونون غرباء في أرض غير أرضهم التي هي (فلسطين).

تقول موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " :(1) والواقع أن تعاليم التوراة ، كتاب اليهود المقدس ، لا يمكن أن تنفذ كاملة إلا في الأرض المقدسة بل ، وكما جاء في أحد أسفار التلمود وفي أحد تصريحات بن جوريون ، فإن السكنى في الأرض بمنزلة الإيمان: (لأن من يعيش داخل أرض إسرائيل يمكن اعتباره مؤمنا ، أما المقيم خارجها فهو إنسان لا إله له) (*). بل إن فكرة الأرض تتخطى فكرة الثواب والعقاب الأخلاقية...فقد جاء أن من يعيش خارج أرض الميعاد كمن يعبد الأصنام. "

والأرض المقدسة " هي (أرض الميعاد) ، لأن الإله وعد إبراهيم وعاهده على أن تكون هذه الأرض لنسله. وهي أيضا (أرض المعاد) ، التي سيعود إليها اليهود تحت قيادة الماشيح ، أي الأرض التي ستشهد نهاية التأريخ .(2) " أي بعد أن يجيء الماشيح ويقود شعبه إلى

فلسطين ، يقيم في القدس سلطة روحانية عالمية تخلص كل شعوب العالم وبعد ذلك تأتي نهاية العالم ، أي إن عودة اليهود إلى فلسطين تكون بداية نهاية العالم. (حسب العقيدة اليهودية).

إذن فالعودة إلى فلسطين تكوّن صلبَ الديانة اليهودية ، هذه الديانة من خلال تعلقها الشديد بلاهوت الشعب المختار والأرض المقدسة الموعودة إلهياً ، تظهر لنا أنها نسق دنيوي يسعى لإيجاد جنة على الأرض . فهي بدلاً من الاهتمام بالأمور الأخروية والحياة الأبدية في القيامة . كأية ديانة سماوية أخرى مثل الإسلام أو المسيحية . تهتم بتحقيق أمور دنيوية تقوم على الاستكبار على العالم . نظرية تفوق الشعب اليهودي على جميع الشعوب والأعراق . وعلى الظلم والاحتلال وإراقة الدماء . عقيدة العودة إلى أرض فلسطين وإقامة الدولة فيها . .

يقول المفكر الإسلامي البوسني (علي عزت بيجوفيتش) " : (3) تمثل اليهودية بين الأديان اتجاه (هذا العالم) ، فجميع أفكار ونظريات العقل اليهودي معنية بإقامة جنة أرضية. و(كتاب أيوب) (4)هو حلم بالعدالة التي لابد أن تتحقق على الأرض ، لا في العالم الآخر وإنما (هنا و الآن). "

إن الاهتمام بالأمور الدنيوية والسياسية يجعل الديانة اليهودية نسقا ماديا سياسيا ، ويجرد منها سمات الديانة ، ومن هنا نستطيع أن نعد النظرية الصهيونية ومشروعها . الذي هو تحقيق العودة . نزعة نابعة من قلب الفلسفة اليهودية ، وذلك لأن الصهيونية من حيث المبدأ . الشعب المختار والأرض المقدسة الموعودة

---

(1)مدخل (الأرض " إرتس ") ، المرجع السابق .

(*)وجاء في سفر إشعيا 33 : 24 ما نصه : " فلا يقول ساكن في أورشليم : (الله تخلّى عنّي) ، والشعب المقيم بها تُغفَر له خطيئتُه . "

(2)**موسوعة اليهود واليهودية** ، مدخل (الأرض " إرتس ") ، المرجع السابق.

(3)الإسلام بين الشرق والغرب ، المرجع السابق ، ص 271 .

(4)(Book of Job) كتاب منسوب إلى النبي أيوب وقد توسع الشعراء العبريون في قصته وجعلوا منها أسطورة البريء المستقيم الذي اشتد عليه العقاب قسوة وظلماً ! . المرجع نفسه ، ص 271 ، والكلام للمترجم : محمد يوسف عدس ، في الهامش .

. ومن حيث المشروع . تحقيق العودة إلى أرض صهيون . فلسفةٌ ماديةٌ دنيوية تحلم بتحقيق جنة أرضية يحلق في سمائها العرق اليهودي المتفوق المقدس. !

ومن هنا تطلب منا الموضوعية أن لا نخلق مسافة بين الصهيونية واليهودية (كما يفعل ذلك بعض من الدارسين الذين يدعون الموضوعية !) ، بل الصهيونية تنبع من الفلسفة اليهودية المادية الدنيوية.

يقول بيجوفيتش " : (1)إن اليهود لم يتقبلوا أبدا فكرة الخلود ، فحتى عهد المسيح كان (الصدوقيون) لا يزالون يرفضونها. ويقرر (موسى بن ميمون) (*) . وهو أكبر مفكر يهودي ظهر في العصور الوسطى . أن الخلود فكرة ذات موضوع ، لأنها تنقض نفسها بنفسها. وذهب (بندكت سبينوزا) . وهو فيلسوف يهودي آخر كبير. أبعد من ذلك ، فصرح بأن العهد القديم لا يذكر شيئا عن الخلود. لقد لاحظ (رينان) (**) ومن بعده (برديائيف) (***) . بحق . أن اليهود لم يستطيعوا أن يتقبلوا فكرة الخلود لأنها لا تنسجم مع فكرتهم عن العالم الذي لا يرون فيه سوى (هذا الجانب الدنيوي). "

إن فكرة الخلود هي التي ميزت الأديان في التأريخ عن المذاهب الإنسانية ، حيث من خلالها جذبت الأديان العائلة الإنسانية إلى المعاني الروحية والغيبية ، والاشتغال بتحقيق ما يضمن الحياة السرمدية في الجنة. ولولا فكرة الخلود في تركيب تلك الديانات السماوية في التأريخ ، فإن الفرق بينها وبين المذاهب والفلسفات الإنسانية لا يكاد يكون له وجود.

أما اليهودية الحاخامية الصهيونية فقد حولت الديانة الموسوية من ديانة تحقق للإنسان الفوز في حياة خالدة، إلى ديانة تحاول تحقيق عودة مجموعة من البشر إلى رقعة جغرافية معينة (فلسطين) ، بداية لتحقيق جنة أرضية تتسم بالعدالة ، والشعب اليهودي (المجموعة المعينة من البشر) سيكون صاحب هذه الجنة ، أي هو الذي سيتحكم بأمورها وأمور البشر فيها ، وذلك لأن إلههم وعد أن يكون شعب إسرائيل فوق جميع الشعوب (أي أن يكون شعب الله المختار).

" (إن مملكة الرب) ، التي كان اليهود يتنبئون بها قبل ظهور المسيح ، كان (مفروضا) أنها ستتحقق على الأرض ، وليس في السماء كما يؤمن المسيحيون . ففي كتابات اليهود عن (سفر الرؤيا) ، يمجدون المسيح المنتقم الذي يأتي لتحقيق العدالة. فالمسيح الذي كان ينتظره اليهود لم يكن نبياً يعاني ويموت ،

---

(1)المرجع نفسه ، ص 271 .

(*)موسى بن ميمون (1135-1204) : يهودي اسباني، و يعد من ابرز المفكرين اليهود في العصر الوسيط الذين حاولوا العثور على مركب من الفلسفة اليونانية – خاصة الفلسفة الأرسطية – ومن الدين اليهودي الموحد ، و لم يقتصر تأثير كتاباته تأثيراً عظيماً على زملائه في الدين الذين لا يخرجون على الاجتماع ، بل أثرت كذلك على فلاسفة خرجوا على العرف الدينى من أمثال سبينوزا... و اشهر كتبه (دلائل الحائرين) ،وفيه يحاول التوفيق بين الفلسفة الأرسطية ، والعلوم اليونانية من جهة ،وبين حرفية الحقيقة كما وردت في العهد القديم من جهة أخرى ./ أنظر الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مادة : موسى بن ميمون، ص 465.

(**)هو إرنست رينان (1823-1892) ، كاتب و عالم أثري فرنسي ، من مؤلفاته (حياة يسوع) بأسلوب كفري . / المنجد في الأدب و العلوم ،مادة : رينان.

(***)هو نقولا بردیائیف (1874-1948) ، و لد في روسيا و بقى هناك حتى نفي في عام1922 ، حيث أقام أولاً في ألمانيا ، ثم في فرنسا ... وهو مفكر دينى ، و داعية من الدعاة الإجتماعيين و السياسيين أكثر منه فيلسوفاً بالمعنى الضيق لهذه الكلمة/ . الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مادة : بردیائیف ، نقولا ، ص 119.

وإنما بطلاً قومياً سيقيم دولة الشعب المختار. فالعالم الذي يكون فيه العادل تعيساً ، عالم بلا معنى. هذا هو المبدأ الأساسي للعدالة اليهودية وكل (عدالة إجتماعية). ففكرة أن تكون الجنة هنا على الأرض ، فكرة يهودية في أساسها سواء من ناحية خصائصها أو من ناحية أصلها. [1] "

وبالنظر إلى التوراة نظرة متفحصة ، نرى أنها تسلسل مراحل تحقيق الجنة اليهودية . التي فيها يكون الشعب اليهودي وسيطا بين العوالم العليا (السماء) والعوالم السفلي (الأرض) ، ويكون متحكماً في أمور العوالم السفلي ، من خلال ما أعطي له من قداسة وتفوق عن طريق حلول الإله فيه . على الشكل التالي : .

في **المرحلة الأولى** أعطيت الأرض لإبراهيم ونسله.

وفي **المرحلة الثانية** اختار الإله نسل إبراهيم (أي شعب إسرائيل) لأن يكون شعبه الخاص المقدس ، وهذا الشعب أخرجه الرب من بين جميع الشعوب.

وفي **المرحلة الثالثة** تتنبأ التوراة بأن الشعب المختار يعود إلى أرض صهيون بعد نفيه من قبل الإله بسبب انحراف هذا الشعب عن عقيدة الأجداد. سواء في الأسر البابلي أو الشتات العالمي الذي طرأ على اليهود بعد التدمير النهائي لأورشليم سنة (70م). وبهذه العودة تعود إلى الشعب السلطة والدولة ، وهذه هي الجنة اليهودية.

وهناك شيء ملفت للنظر في عموم النصوص التوراتية ، وهذا الشيء يدعم قناعتنا بدنيوية اليهودية ، أي بأنها تحاول تحقيق حياة دنيوية خاصة لمجموعة من البشر سميت بـ (الشعب المختار) في الدنيا فقط لا أكثر ولا أقل ، وهذا الشيء هو إيقاع العقوبة والجزاء للشعب اليهودي في الحياة الدنيوية وليس في الآخرة .

حيث نرى أن الإله في جميع الأسفار التوراتية يعد بعقوبة شعبه بالتخلي عنهم أو نفيهم أو إبادتهم بيد غيره ، أو يعد بجزاءهم بتخليصهم من حالة النفي أو من يد أعداء اليهود ، أو بإعادتهم إلى أرض صهيون أو أورشليم ، وإعادة الثروة والجاه والرفاهية لشعبه ، من غير أدنى إشارة إلى إعطاءهم الجزاء في الآخرة ، أو إيقاع العقوبة عليهم فيها ، لا ، بل تكون عقوبتهم في الدنيا بالطرد والنفي والتشريد عل يد أعداء اليهود ، ويكون إلتفات الإله لهم بإعادتهم إلى الأرض والثروة والسلطة ..

وهذا طبعاً من دون الإشارة إلى كلمة (الدنيا) مقابل (الآخرة) ، أي بأن يقول الرب: هذا سيكون أو سيقع في الدنيا ، في إشارة إلى وجود عالم آخر سيكون وضع اليهود فيه كذا.. لا ، بل لا تذكر

[1] بيجوفيتش ، الإسلام بين الشرق والغرب ، المرجع السابق ، ص 272 . 273 .

مصطلحات (الدنيا) أو (الآخرة) ، كأن الحياة الوحيدة للإنسان فقط هي حياة الدنيا. [1]

أليس هذا دليلاً على أن اليهودية نسق دنيوي سياسي قومي تؤكد تعاليمه على خلق حياة خاصة . مليئة بالسلطة والثروة والتفوق على حياة الآخرين من غير اليهود في جميع المجالات والأبعاد . لمجموعة من البشر ، على حساب حياة وكرامة الآخرين ؟ !

وربما لاحظ نفس الشيء المفكر البوسني (بيجوفيتش) حينما قال في كتابه (الإسلام بين الشرق والغرب) " [2]إن المادية اليهودية (أو الوضعية) هي التي لفتت العقل الإنساني . خلال التأريخ اليهودي . إلى العالم ، و أثارت الاهتمام بالواقع الخارجي. أما المسيحية ، فقد لفتت الروح الإنسانية إلى نفسها. فالواقعية الصريحة (للعهد القديم) لا يمكن التغلب عليها إلا بمثالية حاسمة من (العهد الجديد). "

فالجنة اليهودية . التي هي المشروع الصهيوني ، أي تحقيق العودة وتأسيس الدولة . تأتي من خلال حتمية ناموس (الشعب المختار والأرض الموعودة) ، والنتيجة التي يصل إليها هذا الناموس هي :
القبول بتفوق واستعلاء الشعب اليهودي على جميع الشعوب والأمم ، وإعطاء أرض فلسطين من جانب الإنسانية هذه المرة لذلك الشعب ، ليفعل بها ما يشاء ، ويتحكم بمصير سكانها الأصليين كيفما شاء.

إذن فالصهيونية . المرتبطة بالشعب والأرض . حركة دينية سياسية قومية تقوم على فلسفة إضعاف الجنس البشري عموماً أمام إرادة وطموحات مجموعة من البشر ، وعلى فلسفة الكراهية والاغيار التلمودية ، وعلى احتلال قطعة جغرافية من الأرض لتأسيس الهيكل المقدس عليها ، الذي سيحكم في النهاية العالم أجمع. وبالنظر إلى أن هذه النتيجة لا يمكن قبولها من قبل العائلة الإنسانية ، فإنه يمكن أن نستنتج بأن الصهيونية عقيدة الخراب والهدم و اللاإستقرار.

المطلب الثاني
الجذور التأريخية

في المطلب السابق بحثنا الجذور الدينية لفكرة الصهيونية ، حيث شكلت . كما رأينا . الجذورُ الدينية الأساسَ اللاهوتي الذي تقوم عليه النظرية الصهيونية. فهذه الجذور خلقت النزعة الصهيونية في الوجدان

(1)هناك أسفار كثيرة تؤكد هذه الحقيقة وتسير على هذا الاتجاه ، أنظر الأسفار التي فيها أقوال عن غضب الرب لشعبه أو وعده بإنقاذ شعبه ، فعلى سبيل المثال لا الحصر أنظر: سفر التثنية 28:1-68 ، 16:29-28 ، 1:30-20 ، 16:31-19 / سفر إرميا: 21:14 ، 18:6-30 ، 5:7-33 ، 1:8-23 ، 10 :17 . 25، 12: 13.1، 17: 1. 18 ، أنظر جميع الإصحاحات الأخرى في سفر إرميا ، فلا مجال لذكر جميعها هنا / وانظر إشعيا 1:49-26 ، 1:50-11 ، 1:51-12 ، 1:52-12 ، 1:54-17 ، 1:55-13 ، 1:59-21 ، 1:61-11 / وانظر الإصحاحات في سفرالقضاة ، ويوشع ، والمزامير ، وجميع الأسفار الأخرى التي تتكلم عن سخط الرب وغضبه على شعبه ، أو فرحه والتفاته نحو شعبه بالخير والخلاص. والأسفار كثيرة جداً لا مجال لذكر جميعها هنا.

(2)المرجع السابق ، ص274.

اليهودي ، ولعل الحركات والثورات التي قامت لتحقيق العودة إلى أرض صهيون في تاريخ الجماعات اليهودية هي خير دليل على حقيقة خلق النصوص الدينية اليهودية النزعةَ الصهيونيةَ في وجدان وعقلية وشعور أو لا شعور الفرد اليهودي في كل البلدان ، خاصة وكثيراً ما تعرض هذا الفرد مع جماعته للاضطهاد والتشريد والطرد ، ما جعله أكثر ثابتاً و إصراراً على وجوب العودة إلى أرض فلسطين. ونحن نرى أن تلك الحركات والنزعات الصهيونية في تاريخ الجماعات اليهودية بعد تشتتها في بلدان العالم المختلفة ، هي انعكاسات ومخلفات التعاليم التوراتية ومن ثم التلمودية ، التي زرعت بذور عقيدة تفوق وقدسية الشعب اليهودي الذي لا يستطيع أن يمارس هيمنته وسلطته على جميع الشعوب والأمم بدون العودة إلى أرض صهيون ، التي يسكنها الرب . حسب التعاليم التوراتية . وينتظر شعبه ليعود إلى إرتس يسرائيل (أرض إسرائيل).

فمنذ أن بكى اليهود المنفيون في بابل على أنهارها عندما تذكروا صهيون ، تبلورت عندهم فكرة العودة إلى أرض الأجداد . ببعدها التاريخي . أو إلى الأرض الموعودة . ببعدها الديني . وانتشرت من بينهم قناعة بأن التواجد والعيش خارج إرتس يسرائيل هو عيش في أرض غريبة. لذلك بطول تأريخ الجماعات اليهودية خارج فلسطين قامت محاولات ثورية حركية أو فكرية من قبل جماعات يهودية أو مفكرين يهود ، انتهجت النزعة الصهيونية القائمة على مبدأ الأرض الموعودة والهادفة نحو تحقيق عودة الجماعات اليهودية إلى إرتس يسرائيل.

نحن نحاول هنا أن نورد بحثا ملخصا عن أهم الحركات الصهيونية والمفكرين الصهاينة ، وهؤلاء المفكرون أو الثوار هم الزعماء الأوائل للصهيونية نظريةً و حركة . أي قد كانت محاولاتهم جذوراً فكرية وسياسية للصهيونية الحديثة التي نشأت في أواخر القرن التاسع عشر.

أولاً : حركة المكابيين التي أعقبت العودة من السبي البابلي ... وأول أهدافها العودة إلى صهيون وبناء هيكل سليمان . [1]

المكابيون يسمون (الحشمونيون) Hasmoneans أيضا.[2]

هؤلاء المكابيون كانوا طائفة يهودية ، " ينسب إليهم التمرد الحشموني ، وهو تمرد قام به فقراء اليهود وغيرهم بدأه الكاهن الحشموني (ماثياس) عام (168ق.م) ، واستمر أولاده في قيادته ضد كل من الاستغلال الاقتصادي والقمع الثقافي ، ولذا فقد كان ضد كل من الإمبراطورية السلوقية (في عصر

(1)الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، المرجع السابق ، ص331.

(2)أنظر موسوعة اليهود واليهودية ، م4 ، ج1 ، ب17 ، مدخل (الحشمونيون) و(المكابيون. (

أنطيوخوس) (•)وضد العناصر العبرانية اليهودية التي تأغرقت ...(••)قام بالتمرد عام (168ق.م) الكاهن (ماثياس الحشموني) وأبناءه الخمسة ولكن القوات السلوقية ألحقت به الهزيمة ، فلقي مصرعه وهو يحاول الهرب ، فتولى ابنه (يهودا المكابي) القيادة من بعده وسيطر على كل مقاطعة يهودا السلوقية ، ثم استولى على القدس عام (164ق.م) باستثناء قلعة يونانية. وقام بتطهير الهيكل وهي المناسبة التي يُحتفل بها في عيد التدشين (حانوكه)... وقد نجح الحشمونيون في تحقيق الاستقلال وإقامة الدولة الحشمونية ، لكنهم تأغرقوا بعد ذلك تماما إلى أن استوعب روما الدولة الحشمونية ونخبتها الحاكمة .[3] "

وبالنسبة لمعنى وجذر كلمة (مكابي) تقول موسوعة اليهود واليهودية " :[4] كلمة (مقبي) العبرية معناها (المطرقة) وإن كان البعض يرون أن الأصل العبري هو (مكبي) وأنها اختصار بالحروف الأولى لآية جاءت في نشيد انتصار موسى على فرعون تقول بالعبرية: (مي كموخا بئيليم يهوه) ، أي (من كمثلك بين الآلهة يا رب) (م.ك.ب.ي)."

إن المكابين استطاعوا أن يتمردوا لأول مرة ضد القوى الكبرى الموجودة في المنطقة آنذاك (السلطة السلوقية) ، وقد أسسوا الدولة اليهودية المستقلة بقيادة (يهودا المكابي) ابن قائد الثورة المكابية (ماثياس). وبعد تقدمه في الانتصار واستيلاءه على القدس . كما أشرنا إليه . حاول إيجاد ضمان لبقاء دولته ، لذلك فقد " بعث برسالة إلى روما (القوة العظمى الصاعدة في ذلك الوقت) مؤكدا لها أن دولة يهودية مستقلة في فلسطين ستخدم المصالح الرومانية. وقد سعى يهودا إلى الحصول على الاعتراف بأن دولته دويلة صغرى لا يمكنها البقاء إلا تحت حماية دولة عظمى. وقد اعترفت روما بالفعل في عام (161ق.م) بالقوة الحشمونية.[1] "

"وطالما سقط القادة من هذه الأسرة قتلى بيد الأمراء السوريين ، وفي سنة (104ق.م) استطاع القائد المكابي (أرستبولس) أن يأخذ لقب (الملك) ولكن عهده لم يطل ، وقد أدى طول الاحتكاك بين المكابيين والسوريين إلى أن يصطنع المكابيون تقاليد السوريين وعادات الأمراء المجاورين ، وكانت أسرة المكابيين أقرب إلى القادة العسكريين ، منها إلى أسر الحكام.[2] "

ومنذ انتصار المكابيين في تمردهم . وإن لم يدم هذا الانتصار . أصبح المكابيون رمزا للثورة والتمرد والعنف كأداة تحقيق تأسيس الدولة عند الجماعات اليهودية.

(•)الإمبراطورية السلوقية أسسها السلوقيون (312–64ق.م) ،وهم سلالة أسسها سلوقوس(356–280 ق.م) لبذي سمى نفسه ملكاً (316 ق.م) و سمي ملوك الدولة السلوقية ملوك سوريا، و عاصمتها سلوقية ثم أنطاكيا التى بناها سلوقوس (300 ق.م) و هي مدينة في تركيا ، و أنطيوخوس هو الملك السلوقي (175–164ق.م) الذي ثار اليهود عليه، إذ أراد أن يلزمهم بعبادات اليونان

الوثنية . / المنجد في الأدب و العلوم ، مادة : (السلوقيون) و (أنطيوخوس) و (أنطاكيا) .

(••)أي تأثرت بالثقافة الهيلينية الإغريقية ، راجع ص (38) في الهامش من هذه الدراسة.

(3)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (الحشمونيون) ، و م4 ، ج1 ، ب19 ، مدخل (التمرد الحشموني " 168–142ق.م ").

(4)المرجع نفسه ، مدخل (المكابيون).

(1)المرجع نفسه ، مدخل (التمرد الحشموني " 168–142ق.م. ("

(2)شلبي ، د. أحمد: مقارنة الأديان ، ج1 ، المرجع السابق ، ص94 ، نقلاً عن

Cuiginebert: The Jewish World at the Time of jesus, PP.32-33.

"ويرى الصهاينة أن المكابيين بعثوا الروح العسكرية في الشعب اليهودي وحولوه من شعب مستسلم إلى شعب من الغزاة المقاتلين ، وصفهم الشاعر بقوله: كان حمد الله في حناجرهم ، وفي أيديهم سيف له حدان. وهذه هي صورة الشخصية اليهودية المثلى كما تخيلها الصهاينة. ومن ثم ، يطلق كثير من المنظمات والأنشطة الصهيونية على نفسها اسم (مكابي) لإحياء تقاليد العنف.[1] "

ثانياً : حركة باركوخبا (138.118م) . وقد أثار هذا اليهودي الحماسة في نفوس اليهود وحثهم على التجمع في فلسطين وتأسيس دولة يهودية فيها. [2]

"بركوخبا عبارة آرامية تعني (ابن النجم) ، وبركوخبا اسم ذو دلالة مشيحانية واضحة...ويبدو أن اسمه الحقيقي هو (شمعون بركوزيبا)... ومن الواضح أن المؤسسة الدينية لم تؤيد التمرد. وثمة نظرية تذهب إلى أن بركوخبا لم تكن لديه ادعاءات مشيحانية ، وأنه كان يرى نفسه في إطار دنيوي. ومن هنا فقد سمى نفسه شمعون (ناسي إسرائيل) أي (أمير إسرائيل) (لا ملكها) وهو اللقب الذي يطلق على الماشيح. وقاد بركوخبا التمرد اليهودي الثاني الذي استمر مدة ثلاثة أعوام. وقد سحق الرومان هذا التمرد وهدموا القدس وحظروا على اليهود دخولها.[3] "

ورغم أن حركة بركوخبا ضد الرومانيين لم تدم إلا ثلاثة أعوام ، إلا أن بركوخبا أصبح رمزا للقومية اليهودية التي هي عنوان الهوية اليهودية. " وبركوخبا اسم يتكرر في الكتابات الصهيونية باعتباره نموذج البطل اليهودي الذي يدافع عن الهوية اليهودية ويتمرد ضد حكم الاغيار. ولكن تمرده كان ضربا من ضروب الانتحار ، فلم يكن هناك أي احتمال للانتصار على الرومان. [4] "

---

(1)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (المكابيون) ، المرجع السابق .

(2)الموسوعة الميسرة .. ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، المرجع السابق ، ص331.

(3)موسوعة اليهود واليهودية ، م4 ، ج1 ، ب19 ، مدخل (بركوخبا " ؟ . 135. ("

(4)المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

ثالثاً : حركة سولومون ملكو (1532-1500) . الذي حث اليهود على ضرورة العودة لتأسيس ملك إسرائيل في فلسطين.[1]

"إسمه الحقيقي هو (ديوجو بيريس)... تلقى تعليماً علمانياً وعيّن سكرتيراً لملك البرتغال ، قابل الماشيح الدجال (ديفيد رءوبيني) [•] في لشبونة عام (1525). وتملكه الحماس فتختن وأعلن يهوديته وسمى نفسه ملكو ، ربما من الكلمة العبرية (ميليك) أي (ملك) ، ومن ثم فإن اسمه يعني (سليمان الملك). فرّ مع رءوبيني واستقر بعض الوقت في سالونيكا ،[•]حيث درس القبالاه ، ونشر كتابه الدراشوت (المواعظ) (1529) وهي مواعظ مليئة بالادعاءات المشيحانية. وحينما نهبت روما عام (1527) رأى علامات على مقدم النهاية والخلاص وعاد إلى إيطاليا عام (1529) ، وقد جذبت مواعظه عديدا من الناس ، ومنهم المسيحيون... وحتى يؤكد أنه الماشيح ، وكي ينفذ إحدى النبوءات الخاصة بالماشيح ، ارتدى ملكو ملابس الشحاذين وجلس لمدة ثلاثين يوما مع المرضى والشحاذين والعجزة على (كوبري) على نهر التيبر في (روما). وقد نجح ملكو في كسب ثقة البابا كلمنت السابع الذي منحه الحماية عام (1530) ، وخصوصا أنه كان قد تنبأ بوقوع فيضان في روما وزلزال في البرتغال وتحققت نبوءاته.[1] "

وقد ذهب ملكو مع رءوبيني عام (1532) إلى الإمبراطور الروماني (تشارلز الخامس) ليقنعاه بتجنيد جيش من اليهود للحرب ضد الدولة العثمانية الإسلامية ، ولكن سلمهما الإمبراطور لمحاكم التفتيش [2]

---

(1)الموسوعة الميسرة ، المرجع السابق ، ص331 ، وموسوعة اليهود واليهودية ، المرجع نفسه ، م5 ، ج2، ب20 ، مدخل (سولومون ملكو " 1500-1532 ").

[•]**ديفيد رءوبيني** : (؟ -1535) ، مغامر ذو تطلعات مشيحانية. والمصدر الأساسي لمعرفة هويته الحقيقية مذكراته وبعض خطاباته. كان ديفيد رءوبيني يدَّعي أنه ابن لملك يُدعى سليمان، وأخ لملك يُدعى يوسف يحكم قبائل رءوبين وجاد، وكذلك نصف قبائل منَسَّى في خيبر بالقرب من المدينة المنورة، ومن هنا كان اسمه «الرءوبيني». وقد كانت رواياته عن أهله متضاربة، فقد ذكر في مناسبة أخرى أنه من نسل قبيلة يهودا وأنه رسول من ملك يُدعى يوسف. وانتقل من بلد إلى آخر، حتى وصل إلى روما راكباً فرسه الأبيض (إحدى علامات الماشيَّح). وذهب إلى البابا كليمنت السابع عام 1524، وأخبره بأن أخاه لديه ثلاثمائة ألف جندي مدربين على الحرب، ولكنهم لسوء الحظ ينقصهم السلاح، وطلب إلى البابا تزويدهم بما ينقصهم حتى يمكنهم طرد المسلمين من فلسطين. وقد استقبله البابا استقبَّالاً حسناً (فقد كان رءوبيني يخبره أن رؤيته بالنسبة له كانت مثل رؤية الإله). وقد التف يهود روما من حوله، واكتتبوا ببعض الأموال له، حتى يعيش على مستوى يليق بمقام سفير ملك اليهود. وقد نجح رءوبيني في مقابلة ملك البرتغال عام 1525، وفي التأثير فيه، حتى إنه أوقف محاكمات يهود المارانو الذين أحرز رءوبيني شعبية واسعة بينهم ، وقد طلب... (رءوبيني ومولوخو) من إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدَّسة تشارلز الخامس تسليح المارانو ليحاربوا ضد المسلمين. ولكن نظراً لانشغال الإمبراطور بأمور عظمى (تهديد البروتستانتية لحكمه من الداخل والعثمانيين من الخارج) لم يكن عنده متسع من الوقت فقبض عليهما وأحرق أحدهما لخروجه على المسيحية وأودع الآخر السجن في إسبانيا حيث مات مسموماً . / موسوعة اليهود .. ، المرجع نفسه ، م 5 ، ج2 ، ب20 ، مدخل (ديفيد رءوبيني (؟ -1535)).

(•)هي مدينة باليونان اليوم.

(1)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (سولومون ملكو " 1500-1532 ") .

[2]**لما أحس رجال الدين المسيحيين . في القرن الثالث عشر . بأن الكنيسة مهددة أمام التحركات الإصلاحية التي ظهرت انعكاساً للإستبداد الكنسي ، قاموا بقمع هذه التحركات و إخمادها، فاجتمعوا في سنة(1229 م)لأول مرة في عهد البابا غريغوري التاسع (1227-1241م) ، وكان قصد هذا الاجتماع إنشاء محكمة دينية سميت بـ (محاكم التفتيش) وهى محاكم كنسية تبحث عن الهراطقة لتعتقلهم، و تستجوبهم عن عقائدهم، وكان ذلك تطوراً خطيراً ، حيث جرت عادة البابا قبل ذلك الزمان بأن يقوم في بعض الأحيان بتحقيقات أو استعلامات عن الإلحاد في هذا الإقليم أو ذاك .. وقبل القرن الثالث عشر لم تنزل عقوبة الإعدام إلا نادراً بالملاحدة و الكفار .. فأما الآن فإن كبار رجال الكنيسة كانوا يقضون في مئة ساحة من ساحات الأسواق في أوروبا ليراقبوا أجسام أعدائهم تحترق بالنارو تخمد أنفاسهم بحالة محزنة . / عبدالأمير محمد**

التي نفذت حكم الإعدام في ملكو بالحرق .

ويبدو أن سبب الحكم كان ما أشيع عنه مرتين وأبلغ محاكم التفتيش بأن ملكو كان مسيحياً أبطن اليهودية ثم أظهرها حينما سنحت الفرصة ، وهو الأمر الذي كانت محاكم التفتيش لا تسمح به ، [3]أو من الممكن أن يكون حكم الإعدام بسبب قناعة سلطات محاكم التفتيش بكذب ادعاء ملكو كونه المسيح (الماشيح).

إن مجيء الماشيح يُعدّ . حسب العقيدة اليهودية كما بيّنا ذلك . الخطوة الأولى لتحقيق عودة اليهود إلى فلسطين ، حيث سيقود الماشيح الشعب إلى فلسطين ويؤسس الدولة اليهودية فيها ، من هنا فإن ادعاء ملكو . وأي شخص آخر . بكونه الماشيح كان القصد وراءه ما سيفعل الماشيح من إعادة اليهود إلى فلسطين ، أي قَصَدَ ملكو فعلَ ذلك من خلال حركته المشيحانية الصهيونية. ومحاولته إقناعَ الإمبراطور الروماني لتشكيل جيش من اليهود للحرب ضد السلطة العثمانية تأتي من تطلعاته لإعادة اليهود إلى فلسطين (إعادة الماشيح (ملك إسرائيل) شعبه إلى أرض صهيون) .

رابعاً : حركة منشه بن إسرائيل (1604.1657م) . وهي النواة الأولى التي وجهت خطط الصهيونية و ركزتها على أساس استخدام بريطانيا في تحقيق أهداف الصهيونية . [1]

)وجاء اسمه بلفظ مَنَسّى أيضاً. (

"ولد في البرتغال وعمل فيها ، ثم فر أبواه واستقرا في (أمستردام) حيث أصبح منسّى حاخاماً في أحد المعابد (1622.1639). أسس أول مطبعة عبرية في أمستردام عام (1626) نشرت عدة كتب... وقد كان منسى نفسه مؤلفا غزير الإنتاج.[2] "

"فكر منسّى في الاستيطان في البرازيل ، أي في التحرك مع التشكيل الغربي الاستيطاني [3] " حيث كان الغربيون آنذاك يتطلعون إلى الاستيطان في القارة الأمريكية (العالم الجديد) شمالها أو جنوبها. وطبعا يقصد بالاستيطان (استيطان الجماعات اليهودية) . وكان منسّى في هولندا " تلقى تعليماً حديثاً وتقليدياً وكان يؤمن إيماناً عميقاً بالقبّالاه ، وانشغل بالحسابات القبالية لمعرفة موعد وصول الماشيح ، وتوصل إلى أن ذلك لن يتحقق إلا بعد أن يتم تشتيت اليهود في كل أطراف الأرض. وقد كان هذا المفهوم القبالي هو الديباجة التي استخدمها للدفاع عن ضرورة إعادة توطين اليهود في (إنجلترا) ، وذلك في كتابه (أمل إسرائيل) الذي ترجمه إلى الإنجليزية عام (1650) ولكن إلى جوار الديباجة القبالية كانت توجد ديباجة

أمين و محمد توفيق حسين : تأريخ أوربا في العصور الوسطى ، طبع على نفقة جامعة بغداد ، 1980 ، ص 288، و قطب ، محمد : مذاهب فكرية معاصرة ، المرجع السابق ، ص 67 .

(3)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (سولومون ملكو " 1500–1532 ") ، بتصرف .

(1)الموسوعة الميسرة ، المرجع السابق ، ص331–332.

(2)موسوعة اليهود واليهودية ، م3 ، ج1 ، ب3 ، مدخل (منسّى بن إسرائيل " 1604–1657 ") ، يبدو أن موسوعة اليهود تلفظ اسمه بـ (منسّى. (Manasseh

(3)المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

تجارية دنيوية. والواقع أن تداخل الديباجتين الدينية والدنيوية هو إحدى سمات الصهيونية الأساسية " (4).

ويبدو أن هذا الكتاب أعجب " كرومويل...(•)الذي دعا منسى إلى زيارة إنجلترا لمناقشة الموضوع .

وكان منسّى على اتصال بجماعات المارانو (•)التي كانت قد استقرت بالفعل في الأراضي البريطانية ، وانتهت المفاوضات بالفشل شكليا. ولكن (كرومويل) أعطى أمره ، مع هذا ، للسلطات بالتغاضي عن استقرار اليهود.(1) "

من هنا نستطيع أن نفهم ما ورد في بداية هذه النقطة ، حيث كان منسى ارتبط بحكام بريطانيا ارتباطاً وثيقاً ، واستخدم هذه العلاقة في سبيل تحقيق المصالح لليهود. ولهذا أصبح نموذجاً للإقتداء به من قبل المفكرين اليهود الذين تبنوا فكرة تأسيس الدولة في فلسطين بمساعدة بريطانيا المباشرة.

وكان اهتمام كرومويل باليهود الموجودين في بلاده وبتوطين آخرين في بريطانيا يرجع إلى البعد التجاري والاقتصادي ، حيث طمح إلى استغلال وجود اليهود داخل بريطانيا لغرض الكسب التجاري من خلال خبرة يهود المارانو المشهورة في التجارة والإتصالات الدولية ، أو من خلال تحويلهم إلى جواسيس يقومون بتزويده بالمعلومات عن السياسات التجارية للدول المنافسة له ، أو من خلال استثمار التجار اليهود بعض رؤوس أموالهم الضخمة في الاقتصاد الإنجليزي.(2)

ويبدو أن منسّى لم يهتم فقط ببريطانيا في مسألة محاولاته توطين اليهود في رقعة جغرافية معينة ، بل قصد العالم الجديد (أمريكا) أيضا لنفس الغرض. حيث ألّف كتاباً عن هنود العالم الجديد (الهنود

---

(4)المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

(•)**كرومويل**) أولـيظر ، (1658-1599) : Cromwell (من مناصري الجمهورية في إنكلترا ، بث روح الثورة الإنكليزية و تزعمها، وكانت تلك الثورة ضد الجيوش الملكية و البرلمان ، و انتصر على جيش الملك شارلس الأول وحكم عليه بالإعدام ثم أخضع آيرلاندا وحل البرلمان و تولى الحكم بصورة ديكتاتورية وأنشأ الجمهورية في إنكلترا) 1648 . (

يقول وليام غاي كار : لما وقع الخلاف بين ملك انكلترا شارل الأول و بين البرلمان ، اتصل العملاء السريون لأحد زعماء المرابين العالميين اليهود في هولندا المدعو مناسخ بن إسرائيل(أي منسّى بن إسرائيل) بالقائد الإنكليزي المعارض أولـيظر كرومويل و عرضوا عليه مبالغ طائلة من المال إذا هو استطاع تنفيذ مشروعهم الخفي الرامي إلى الإطاحة بالعرش البريطاني ... وقد جاء في مكتوب لكرومويل في سجل من السجلات التي عثرت عليها ، وهو مؤرخ في السادس من حزيران 1647 : " سوف أدافع عن قبول اليهود في إنكلترا مقابل المعونة المالية، و لكن ذلك مستحيل طالما الملك شارل لايزال حياً "... فقد صفّى كرومويل جميع أعضاء البرلمان الإنكليزي الموالين للملك ... و في يوم 30 كانون الثاني 1649 نفذ حكم الإعدام فيه علنا . / المنجد في الأدب والعلوم، مادتا : (كرومويل) و (ثورة) ، غاي كار ، وليام : أحجار على رقعة الشطرنج ، المرجع السابق ، ص 63. 67 .

(•)كلمة» **مارانو** «أطلقت على أولئك اليهود المتخفين، في إسبانيا والبرتغال، الذين تراجعوا ظاهرياً عن اليهودية وادّعوا اعتناق الكاثوليكية حتى يتمكنوا من البقاء في شبه جزيرة أيبريا مع تَراجُع الحكم الإسلامي وبعد طَرْد يهود البرتغال عام 1480 وطَرْد يهود إسبانيا عام 1492. وقد أطلق عليهم أيضاً تعبير «كونفرسوس»، أي «الذين اهتدوا إلى دين جديد»، و«كريستاوس نوفوس ،« أو «المسيحيون الجدد /.«**موسوعة اليهود واليهودية ، م2 ، ج2 ، ب2 ، مدخل (يهـود المارانـو: تأريـخ وعقـيدة)** .

(1)المرجع نفسه ، مدخل (منسّى بن إسرائيل " 1604-1657 ") .

(2)أنظر المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

الحمر) [3]الذين سكنوا في أمريكا منذ القدم ، وحاول منسى في هذا الكتاب أن يثبت أن هؤلاء الهنود هم أسباط يسرائيل العشرة المفقودة .[4]

إذا ثبت ذلك فإن الهنود الحمر جماعة يهودية وهم أصحاب أمريكا الشرعيين ، إذن فإن أمريكا ملك لليهود! هذه هي النتيجة أو المعادلة . على ما أعتقد . التي أراد منسّى أن يعطيها للعالم الغربي حينذاك. وهذه الخطوة كانت ملائمة للوضع الدولي آنذاك ، حيث كانت أنظار الغربيين متجهة نحو العالم الجديد ، وكانت حركة استعمارية تجارية نحو أمريكا قد شغلت بال الطامعين الأوروبيين ، وكان من السهل استخدام الجماعات اليهودية كمادة بشرية فعالة في النشاط التجاري في عمليات ومشاريع تلك الحركة. إلا أن هذا لم يتم ، على الرغم من سعي منسى لتحقيقه . باعتقادنا . .

خامساً : ظهور المذهب البروتستانتي الداعم لعقيدة عودة اليهود إلى فلسطين .

هذا المذهب المسيحي بدأ بالظهور على يد المصلح الديني (مارتن لوثر) ، حيث نشر الفكر الإصلاحي في الأوساط المسيحية التي كانت تحت هيمنة المذهب الكاثوليكي .

إن كلمة (بروتستانت) مشتقة من الكلمة اللاتينية (Protesta) وتعني الإحتجاج و الرفض. [1]

أخذ لوثر يبث أفكاره و مبادئه بين تلاميذه دون تدخل السلطة أو الكنيسة ، وكانت دعوته منصبة على إنكار قدرة البابا على غفران الخطايا ، وإنكار احتكار تفسير الكتاب المقدس من قبل الكنيسة و رجال الدين ، و أعلن أن الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد ، و دعا كلَ من شاء المناقشة معه في هذا الموضوع . [2]

إلا أن السلطات المسيحية آنذاك في ألمانيا قامت بمحاولة كبح انتشار دعوة لوثر الإصلاحية . لذلك منذ اللحظة الأولى وضعت عراقيل أمام دعوته . فأُصدِر بحقه مرسومٌ كان جزء منه ينص على : "

---

(3)إسم يُطلق على الشعوب التي سكنت أمريكا الشمالية و الجنوبية قبل أن يصلهم الأوروبيون ، و حين وصل الأوروبيون اعتبروا أن الأراضي التي وصلوا إليها . في المرحلة الأولى من اكتشاف العالم الجديد . هي جزء من القارة الآسيوية ، من هنا أطلقوا عليها اسم (جزر الهند الغربية) West Indies ، و سمّوا سكانها (الهنود الحمر) .. أسلاف هنود الحمر كانوا صيّادين بدويين من الجنس المنغولي الآسيوي ، وقد هاجروا عبر مضيق بيرينج (Bering) إلى أمريكا الشمالية ، و تلك الهجرة من المحتمل أن تكون أثناء الفترة الجليدية الأخيرة (حوالي قبل 20,000 إلى 35,000 سنة) ، هؤلاء المهاجرون احتفظوا ببعض الميزات الثقافية الخاصة ، بضمن ذلك فقد دأبوا على تقاليد وأعمال مثل : إستعمال النار، الكلب المدجّن، ومناسك معيّنة. و الميزات الأخرى للثقافة العالمية القديمة (مثل : تربية الحيوانات ، زراعة بعض النباتات ، واستعمال العجلة والمحراث) التي كانت غائبة في القارتين الأمريكيتين . وقد أسسوا في مناطق أميركا المختلفة حضارات ، أهمها : حضارة (المايانيين) في أمريكا الوسطى ، و حضارة (الإنكاويين) في ثيرو ، و حضارة (شعب أزتيك) في المكسيك . لكن حين وصل الأوروبيون (أو الرجال البيض) إلى تلك المنطقة قد شنوا حروباً مدمّرة ضد الهنود (أصحاب الأرض) ، وقد أدت تلك الحروب إلى موت عدد كبير من الهنود الحمر و إلى انهيار حضاراتهم ، **Encyclopædia Britannica** / . مادة ، American Indian : بتصرف .

(4)أنظر موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (منسى بن إسرائيل " 1604–1657 ") ، المرجع السابق .

[1]غنيمة ، حارث يوسف : البروتستانت و الإنجيليون في العراق ، مطبعة (المكتبي) ، بغداد ، 1998 ، ص 19 .

[2]أنظر عبد الحميد البطريق و عبد العزيز نوّار : التأريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر ، دار الفكر العربي ، 1982 م ، ص 95 ، المخلصي، منصور : الكنيسة عبر التأريخ ، سلسلة قديسون و آباء الكنيسة (3) ، من إصدارات كلية بابل للفلسفة و اللاهوت ، المركز الثقافي ، بغداد ، 1995م ، ص 190 .

يجب أن يعتبر مارتن لوثر من كل منا و منكم ومن كل واحد ، عضواً مقطوعاً من الكنيسة و من الله ، و منشقاً عنيداً و هرطوقاً مجاهراً ، ويجب القبض عليه حياً أو ميتاً . [3] "

إلا أن اللوثريين أعلنوا أنهم لن يذعنوا لتلك القرارات و لن يتقيّدوا بها ، بل يحتجون عليها بشدة .. ومن هنا أطلق على الذين احتجوا اسم (البروتستانت) . [4]

فالبروتستانتية تعني (الإحتجاجية) ، وقد استعملت للدلالة على جميع مؤيّدي حركة الإصلاح الديني ، ويُقال أيضاً (الكنيسة الإنجيلية) و يُقال لـ (اللوثريين) الإنجيليون أيضاً ، و ذلك لأنهم كانوا يعتبرون الإنجيل المصدر الوحيد للديانة المسيحية ، و بمعنى آخر فإن الإنجيليين يستغنون عن القرارات التي يصدرها البابا . [5]

وللمذهب البروتستانتي أتباع كثيرون ، و قد انتشر في إنجلترا و هولندا و ألمانيا وسويسرا و النرويج و فرنسا والدانمارك و السويد وفنلندا وآيرلندا وهولندا واسكتلندا و سويسرا وأمريكا الشمالية (كندا و الولايات المتحدة) و ليتوانيا و بلاد المجر و إسبانيا و إيطاليا . [1]

و في أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ،أصبحت (إنجلترا) أهمَ قوة استعمارية ، بعد أن تحولت عن الكاثوليكية وسيطر عليها المذهب البروتستانتي ، ونفضت النفوذ الاسباني عنها ، فراكمت ثرواتٍ هائلةً وسيطرت على رقعة كبيرة من الأرض .

والإمبراطورية العثمانية حينذاك وإن كانت قوية ولا تزال تحمي كل رعاياها ، إلا أنها ظهرت منها علامات ضعفها وجمودها.[2]

إن الكاثوليك كانوا يرفضون أي انفتاح نحو اليهود ، لذلك كانوا لم يبدوا اهتماماً بعقائد اليهود ، منها (عقيدة العودة) . حيث لم يكن في الفكر الكاثوليكي التقليدي قبل عهد الإصلاح الديني أدنى مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين، أو لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية، وكان القساوسة يرفضون التفسير الحرفي للتوراة ويفضلون تفسيرات لاهوتية أخرى وبخاصة المجازية التي أصبحت الأسلوب الرسمي للتفسير التوراتي. [3]

وبما أن المذهب البروتستانتي أكثر مرونةً وانفتاحاً تجاه الجماعات اليهودية ، فإن أول التفات مسيحي نحو اليهود قد بدأ بظهور البروتستانت . حيث ظهرت الصيغة الصهيونية " على شكل الأحلام الإسترجاعية في الأوساط البروتستانتية الإستعمارية ، وخصوصا في إنجلترا .[4] "

---

[3]نصرالله ، فرحان: مجلة الإصلاح ،المرجع السابق، ص78، نقلاً عن **History of the church – Iserloh , Erwin , Vol.V/p-79**

[4]عبد الحميد البطريق ، عبد العزيز نوار : التأريخ الأوروبي الحديث ، المرجع السابق ، ص 103 ، أبوزهرة ، محمد : محاضرات في النصرانية ، مط/ المدني ، ط3 ، 1385هـ .1966 م ، ص 199 .

[5]الساموك ، محاضرات في اليهودية والنصرانية ، المرجع السابق ، ص 81 .

(1)غنيمة ، البروتستانت و الإنجيليون في العراق ، المرجع السابق ، ص 28 . 37 ، الساموك ، المرجع نفسه ، ص 81 .

(2)أنظر موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج2 ، ب1 ، مدخل (السياق التاريخي والاقتصادي والحضاري للصهيونية).

[3]الشريف ، ريجينا: الصهيونية غير اليهودية ، جذورها في التاريخ الغربي ، ترجمة: أحمد عبدالله عبدالعزيز ، سلسلة عالم المعرفة ، رقم96 ، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ديسمبر1985) ، ص 26 ، بتصرف .

(4)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (السياق التاريخي والاقتصادي والحضاري للصهيونية) ، المرجع السابق .

أي ظهرت من بين البروتستانت دعوة لإرسال اليهود إلى فلسطين " والهدف من نقلهم هو الإعداد للخلاص المسيحي . [5] "

فقد كان البروتستانت يعتقدون بالأسطورة التوراتية القائلة بأن عودة اليهود إلى فلسطين هي بداية الظهور المسيحي أو الخلاص المسيحي ، حيث أول خطوة يقوم بها الماشيح هي إعادة اليهود إلى فلسطين. وقد نسى البروتستانت أن محاولتهم إعادة اليهود هي التدخل في الأمور الإلهية وخرق للنبوءة التوراتية . !

لاقت آراء لوثر تأييد الكثيرين . والتفّ حوله أتباع متحمسون من الساخطين على تصرفات الكنيسة في روما ، و عبّأ لوثر الرأي العام بسلسلة من الكتابات الدينية التي هاجم فيها الكنيسة الكاثوليكية بشجاعة فائقة ، خاصة في كتابه (تدمير الحصون الثلاثة لشرفاء ألمانيا) . و قد كانت الحصون الثلاثة عبارة عن : 1. الإدعاء بأن الكنيسة أعلى مقاماً من السلطة المدنية ، 2. الإدعاء بأن البابا وحده له السلطة أن يفسر الكتاب المقدس ، 3. الإدعاء بأن البابا فقط له حق دعوة مجمع الكنيسة العام . [1]

فقد طالب لوثر بتجريد رجال الدين من جميع امتيازاتهم ، و أن من حق الجميع تفسير الكتاب المقدّس ، والجميع لهم السلطة في الكنيسة ، والمغفرة تأتي بالإيمان وليست عن طريق بابا الكنيسة .[2]

إن سلب حق رجال الدين الوحيد في تفسير الكتاب المقدس وإعطاء هذا الحق للجميع أدّى إلى تغيير مسار ومنهجية تفسير الكتاب المقدس ، وهذا كان بداية تيلور التفسير المسيحي الصهيوني .

وقد فرض المذهب البروتستانتي تفسيراً لبعض نصوص العهد القديم ، وكان هذا التفسير يقوم على التزام بعض النبوءات المزعومة في العهد القديم والتي تؤسس لاغتصاب فلسطين ، وذلك تحت ستار أنها أرض الميعاد .

وبذلك ولدت ظاهرة جديدة أطلق عليها الدارسون اسم (صهيونية الأغيار) أو (الصهيونية المسيحية) ، وهذا النمط يؤكد على ضرورة إعادة أو إرسال اليهود إلى فلسطين . يقول صاحب كتاب (الصهيونية غير اليهودية) " : [3]إن حركة الإصلاح الديني البروتستانتي ، بإتاحتها الفرصة للنهضة اليهودية القومية ، وعودتهم الجماعية إلى فلسطين هي التي ابتدأت سجلا جديدا للصهيونية غير اليهودية . "

إن البروتستانتية أيدت فكرة عودة اليهود إلى فلسطين بسبب إيمانها بأن اليهود سيجمعون في فلسطين من جديد للإعداد لعودة المسيح المنتظر الذي سيقوم بتنصيرهم ، أي إن اليهود سيعترفون بالمسيح مع المجيء الثاني ، وبالتالي يبدأ عهد يمتد لألف سنة من السعادة وبعد ذلك تنتهي الحياة.([4])

وقد جاء هذا الدعم البروتستانتي للمشروع الصهيوني (أي إعادة اليهود إلى فلسطين) من خلال تمسكه بالعهد القديم الذي يؤكد في كثير من آياته على أسطورة عودة اليهود إلى أرض الأجداد ، كمقدمة

---

(5)المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

[1]لوريمر ، جون : تأريخ الكنيسة ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 123 .

[2]عبد الحميد البطريق ، وعبد العزيز نوار : التأريخ الأوروبي الحديث ، المرجع السابق ، ص 196 ، الساموك : محاضرات في اليهودية والنصرانية ، المرجع السابق ، ص 56 .

(3)الشريف ، ريجينا: الصهيونية غير اليهودية ، المرجع السابق ، ص26.

(4)أنظر نصر الله ، فرحان : الإصلاح المسيحي..أبعاده الدينية والتاريخية ، مجلة (الإصلاح) ، المرجع السابق ، ص75.

للخلاص المسيحي (أي عهد الخلاص المسيحي) . إضافة إلى أن اليهود لم يعودوا أعداء المسيحية في نظر قائد الفكر الإصلاحي المسيحي (مارتن لوثر) ، أي إن فكرة معاقبة اليهود على جريمة (صلب المسيح) قد تلاشت عند البروتستانت ، بينما كان الكاثوليك يروجون لهذه الفكرة منذ زمن بعيد . ([5])

يقول صاحب (الصهيونية غير اليهودية) " : [6] جاءت البروتستانتية بفكرة إقامة الحقيقة الدينية على أساس الفهم الشخصي دون فرض قيود على التفسيرات التوراتية، فكان كل بروتستانتي حراً في دراسة الكتاب المقدس واستنتاج معنى النصوص التوراتية بشكل فردي، وهكذا فتح الباب للبدع في اللاهوت المسيحي وأصبح التأويل الحرفي البسيط هو الأسلوب الجديد في التفسير بعد أن هجر المصلحون البروتستانت الأساليب التقليدية الرمزية والمجازية . "

إن الإهتمام البروتستانتي بالعهد القديم قد أثر على الأوروبيين عموماً ، وذلك لأن البروتستانت كثر عددهم بشكل سريع ، حيث كانوا في بداية القرن السابع عشر يشكلون أغلبية السكان في بريطانيا والولايات المتحدة وهولندا ونصف سكان ألمانيا ، واهتمام البروتستانت بالعهد القديم باعتباره كلمة الله والمرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد ، من خلال تفاسيرهم له وطبع هذه التفاسير بكل اللغات الأوروبية ، قد جعل الأوروبيين يتمسكون بتعاليم وأساطير العهد القديم ، منها أسطورة (الشعب المختار) و(الأرض الموعودة) ، خاصة وأن البروتستانت آمنوا بوجوب التعامل الفردي المباشر مع نصوص الكتاب المقدس تاركين الأساليب المجازية التقليدية في تفسير هذه النصوص ، وكان أول ما يفتحون العهد القديم فتقع أعينهم على التنبؤات و الوعود اليهودية فيفهمونها بحرفيتها دون تأويل و يعتقدون مضمونها .وقد ثبت في أذهانهم أن فلسطين هي (أرض الشعب المختار التي أعطاها الله لإبراهيم و نسله من بعده) .[1]

وكان كل هذا واكب الحركة الاستعمارية الغربية بقيادة بريطانيا المتحولة إلى البروتستانتية ، ومن هنا نستطيع أن نقول : إن نظرة البروتستانت هذه قد كانت في خدمة المشاريع الاستعمارية البريطانية ، التي كانت تحاول السيطرة على أكبر عدد من الأراضي.

"لم يعد العهد القديم ، أكثر الآثار الأدبية شيوعاً بين عامة البروتستانت فحسب ، بل إنه أصبح مصدر المعلومات التأريخية العامة ، وكانت هذه هي الفترة التي بدأت فيها عملية التزوير التاريخي. وقد وجد التزوير الصهيوني الحالي للتاريخ الذي يدعي (حقا تاريخيا) في فلسطين ، مادته المسيحية في التمسك بحرفية الكتاب.[2] "

إن التعاليم التوراتية المتعلقة بفلسطين كانت مدخل الإختراق اليهودي الصهيوني للمعتقدات المسيحية السائدة التي أهملت الأساطير والمفاهيم القومية الواردة في العهد القديم ، فقد تسللت الفكرة الصهيونية القائلة بالحق التاريخي لليهود في فلسطين إلى تشكيل العقائد المألوفة للمسيحيين من خلال حركة الإصلاح المسيحي .

---

(5)أنظر المرجع نفسه ، ص76.

[6]الشريف ، ريجينا ، المرجع السابق ، ص 31 .

(1)أنظر نصر الله ، فرحان ، المرجع السابق ، ص79.

(2)الشريف ، ريجينا: الصهيونية غير اليهودية ، المرجع السابق ، ص33.

ومن الممكن أن نقول إن الأدبيات اليهودية التي تسرّبت إلى الفكرالمسيحي تدور حول أمور ثلاثة :.

"**الأمر الأول** : هو أن اليهود هم شعب الله المختار ، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم .

الأمر الثاني : هو أن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين ، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة .

الأمر الثالث : هو ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيون، أي بإعادة وتجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم " (1) .

وقد ترك هذا الاختراق الصهيوني آثاره على فكر و ذهن الأوروبيين ، " وأصبح الأوروبيون مهيئين للإعتقاد بأنه لم يكن هناك في فلسطين إلا الأساطير والقصص التأريخية والخرافات الواردة في العهد القديم ، والتي لم تعد تؤخذ على حقيقتها ، بل اعتبرت تاريخاً صحيحا. ولما كان التعليم الذي يتلقاه معظم الناس يتكون من قراءة الأدب التوراتي ، فقد أخذت الأجيال اللاحقة تعتبر فلسطين الوطن اليهودي...لقد كان هذا التلاعب بالتأريخ بدعة من بدع الإصلاح الديني ، إذ لم يكن استيلاء اليهود على فلسطين..أمراً يدور في أذهان حجاج القرون الوسطى .(2) " أي اليهود الذين كانوا يحجون القدس في تلك القرون . إذ كان أمر العودة إلى فلسطين شأناً إلهياً بحتاً في العقيدة اليهودية التوراتية ، حيث كانت العقيدة الصهيونية تؤكد على أن عودة اليهود إلى إرتس يسرائيل ستبدأ بعد أن يرسل الإله الماشيح المخلص ، وهو الذي سوف يقوم بإرجاع اليهود ، إلا أن البروتستانت بصياغتهم موديل العودة المادية العلمانية البشرية إلى فلسطين دون انتظار أي أمر الهي ، قد خالفوا الأساس الديني السائد في العقيدة المسيحية الكاثوليكية واليهودية الأرثوذكسية في مسألة عودة اليهود و مجيء الماشيح المخلّص.(3)

"ومن المفارقات أن اليهود أنفسهم كانوا يحاولون خلال هذه الفترة أن يجردوا الكتاب المقدس من الصبغة السياسية ، ففكرة المسيح المنتظر بين اليهود ، التي كانت مرتبطة بشكل وثيق بحركة الإصلاح الديني ، كانت تعارض التدخل البشري أو الدنيوي لتحقيقها وتتوقع بدلاً من ذلك أن تتحقق عن طريق التدخل السماوي.(4) "

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن دعوة البروتستانت لإعادة اليهود إلى فلسطين ليس لها بعد ديني . مسألة مجيء الماشيح وأسطورة الأرض الموعودة في العهد القديم . أو تنصيري . أي تنصير اليهود بعد مجيء الماشيح واعترافهم به . فحسب ، بل لها أبعاد سياسية تتعلق بوضع الدولة العثمانية التي تقع فلسطين في قلبها ، ولها أبعاد استعمارية اقتصادية أيضا خاصة إذا تذكرنا ما ذكرناه في السابق ، بأن إنجلترا المتحولة من الكاثوليكية إلى البروتستانتية كانت تتطلع إلى الاستيلاء على أكبر عدد ممكن من الرقعة الجغرافية ، خاصة التي تؤمن لها الطرق التجارية ، كما كانت فلسطين كذلك ، حيث هي تقع على الطريق المؤدي إلى الهند ، وكانت جسراً يربط بين العالم العربي الأفريقي ، والآسيوي.

---

(1)نصر الله ، فرحان ، المرجع السابق ، ص 78 ، نقلاً عن محمد السماك : الأصولية الإنجيلية ، ص 44 . 45.

(2)الشريف ، ريجينا: الصهيونية غير اليهودية ، المرجع السابق ، ص34.

(3)للتفصيل أنظر موسوعة اليهود واليهودية، م6 ، ج1 ، ب1 ، مدخل (الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة: تأريخ) .

(4)الشريف ، ريجينا: الصهيونية غير اليهودية ، المرجع السابق ، ص49.

يقول الدكتور (عبدالوهاب المسيري) " : [1]بدأ الرجال الأوروبيون ينظرون إلى فكرة عودة اليهود إلى صهيون على أنها وسيلة لطرد الأتراك من الشرق الأوسط . "

ويقول أيضاً : " وبما أن الأسطورة الدينية تتكيف مع الواقع الاقتصادي والتاريخي فإننا نجد أنها تتحول من مجرد فكرة دينية تؤكد على عودة اليهود إلى فلسطين لتحقيق النبوءة الإنجيلية لتصبح برنامجاً استعمارياً يؤكد على عودة اليهود الاستيطانية لفتح الأسواق (دون تأكيد لمسألة الهداية والتنصير)...وكانت فلسطين هي الأرض المقدسة أو إرتس يسرائيل ، لكنها في ذات الوقت تقع في قلب الإمبراطورية العثمانية ، شاءت الإرادة الإلهية أن تقع على الطريق المؤدي إلى الهند ، فالأسطورة إذن كانت ترتدي زياً دينياً مثالياً. كما كان لها بعدها السياسي في الوقت ذاته.[2] "

سادساً : حركة شبتاي تسفي (1676.1626)م ، الذي ادعى أنه مسيح اليهود المخلص ، فأخذ اليهود يستعدون للعودة إلى فلسطين ولكن مخلِّصهم مات . [1]

ولد شبتاي تسفي Shabettai Tzevi في أزمير بـ(تركيا) سنة (1626) ، وقد تلقى تعليما دينيا تقليدياً ، فدرس التوراة والتلمود ، ودخل في عقائد القبالاه فاستغرقته وخصوصا القبالاه اللوريانية بنزوعها

(1)الأيديولوجية الصهيونية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص132.

(2)المرجع نفسه ، ج1 ، ص132-133.

(1)الموسوعة الميسرة ، المرجع السابق ، ص332.

الغنوصي .[2]وقد كان تعلقه بالقبالاه بصورة " حتى صار يحب التعرض للشدائد ، وجعل يغرب جسده ، و أولع بالسباحة في البحر صيفاً وشتاء ليغالب الصعاب ، وكان كثيرا ما يقضي الليل ساهراً منشداً أشعاراً قبالية بالعبرية والآرامية. [3] "

"وتتزامن الفترة التي وُلد ونشأ فيها تسفي مع بداية تعاظم نفوذ الرأسمالية البريطانية والهولندية (البروتستانتية)، وبدايات مشروعهما الاستعماري العالمي، وبداية حلولهما محل المشروع الاستعماري الإسباني والبرتغالي (الكاثوليكي)... وشهدت هذه الفترة إرهاصات الفكر الصهيوني بين المسيحيين في إنجلترا، وبداية الاهتمام باليهود، واسترجاعهم كشرط أساسي للخلاص. وكانت هناك نبوءة تسري في الأوساط المسيحية (البروتستانتية الصهيونية في إنجلترا وبعض فرق المنشقين المسيحيين في روسيا) بأن عام 1666 هو بداية العصر الألفي الذي سيتحقق فيه استرجاع اليهود لفلسطين... وفي هذا الجو من الإحباط والثورات والتردي الحضاري والاقتصادي، حققت القبَّالاه اللوريانية انتشاراً غير عادي ...). ومن العوامل الأخرى الأساسية التي هيأت الجو للانفجار المشيحاني انتشار يهود المارانو في كثير من موانئ البحر الأبيض المتوسط والمدن التجارية، فقد كانوا يحملون فكراً قبَّالياً، كما أنهم كانوا يعانون من الضيق بعد أن شهدوا أيامهم الذهبية في الأندلس وإسبانيا المسيحية ، ... فإن كل هذا قد هيأ الجو لتصاعُد الحمى المشيحانية، وقامت أعداد كبيرة من اليهود بالإعداد لوصول الماشيَّح، وبدأت الإشاعات تنتشر عن جيش يهودي جرار يجرى إعداده في الجزيرة العربية ليخرج منها ويفتح فلسطين . في هذا المناخ ، ظهر شبتاي تسفي.[4] "

هذه هي البيئة التي ساعدت تسفي في تهيئة الجو لإعلان نفسه كالماشيح المخلص لليهود. وقصة ادعاءه ذلك ، هي كما يلي:

"قام تسفي بخرق الشريعة عامداً عام 1648، فأعلن أنه الماشيَّح، ونطق باسم يهوه (الأمر الذي تحرمه الشريعة اليهودية)، وأعلن بطلان سائر النواميس والشريعة المكتوبة والشفوية. ولتأكيد مشيحانيته، طلب أن تُزَفَّ التوراة إليه، فهي عروس الإله. وقد رفض الحاخامات الاعتراف به، فطُرد من أزمير. وقد تنقَّل تسفي في الأعوام العشرة التالية في مدن اليونان، ... ثم رحل إلى فلسطين عام 1662. وقد بشَّر به اليهودي الإشكنازي نيثان الغزاوي عام 1664، على أنه الماشيَّح الصادق الموعود، وأنه ليس مجرد المسيح ابن يوسف، وإنما هو المسيح بن داود نفسه. وأعلن نيثان أنه هو نفسه النبي المرسل من هذا الماشيَّح، وكتب عدة رسائل لأعضاء الجماعات اليهودية يخبرهم فيها بمقدم الماشيَّح الذي سيجمع الشرارات الإلهية التي تبعثرت أثناء عملية الخلق، والذي سيستولى على العرش العثماني ويخلع السلطان (وهذه من الأفكار الأساسية للقبَّالاه اللوريانية). [1] "

---

(2)موسوعة اليهود واليهودية ، م5 ، ج2 ، ب20 ، مدخل (شبتاي تسفي) 1626-1676 () ، و نويهض: بروتوكولات.. ، المرجع السابق ، ج2 ، ص215.

(3)نويهض ، المرجع نفسه ، ص215.

(4)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (شبتاي تسفي) 1626-1676 () ، المرجع السابق .

(1)المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

وقد بدأ شبتاي تسفي بدعوته الماشيحانية ، لذلك قام قبل كل شيء بدخول القدس " في مايو عام 1665، وأعلن أنه المتصرف الوحيد في مصير العالم كله، وركب فرساً (كما هو متوقع من الماشيَّح) وطاف مدينة القدس سبع مرات هو وأتباعه، وقد عارضه الحاخامات وأخرجوه من المدينة. ولكن تسفي أعلن عام 1666 أنه سيذهب إلى تركيا ويخلع السلطان. وقد زاد ذلك حدة التوقعات المشيحانية بين يهود أوربا وزاد حماسهم. وقد وصلت الأنباء إلى لندن وأمستردام وهامبورج. وصارت الجماهير اليهودية تحمل بيارق الماشيَّح في بولندا وروسيا " .[2]

" فانتشرت التوبة بين اليهود ، وكان منهم أناس انقطعوا عن الدنيا. منشورات شبتاي جابت كل بلد فيها يهود. توقفت الأعمال التجارية في بعض الأماكن. تجار تبرعوا بالذخيرة والأطعمة لتشحن إلى فلسطين في البحر...في همبورغ في ألمانيا صار اليهود يرقصون في الكنيس .[3] "

"ومما يجدر ذكره أن أهم مؤسسة يهودية في العالم آنذاك ، وهي مجلس البلاد الأربعة ، اكتسحتها الحمي المشيحانية فأرسلت مندوبيين عنها للحديث معه والاعتراف به (ولم تصدر هذه المؤسسة قرارا بطرده إلا عام (1670) بعد تردد طويل) بل إن بعض الأوساط المسيحية بدأت تؤمن بأن تسفي سيتوج ملكا على فلسطين.[4] "

جاء في كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) " :[5]اشتد هوس شبتاي فقسم فلسطين ، وقسم العالم إلى 38 مملكة ، وعين ملكاً من قبله على كل منها. وصارت صلوات اليهود في الكنيس تفتتح (بيا سيدنا ومولانا) و(يا ملكنا . المقدس التقي شبتاي لاوي مسيح رب إسرائيل!) ، وأغفل الدعاء لسلطان بني عثمان...السلطان العثماني في ذلك الوقت كان محمد الرابع (1687.1648)...وصار شبتاي يوقع منشوراته السرية: (شبتاي بن داود وسليمان) " ، أو " (ابن الإله البكر) و (أبوكم يسرائيل) و (أنا الرب إلهكم شبتاي تسفي). [6] "

وقد وصل تأثير شبتاي في الأوساط الدينية اليهودية والعالم جميعا إلى حد ، كان سبينوزا الفيلسوف الهولندي الملعون من قبل المؤسسة الدينية اليهودية العليا في زمانه (كما بينا ذلك في المباحث السابقة من هذه الدراسة) قد وقع تحت تأثيره ، حيث سُئِلَ " عن رأيه في المسيح شبتاي لاوي فقال: إنه لا يرى سبباً عقلياً يمنع إمكان إعادة الحكم الزمني إلى اليهود . [1] ! "

فلم تعد الإمبراطورية العثمانية تتحمل هذا الوضع ، لذلك حاولت اعتقاله ، وكان قد تم ذلك عندما " توجه تسفي إلى إستنبول في فبراير عام (1666) حيث القي القبض عليه...تم سجنه في قلعة جاليبولي المخصصة للشخصيات المهمة... فقدم للمحاكمة وخُير بين الموت أو أن يعتنق الإسلام ، فأشهر إسلامه

---

(2)المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

(3)نويهض: بروتوكولات حكماء صهيون ، المرجع السابق ، ج2 ، ص216.

(4)موسوعة اليهود واليهودية، مدخل (شبتاي تسفي) 1626–1676 () ، المرجع السابق .

(5)نويهض ، المرجع السابق ، ج2 ، ص217.

(6)موسوعة اليهود واليهودية، مدخل (شبتاي تسفي) 1626–1676 () ، المرجع السابق .

(1)نويهض : بروتوكولات .. ، المرجع السابق ، ج2 ، ص217.

وتعلم العربية والتركية ودرس القرآن. وأسلمت زوجته (•) من بعده ، ثم حذا حذوه كثيرٌ من أتباعه الذين أصبح يُطلق عليهم اسم (دونمه).[2] "

"في أثناء هذه الحوادث كان أتباع شبتاي في بيت المقدس وصفد قد أشاعوا (أن شخصية شبتاي قد عرجت إلى السماء ، وحل محلها بأمر الله مسيح يرتدي ثوب مسلم) . [3] "

وقد نجح شبتاي في إقناع السلطة العثمانية بأنه قد أسلم ، إلا أنه " واصل دعوته الهدامة من موقعه الجديد كمسلم... وأمر أتباعه بأن يظهروا الإسلام ويبقوا على يهوديتهم في الباطن... طلب من الدولة السماح له بالدعوة في صفوف اليهود فسمحت له بذلك فعمل بكل خبث واستفاد من هذه الفرصة العظيمة للنيل من الإسلام .[4] " فقد أفهم اليهود حقيقة ما يدور في ذهنه " وراح يقنعهم بأن يفعلوا فعلته... فأسلموا . هؤلاء هم الذين يقال لهم (الدونمة) " ، [5] " اتضح للحكومة بعد أكثر من (10) سنوات أن إسلام شبتاي كان خدعة ، فنفته إلى ألبانيا ومات بها .[6] "

تقول موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " : [7] تُعتبَر حركة شبتاي تسفي أهم الحركات المشيحانية على الإطلاق، فقد هزت اليهودية الحاخامية من جذورها، حتى لم تقم لها قائمة بعد ذلك. وانتشر أتباع تسفي في كل مكان، وانتشر معهم الفكر الشبتاني حتى بين بعض القيادات الحاخامية ، .... وثمة رأي يذهب إلى أن تسفي بهجومه على اليهودية الحاخامية التقليدية مهد الطريق للصهيونية التي ترفض القيود الدينية، كما ترفض الأوامر والنواهي وتُعلِّي الذات القومية على كل شيء. كما أن توجُّه تسفي للعمل على العودة الفورية إلى فلسطين يشبه، في كثير من النواحي، المشيحانية الصهيونية العلمانية التي ترفض الموقف الديني التقليدي الذي ينصح اليهود بالانتظار، بل تبادر إلى الإسراع بالنهاية ليبدأ العصر المشيحاني دون انتظار مشيئة الإله. وقد كان تيودور هرتزل معجباً للغاية بتسفي وكان يفكر في كتابة أوبرا عنه لتمثيلها في الدولة الصهيونية بعد إنشائها. "

-

(•) إسمها (سارة) وهي امرأة يهودية بولندية آمنت به ، وتزوجت منه. أنظر المرجع نفسه ، ج2 ، ص222 ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، المرجع السابق ، ص 559.

(2)موسوعة اليهود واليهودية، مدخل (شبتاي تسفي) 1626-1676 () ، المرجع السابق.

(3)نويهض ، المرجع السابق ، ج2 ، ص220.

(4)الموسوعة الميسرة ، المرجع السابق ، ص559.

(5)عجاج نويهض ، المرجع السابق ، ج2 ، ص221..ولمزيد من المعلومات حول يهود الدونمة ، أنظر: الموسوعة الميسرة ، المرجع السابق ، ص559-561.

(6)الموسوعة الميسرة ، المرجع نفسه ، ص559.

(7)مدخل (شبتاي تسفي) 1626-1676 () ، المرجع السابق.

المبحث الثاني : الإتّجاه الصهيوني في القرن التاسع عشر

المطلب الأول : قبل تأسيس المنظمة الصهيونية .. حركات ومفكرون

المطلب الثاني : المنظمة الصهيونية

أولاً : حركة رجال المال التي تزعمها روتشيلد وموسى مونتفيوري ، وكانت تهدف إلى إنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين كخطوة أولى لامتلاك الأرض و إقامة دولة اليهود.[1]

روتشيلد اسم لـ " عائلة من رجال المال ويهود البلاط الذين تحولوا بالتدريج إلى رأسماليين من أعضاء الجماعات اليهودية ، ويعود أصل العائلة إلى فرانكفورت في القرن السادس عشر. والاسم (روتشيلد) منقول من عبارة ألمانية تعني (الدرع الأحمر) وتشير كلمة (درع) هنا إلى ذلك الدرع الذي كان على واجهة منزل مؤسس العائلة (إسحاق أكانان) .[2] "

عن عائلة روتشيلد يقول صاحب كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) " :[3]كان (لآمش موسى باور) Amschel Moses Bauer ابن من مواليد عام (1743) اسمه آمشل ماير باور. توفي الأب عام (1754) عندما كان ابنه في الحادية عشرة من عمره وكان الولد يتمتع بذكاء لماع ومقدرة عظيمة...توفي أمشل ماير باور عام (1812) وكان له خمسة من الأولاد درّبهم تدريباً دقيقاً ليصبحوا من جهابذة المال والذهب . "

والأولاد الخمسة هم : " نيثان ماير روتشيلد (1777ـ1836)... تزوج أخت زوجة موسى مونتفيوري الثري والمالي اليهودي وزعيم الجماعة اليهودية في إنجلترا... وبعد وفاة نيثان ماير ، تولى أكبر أبنائه ليونيل نيثان روتشيلد (1806ـ1879) إدارة مصالح بيت روتشيلد في لندن. وكان ليونيل أول عضو يهودي في البرلمان الإنجليزي... أما ابنه الأكبر ليونيل والتر روتشيلد (1868ـ1937) فقد ترك عالم المال والبنوك وتخصص في علوم الأحياء والطبيعة... وقد أيد ليونيل منذ عام (1917) الجهود الدبلوماسية لكل من حاييم وايزمان (الذي أصبح أول رئيس لإسرائيل) وناحوم سوكولوف [*]الرامية إلى إصدار تعهد بريطاني بشأن تأسيس (وطن قومي لليهود). وكان ليونيل روتشيلد يرى أن الوجود الصهيوني في فلسطين لابد أن يأخذ شكل دولة لا شكل وطن قومي وحسب ، وأن هذا يخدم مصالح الإمبراطورية

---

(1)الموسوعة الميسرة ، المرجع السابق ، ص332.

(2)موسوعة اليهود واليهودية ، م3 ، ج1 ، ب9 ، مدخل (عائلة روتشيلد).

(3)غاي كار ، وليام : أحجار على رقعة الشطرنج ، المرجع السابق ، ص76.

(*)**ناحوم سوكولوف** ، (1859–1936) : صحفي وكاتب بولندي، وأحد قادة الحركة الصهيونية والمؤرخ الرسمي لها ... كَتَب قصصاً وأشعاراً ومسرحيات بالعبرية (وكان مُلمّاً بلغات أخرى مثل اليديشية والألمانية والفرنسية والإسبانية والإيطالية)... لم يكن في البداية متحمساً لحركة أحباء صهيون، فكتب مهاجماً بنسكر وكراسته، وهاجم كتاب هرتزل دولة اليهود. ولكنه، بعد حضوره المؤتمر الصهيوني الأول (1897)، تغيَّر مجرى حياته وأصبح من كبار المعجبين بهرتزل، وترجم أعماله إلى العبرية) 1885...(ولسوكولوف عدة مؤلفات حاول أن يشرح فيها وجهة النظر الصهيونية أهمها (الكراهية الأزلية للشعب الخالد)، (إلى سادتنا وأساتذتنا) (تأريخ الصهيونية) وهو أهم و أشهر كتابه الذي يحلل فيه الجذور الغربية للفكرة الصهيونية./ موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج2 ، ب9 ، مدخل (ناحوم سوكولوف) 1859–1936 () .

البريطانية ، ومن ثم مصالح عائلة روتشيلد. وعند إصدار (وعد بلفور) ،(*)كان روتشيلد رئيساً شرفياً للاتحاد الصهيوني لبريطانيا وايرلندا. كما كان أثناء الحرب العالمية الأولى (**) من مؤيدي إنشاء الفيلق اليهودي الذي دخل فلسطين مع الجيش البريطاني... واصل آمشل مايرفون روتشيلد (1855.1773) أعمال الأسرة في فرانكفورت ، وقدم قروضاً كبيرة لعديد من الحكام الألمان. وكان آمشل أكبر ممولي الحركة اليهودية الأرثوذكسية...ومن بين الأبناء الخمسة أيضا ، (إدموند روتشيلد) (1934.1845) الذي تعود أهميته إلى دعمه للنشاط الاستيطاني اليهودي في فلسطين .[1] ‘‘

هؤلاء الأفراد من عائلة روتشيلد كانوا في القرن التاسع عشر والعشرين سنداً مالياً قوياً للمشروع الاستيطاني الصهيوني ، وعندما يقال أنهم أحد الجذور التأريخية للصهيونية ، فإن المراد به دعمهم الكبير في شراء الأراضي الفلسطينية وإنشاء مشاريع ضخمة في فلسطين كانت قد ساعدت في دعم المستوطنين للبقاء فيها . فمثلاً تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [2] ما كان بوسع المستوطنات الأولى التي أقيمت في فلسطين الاستمرار لولا معونات روتشيلد ، (***) وقد وصل إنفاقه على المستوطنين خلال الفترة بين (1883) و (1899) نحو (1.600.000) جنيه إسترليني في حين كان إسهام حركة أحباء صهيون (87.000) جنيه إسترليني فقط. وقد اشترى روتشيلد أرضا في فلسطين أواخر عام (1883) لإقامة مستوطنة زراعية نموذجية لحسابه الخاص أطلق عليها اسم والدته. كما أسس عدة صناعات للمستوطنين الصهاينة مثل صناعة الزجاج وزيت الزيتون ، وعددا من المطاحن في (حيفا) ، وملاحات في (عتليت) ، كما ساهم في تأسيس هيئة كهرباء فلسطين عام (1921). إلا أن أهم الصناعات التي أقامها وأوسعها نطاقا كانت صناعة النبيذ التي كان يسعى روتشيلد إلى ربطها بصناعة النبيذ المملوكة لعائلة روتشيلد في فرنسا. وقد وصل حجم رعاية روتشيلد ودعمه للمستوطنات إلى الحد الذي أكسبه لقب (أبو اليشوف) أي أبو المستوطن الصهيوني. ‘‘

إن الثروات الضخمة التي كانت عائلة روتشيلد تتمتع بها كانت عونا كبيراً للمستوطنين اليهود في فلسطين ، الذين أراد المفكرون الصهاينة والحركات ذات النزعات الصهيونية أن يبقوا في فلسطين كمقدمة لتنفيذ المشروع الصهيوني الكبير الذي كان عودة اليهود إلى إرتس يسرائيل.

(*)حول هذا الوعد أنظر ص (315) من هذه الدراسة .

(**)الحرب الكونية الأولى (1914-1918) : تجابهت فيها ألمانيا و حلفاؤها (النمسا ، المجر، بلغاريا، الدولة العثمانية) مع دول التحالف(فرنسا، بلجيكا، انكلترا، إيطاليا، روسيا، برتوغال ، سربيا ، رومانيا ثم ، بعد 1917 ، الولايات المتحدة) . أشهر مواقعها: وقوف الزحف الألماني في نهر المارن (أيلول 1914) وحصار ظردون ، كان فيها الإنتصار النهائي للحلفاء . / المنجد في الأدب و العلوم ، مادة : حرب.

(1)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (عائلة روتشيلد) ، المرجع السابق.

(2)المرجع نفسه ، م6 ، ج2 ، ب5 ، مدخل (إدموند دي روتشيلد).

(***)هنا يقصد به ادموند دي روتشيلد) 1845-1934. (

ويكشف لنا صاحب (أحجار على رقعة الشطرنج) تفاصيل أخرى حول عائلة روتشيلد ، تتعلق بقضايا خطيرة. وهنا نتركه كي يتحدث لنا عن المسألة ، [1] فيقول : " في عام (1773) حين كان ماير روتشيلد لا يزال في الثالثة والثلاثين من عمره دعا لملاقاته في فرانكفورت اثني عشر رجلا من كبار الأغنياء والمتنفذين. وكان هدف باور من هذا الاجتماع هو إقناعهم بوجهة نظره التي تتلخص في أنه إذا وافق هؤلاء الأثرياء على تجميع ثرواتهم وتأسيس مجموعة واحدة فإن بإمكانهم أن يمولوا الحركة الثورية العالمية ويستخدمها وسيلة عمل للوصول إلى الهدف الأسمى وهو السيطرة على الثروات والموارد الطبيعية واليد العاملة في العالم بأجمعه.[2]"

يكشف (أحجار على رقعة الشطرنج) المخططَ الذي عرضه باور في اجتماعه مع هؤلاء الرجال الأغنياء الكبار ، ويسرد أقواله التي تشكل خطة عمل منظمة..نحن هنا نورد بعضا من تلك الأقوال على سبيل المثال ، ولتوضيح المهمة الخطيرة التي أخذت عائلة روتشيلد اليهودية تنفيذَها على عاتقها بدقة ، وهي في الأخير تخدم المشروع الصهيوني المتمثل في تمتين الوجود اليهودي في الشرق الأوسط ، والاستيلاء على ثروات وقدرات الأمم والشعوب ، تحقيقاً للوعد الإلهي المزعوم في التوراة بجعل الشعب اليهودي مسيطراً ومهيمِناً على جميع الشعوب ، لأنه شعبه المختار . والأقوال هي : .

) "لا يستطيع التحكم في الجماهير وتسييرها بفعالية سوى حاكم طاغية. والطغيان المطلق هو السبيل الوحيد لبناء الحضارة. فالحضارة لا تبنيها الجماهير و إنما يبنيها الذين يقودون هذه الجماهير (وأرسل روتشيلد بعد ذلك التحذير التالي وهو (إن الحرية المطلقة تتحول إلى فوضى إذا ما حصلت عليها جماهير الشعب).[3] "

"ونصح روتشيلد بعد ذلك باستعمال المشروبات الكحولية والروحية والمخدرات والفساد الأخلاقي وكل أنواع الرذائل لإفساد الشبيبة الصاعدة لدى الأمم المختلفة وأوصى أن يقوم بكل ذلك العملاء السريون المنتشرون في أقطار الأرض. ونصح روتشيلد كذلك أن يتم تدريب هؤلاء العملاء لشغل وظائف مختلفة في المجتمع كأساتذة وكتبة ومربين ومربيات للبيوت ، كما أوصى بانتقاء نساء ليعملن في أماكن اللهو والفجور التي يرتادها الجوييم . وأضاف قائلا : ...ويجب أن نستغل كل شيء في سبيل الوصول إلى الهدف النهائي. [4] "

) " ليس هناك في العالم مكاناً لما يسمى بـ (الحرية) و (المساواة) و (الإخاء .[•] (ليست هناك سوى شعارات كنا أول من أطلقها على أفواه الجماهير ليرددها هؤلاء الأغبياء كالببغاوات ولن يتمكن عقلاء

---

(1)لمزيد من المعلومات حول عائلة روتشيلد ومخططاتهم ، أنظر غاي كار، وليام: أحجار على رقعة الشطرنج ، المرجع السابق ،ص76-89 ، ففي هذه الصفحات ترى تفاصيل مهمة حول عائلة روتشيلد وإمبراطوريتها المالية.

(2)المرجع نفسه ، ص77.

(3)نقلاً عن المرجع نفسه ، ص80.

(4)المرجع نفسه ، ص 80-81 ، كلمة (جوييم) تلمودية بحتة كما بحثنا عنها في بدايات الدراسة ، وهي تعني الاغيار ، أي غير اليهود ، فتأمل.!

(•)تجدر الإشارة إلى أن هذه الشعارات كانت شعارات الثورة الفرنسية (1789.(

الجوييم من الاستفادة من هذه الشعارات المجردة ولن يستطيعوا أن يدركوا التناقض في محتواها). وقال: (سوف نبني على أنقاض نظام الجوييم المبني على أرستوقراطية النسب نظاماً يقوم على أرستوقراطية المال. وهذا النظام سيعتمد بالدرجة الأولى على الثروات وهي بكاملها في أيدينا.[1] " (

"سوف نفوز بفضل امتلاكنا الصحافة على سلاح ذهبي. ولا يهم كوننا لن نصل إلى السيطرة عليه إلا بعد خوض بحار من دماء ودموع الضحايا. لقد ضحينا في الأحيان بالبعض من شعبنا ، ولكن ضحية واحدة منا تعادل ألفاً من ضحايا الجوييم.[2] "

" إن بالإمكان دائما تنفيذ عكس الوعود التي قطعت للجماهير... فليس لذلك أية أهمية تذكر. واستنتج روتشيلد أن الجماهير يمكن أن تثار بإطلاق شعارات الحرية والتحرر إلى درجة من الحماس يمكن معها أن تعاكس حتى أوامر الله وقوانين الطبيعة. ثم أضاف: (ولهذا السبب فإننا بعد الحصول على السيطرة المطلقة سنمحي حتى اسم (الله) من معجم الحياة).[3] "

وحول دلالات الدرع الأحمر (روتشيلد) ، يعطي (أحجار على رقعة الشطرنج) نتيجةً غريبة ، فيقول[4] : " إن كلمة (إيدوم) Edom لها دلالتها في التأريخ اليهودي الحديث كما جاء في الموسوعة اليهودية. و(إيدوم) تعني (أحمر). ويقص علينا التأريخ كيف أن صائغاً يهودياً يدعى (آمشل موسى باور) [**]أنهكه التجوال في أراضي أوروبا الشرقية فقرر قراره على الاستقرار نهائياً في فرانكفورت بألمانيا عام (1750) حيث افتتح محلا للصيرفة...وفوق باب دكانه كان يعلق درعاً أحمراً رمزاً لمهنته. وهنا يجدر بنا أن نذكر أن الثوريين اليهود في أوروبا الشرقية اعتمدوا أيضا البيرق الأحمر شعارا لهم لأن اللون الأحمر يرمز إلى الدم...ومن المهم...أن نتذكر أن (العلم الأحمر) كان رمزا للثورة الفرنسية ولكل ثورة تلتها حتى الآن. والأكثر من ذلك دلالة هو أن (لينين) عندما قلب الحكومة الروسية بتمويل من الصيارفة العالميين وأسس الدكتاتورية الطاغية الأولى عام (1917) كان تصميمه لراية الدولة علما أحمر في طرفه مطرقة ومنجل وتعلو ذلك كله نجمة يهوذا. "

هذا بالنسبة لعائلة روتشيلد ، أما الطرف الآخر الذي اشترك في زعامة حركة رجال المال التي أشرنا إليها في بداية النقطة ، فهو موسى مونتفيوري.

"ولد مونتفيوري في إيطاليا سنة (1784) وعاش مائة سنة ومات في لندن سنة) 1884 ، [1] " (موسى مونتفيوري عملاق مالي آخر ، وهو " زعيم الجماعة اليهودية في إنجلترا ، ومن كبار المدافعين عن الحقوق المدنية لليهود في إنجلترا والعالم...وقد ارتبط بعائلة روتشيلد المالية الثرية من خلال

---

(1)نقلاً عن المرجع نفسه ، ص81-82.

(2)نقلاً عن المرجع نفسه ، ص82-83.

(3)نقلاً عن المرجع نفسه ، ص84.

(4)المرجع نفسه ، ص75-77. تجدر الإشارة إلى أن لون علم الدولة التركية الحديثة التي أُسست على أنقاض الدولة العثمانية أحمر أيضاً ، وقد أجمع عديد من المؤرخين على وجود يد يهودية خفية وراء سقوط الدولة العثمانية.

(**)هو أب عائلة روتشيلد كما وضحنا ذلك في بداية الكلام عن عائلة روتشيلد ، ومنه انحدر أبناؤه الخمسة الذين أداروا الإمبراطورية المالية التي خلفها لهم أبوهم.

(1)نويهض: بروتوكولات.. ، المرجع السابق ، ج2 ، ص259.

المصاهرة...وقد كان مونتفيوري ثاني يهودي يتولى منصب عمدة لندن وأول يهودي يحصل على لقب (سير).[2] "

كان مونتفيوري بفضل أمواله ناجحا في كثير من أعماله لصالح الجماعات اليهودية ، و قد حاول منذ انتشار شهرته توطيد دعائم لتحقيق المشروع الصهيوني المتمثل في إرسال الجماعات اليهودية إلى فلسطين ، وإن كان مونتفيوري تظاهر بأن مساعداته لتوطين اليهود في فلسطين أو لإعانة المستوطنين فيها ، هي لمساعدة اليهود الذين يعيشون في فلسطين من أجل العبادة أو الزراعة في تربتها الطاهرة .

تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [3] قد كرس مونتفيوري جهوده.. للقضايا المرتبطة بأوضاع الجماعات اليهودية في شرق أوروبا والعالم الإسلامي ، وزار فلسطين سبع مرات ، وقدم لـ (محمد علي باشا) [4]عام (1838) خطة لتوطين اليهود في فلسطين تتضمن توفير وضع متميز لليهود وقدر كبير من الاستقلال الذاتي وتنمية المشاريع الزراعية والصناعية في فلسطين حتى يحقق اليهود الاعتماد على الذات. وفي المقابل ، اقترح مونتفيوري تأسيس البنوك في المدن الرئيسية في المنطقة لتقدم التسهيلات الإئتمانية للمنطقة بأكملها. وقد ساهم مونتفيوري في تأسيس بعض المستوطنات الزراعية في الجليل ويافا ، وأسس أول حي يهوي خارج أسوار مدينة القدس القديمة ، كما أسس بعض المشاريع الصناعية . "

والصيغة المتفقة عليها لفكرة مونتفيوري التي طرحها لـ (محمد علي) هي:

"أن يستأجر من محمد علي (200.100) قرية لمدة (99) سنة وهو يدفع أعشارها لـ (محمد علي) سلفا كل سنة في إسكندرية مع زيادة (20.10) بالمائة على معدل الأعشار العادية ، على أن تكون الأراضي خلال مدة الإجارة لا يد لأحد عليها ، واليهود أحرار في التصرف في الإنتاج داخل فلسطين وخارجها .[5] "

إن مونتفيوري نجح في إقناع (محمد علي) بخطته. لكن عاملا خارجياً حال دون نجاح الخطة من حيث التطبيق. وهو " خروج محمد علي من فلسطين تحت ضغط القوى العظمى في تلك الفترة. ومع ذلك ، نجح في إقناع السلطان العثماني بمنح الامتيازات التي كان يتمتع بها الأجانب لليهود في جميع أرجاء الإمبراطورية العثمانية.[1] "

في ختام هذه النقطة حول الحركة المالية التي تزعمها روتشيلد ومونتفيوري ، اتضح لنا أن الأموال الهائلة لهذين الطرفين كانت أكبر عون للمشروع الاستيطاني الصهيوني ، وهما قاما بدور أكبر من الحركات اليهودية الأرثوذكسية الصهيونية ، في مسألة مساعدة المستوطنين اليهود ، والمشروع

---

(2)موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج2 ، ب5 ، مدخل (موسى مونتفيوري) 1784-1885 ().

(3)المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

(4)**محمد علي** ، (1849-1769) : مؤسس السلالة الخديوية و الملوكية في مصر ، قتل المماليك في قلعة القاهرة ، بسط سيادته على الشرق الأدنى و السودان وجنوبي البحر الأحمر ، نظم الجيش وزاحم تركيا على السلطنة فاعترفت له و لسلالته بحق العرش ، فتح بلاده للتمدن العصري ./ المنجد في الأدب و العلوم ، مادة : محمد علي .

(5)نويهض ، بروتوكولات.. ، المرجع السابق ، ج2، ص268.

(1)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (موسى مونتفيوري) 1784-1885 ().

الاستيطاني بصورة عامة. وذلك يرجع إلى أن أموال روتشيلد ومونتفيوري كانت في حجم وبصورة أثرت على انطباع الدول الأوروبية والعربية (مثل مصر بزعامة محمد علي) ، بحيث كان روتشيلد ومونتفيوري يعبثان بسياسات تلك الدول حسب رغبتهما وبصورة تصب في مصلحة المشروع الصهيوني الاستيطاني. وذلك لأن الدول آنذاك غير مستغنية عن أموال ومشاريع رجال المال اليهود.

ومن هنا نستطيع أن نفهم خضوع محمد علي باشا بسهولة لخطط مونتفيوري ، أو مساعدة إنجلترا في تأسيس دولة اليهود ، خاصة وإذا تذكرنا أن روتشيلد ومونتفيوري كانا يعيشان في بريطانيا وكان لهما نفوذ واسع في تلك الدولة. فالحركة الاستيطانية التي مولها وتزعمها روتشيلد ومونتفيوري يمكن أن نسميها بـ (الحركة الصهيونية المالية الاستيطانية) ، أي كانت حركة تديرها وتوجهها النقود ، حتى جاءت الحركة الصهيونية السياسية في أواخر القرن التاسع عشر ، وألبست حركة الاستيطان لباساً سياسياً وقومياً..

ثانياً : الحركة الفكرية الإستعمارية التي دعت إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين في بداية القرن التاسع عشر .(1)

إن الحركة الإمبريالية (الاستعمارية) التي تصعدت وتيرتها في القرن التاسع عشر ، وجدت مصالح استراتيجية في المحاولة لتوطين اليهود في فلسطين (قلب العالم العربي والإسلامي). وقد هيأت أرضية خصبة لبروز الحركة الصهيونية السياسية التي دعت إلى نفس الهدف والمشروع .

لذلك " لم يكن من قبيل المصادفة أن تنشأ الصهيونية في أوروبا ، وأن يكون توقيت ظهور منظمتها في نهاية القرن التاسع عشر ، وأن تصوغ أيديولوجيتها على الوجه الذي صيغت فيه. فالأوضاع الاقتصادية والسياسية هي التي أوجدت التربة لظهور الصهيونية ، كما كوّن التنافس الاقتصادي بين الرأسماليين الأوروبيين واليهود تربة خصبة لحدوث هذا التبلور.(2) "

---

(1)الموسوعة الميسرة ، المرجع السابق ، ص332.

(2)أ. د. أسعد عبدالرحمن: دور الحركة الصهيونية في إقامة إسرائيل (قراءة عربية) ، في (مستقبل الحركة الصهيونية...) ، مجموعة باحثين ، المرجع السابق ، ص128.

إن للإستعمار الصاعد في القرن التاسع عشر نحو المنطقة العربية وفلسطين بالذات ، بُعدين : بُعد **اقتصادي** ، وآخر **سياسي** . فالإستعمار الغربي آنذاك قد اهتم بالبعد الإقتصادي للاستعمار ، حيث يستطيع أن يجني أرباحاً هائلة من الأسواق الخارجية المستهلكة. بالإضافة إلى أنه إذا تم إرسال اليهود إلى فلسطين فإن هذا معناه التخلص من هيمنة كبار الرأسماليين اليهود ، والبرجوازية اليهودية ، " التي كانت قد حققت في تلك الفترة ثروات هائلة مكنتها بالتالي من السيطرة على المواقع الأساسية في اقتصاد تلك الدول والمشاركة في رسم سياستها. فمن جهة كانت أنظار الرأسمالية الأوروبية تتجه نحو الشرق بعدما حققته وسائل الإنتاج من تطور أدى إلى فائض إنتاج يزيد على حاجة السوق الأوروبي ، الأمر الذي أدى للبحث عن أسواق خارجية لتصريف هذا الفائض. ومن جهة أخرى كانوا ينظرون إلى الرأسماليين اليهود كمنافسين للرأسمال الأوروبي ، ويعني ذلك أن الأوربيين كانوا يبحثون عن طريقة للتخلص من الرأسمالية اليهودية . [3] "

والبعد السياسي يتلخص في مهمة الاستيلاء على رقعة جغرافية مهمة تقع في قلب العالم الإسلامي تحت رعاية الإمبراطورية العثمانية.

"منذ بداية القرن التاسع عشر ، ظهرت في كل من فرنسا و إنكلترا في آن واحد تقريبا فكرة استغلال اليهود كإحدى أدوات التوسع الاستعماري في المنطقة العربية. لذلك دعت الدولتان إلى توطين اليهود في فلسطين لغايات اقتصادية وسياسية واستعمارية. وحيث أن مفكري الحركة الصهيونية ومن بينهم (ليو بنسكر) (1821-1894) [•] بدءوا يطرحون علنا فكرة إيجاد وطن خاص لهم في فلسطين لإدراكهم الدوافع الحقيقية وراء دعوة تلك الدول لإقامة دولة يهودية في فلسطين ، لذلك تلاقت المصالح الصهيونية مع المصالح الغربية. فاليهود يريدون وطنا ، والدول الغربية تبحث عن أداة لتسويغ فرض سيطرتها الاستعمارية على الدول العربية.[1] "

إن فرنسا وبريطانيا كانتا في أوج قوتهما الاستعمارية ، وكانتا في مقدمة باقي الدول التي تتطلع إلى الهيمنة على المنطقة العربية وثرواتها الهائلة. " وكان الوهن الذي دب في أوصال الدولة العثمانية (رجل أوروبا المريض) قد بدأ يظهر ويتضح ، وكانت كل القوى الغربية تفكر في طريقة للاستفادة من هذا الضعف لتحقق لنفسها بعض المكاسب .[2] "

والمنافسة الكبرى قد وقعت بين فرنسا وإنجلترا ، " فحين قامت الثورة الفرنسية ، تزعمت إنكلترا المعسكر المعادي للثورة ، في سبيل الوقوف بوجه إنجلترا أرسلت فرنسا حملة نابليون إلى مصر عام (1798) ثم إلى فلسطين عام (1799) . وخلال هذه الحملة وجه (نابليون) نداءه الشهير في 12 /آيار(مايو) /1799 ، إلى جميع يهود العالم يحثهم فيه على الانضمام تحت لوائه (لإعادة بناء مجد

(3)أ. د. أسعد عبدالرحمن ، في المرجع نفسه ، ص128.

(•)سيأتي الحديث عن مفكري الصهيونية الأوائل في القرن التاسع عشر في هذا المطلب ، ومن بينهم (ليو بنسكر).

(1)د. أسعد عبدالرحمن ، في المرجع نفسه ، ص89.

(2)موسوعة اليهود واليهودية.. ، م6 ، ج2 ، ب1 ، مدخل (الفكر الصهيوني والحركة الصهيونية: تأريخ موجز).

إسرائيل الضائع في القدس) ، ولتأسيس دولة يهودية تحت الحماية الفرنسية . أي قبل صدور (وعد بلفور) بـ(118) عاماً . ، وقال في ندائه : (يا ورثة فلسطين الشرعيين سارعوا إن هذه اللحظة المناسبة التي قد لا تتكرر لآلاف السنين وهي وجودكم السياسي كأمة بين الأمم وحقكم الطبيعي المطلق في عبادتكم كيهود طبقا لعقيدتكم علناًإلى الأبد).[3] "

وبذلك قد كان الصهاينة تقدموا إلى الأمام خطوة كبيرة ، حيث نالوا رعاية أكبر قوة في العالم آنذاك. وهذا النداء الصريح كان الأول من نوعه يصدر عن رئيس لدولة كبيرة ، وعن شخصية كبيرة آنذاك في الساحة السياسية والعسكرية.

لذلك " كان نابليون بونابرت (1821 - 1769) N. Bonaparte أول رجل دولة يقترح إقامة دولة يهودية في فلسطين سنة (1799) ، ...ورغم أن نص البيان الذي أصدره لليهود تهيمن عليه الروح الدينية ، إلا أن بعض الباحثين يرون أن ذلك كان ينسجم مع اهتمامه السياسي في الاستفادة من اليهود في خططه الاستعمارية.[4] "

إن دعوة التوراة والتلمود . بالإضافة إلى تأثير الحاخامات الصهاينة . إلى ضرورة ووجوب عودة اليهود (الشعب المختار) إلى أرض فلسطين ، كانت تشكل الأداة الجاهزة دائما بيد المستعمرين الغربيين ، ليستخدموها في أي وقت مهدت الفرصةُ فيه الطريقَ أمام تحقيق الخطط والأحلام الاستعمارية . كما رأينا في استغلال نابليون لمفهوم الأرض الموعودة ، أو عودة اليهود المزعومة إلى فلسطين عندما قال : (يا ورثة فلسطين الشرعيين) وتم ذلك في وقت كان المعسكر العثماني ظهر منه الضعف والزعزعة أمام قدرة الأوروبيين وقد " دعا اليهود عام (1806) إلى تأسيس المجلس الأعلى وحثهم على مساعدته في احتلال الشرق واعداً إياهم بمنحهم فلسطين ، فبدأ الكتاب اليهود يكتبون كلمات حماسية تشجع اليهود على الهجرة إلى فلسطين وتأسيس دولة لهم فيها. بل إن وايزمن وصف نابليون بأنه أول الصهيونيين الحديثين من غير اليهود.[1] "

وكثير من الدارسين للصهيونية دأبوا على استخدام مصطلح (صهيونية الأغيار) لهؤلاء الغير يهوديين الذين تبنوا فكرة عودة اليهود إلى فلسطين ، أو دعموا تلك العودة .

ولكن في الحقيقة هؤلاء دعموا المشروع الصهيوني الذي هو إرسال اليهود إلى فلسطين لأسباب ودوافع استعمارية (اقتصادية أو سياسية) ، وليس من باب قناعتهم بمبدأ (الشعب المختار والأرض الموعودة) الذي تقوم عليه فلسفة الصهيونية.

والبروتستانت إنما طالبوا بإعادة اليهود إلى إرتس يسرائيل ، فقط للتعجيل بالخلاص المسيحي الذي اشترط مجيئه بإعادة اليهود إلى فلسطين (كما بحثنا ذلك) ، وذلك يصح لنسبة قليلة منهم ، و يطلق عليهم اسم (الصهيونية المسيحية).

---

(3)أ. د. أسعد عبدالرحمن: دور الحركة الصهيونية ، المرجع السابق ، ص89.

(4)الشريف ، ريجينا: الصهيونية غير اليهودية ، المرجع السابق ، ص106-107.

(1)أ. د. أسعد عبدالرحمن: دور الحركة الصهيونية.. ، في (مستقبل الحركة الصهيونية) ، المرجع السابق ، ص90.

لذلك أرى أن نصنف هؤلاء الداعمين للمشروع الاسترجاعي الاستيطاني الاحتلالي الصهيوني . أي حركاتهم ودعواتهم . بـ (المشروع الصهيوني غيراليهودي) . فإن هناك فرقاً كبيراً بين (الصهيوني) الذي يستمد صهيونيته من النصوص اليهودية ووجدانه الصهيوني المنتمي إلى وهم العرق المتفوق ، وبين (الداعم للمشروع الصهيوني الذي لا يقوم دعمه على أساس ديني أو وجداني (روحي) ، وإنما على مصالح ذاتية ، فمتى تغيرت الظروف والفرص يمكن أن يراجع موقفه ، ويتخلى عن الدعم للمشروع الصهيوني.

نرجع إلى الكلام عن نابليون ودعمه للمشروع الصهيوني ، الذي يعد أول دعم من رئيس أوروبي يدعو اليهود مباشرة وبصراحة . وبنَفَس ديني . إلى الاستفادة من سيطرته على فلسطين والرجوع إليها . " لذلك يمكن القول إن أول من أثار فكرة استعمار فلسطين على يد اليهود هو نابليون بونابرت ، وإن فرنسا هي أول دولة أوروبية طرحت فكرة توطين اليهود في فلسطين.[2] "

" وقد فتحت حملة نابليون على مصر وفلسطين عيون بريطانيا على المنطقة فافتتحت قنصلية لها في القدس ، كلفتها بتوفير الحماية لليهود بشكل عام وليس لليهود البريطانيين فقط .[3] "

وعندما تمكنت بريطانيا من السيطرة على قبرص (1878) وعلى مصر (1882) أصبحت الدولة الاستعمارية الوحيدة التي لها قواعد في شرق البحر المتوسط ، وكان لقناة السويس [4]أهمية كبرى كشريان حيوي للمواصلات البريطانية مع مستعمراتها في الهند وجنوب شرق آسيا وغيرها ، وخشية بروز خطر إسلامي على هذه المصالح أو قدوم أي استعمار منافس إلى المنطقة ، ظهرت أهمية احتلال فلسطين لتأمين الجناح الشرقي لقناة السويس.[1]

هكذا عاون الاستعمار الغربي اليهود الصهاينة في ترسيخ فكرة العودة عندهم ، حيث لم يكن لهم أمل . في القرن التاسع عشر . بتحقيق حلم العودة بدون مساعدة الدول الاستعمارية الكبرى ، مثل فرنسا وبريطانيا. أي على هذا الأمل عاد إليهم نَفَسُ الصهيونية بقوة و فاعلية ، وعليه أيضاً أسّسوا المنظمة الصهيونية الهادفة إلى تحقيق احتلال فلسطين ، في أواخر القرن التاسع عشر .

ويمكن أن نفهم مدى اهتمام تلك الدول بمنطقة فلسطين كلها ، ومدى مهارة اليهود الصهاينة في كيفية توجيه واستخدام ذلك الاهتمام الاستعماري الغربي ، في أنه حين منعت السلطات العثمانية الهجرة اليهودية إلى فلسطين بشكل مؤقت سنة (1882) ، قد بادرت فرنسا وبريطانيا للتصدي لهذا القرار ، وبالفعل عادت وتراجعت الدولة العثمانية عن قرارها ، وذلك بفضل مهارة ودبلوماسية الحركة الصهيونية .[2]

---

(2)الشريف ، ريجينا: الصهيونية غير اليهودية ، المرجع السابق ، ص39.

(3)المرجع نفسه ، ص122–123.

(4)**قناة السُوَيْس** : ترعة تصل البحر الأحمر بالمتوسط، طولها 168 كم ، فتحت من بورسعيد الى السويس (1869) . / المنجد في الأدب و العلوم ،مادة : السويس .

(1)الشريف ، ريجينا ، المرجع السابق ، ص145.

(2)أ. د. أسعد عبدالرحمن: دور الحركة الصهيونية ، في (مستقبل الحركة الصهيونية) ، المرجع السابق ، ص91 ، بتصرف .

ثالثاً : إحدى الحركات الصهيونية التي قامت قبل تأسيس الحركة الصهيونية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر هي " حركة صهيونية عنيفة قامت إثر مذابح اليهود في روسيا سنة م1882 . [1] "

إن المذابح و الصعوبات التي تعرض لها اليهود في روسيا كانت بسبب " اشتراك فتاة يهودية في اغتيال القيصر سنة 1881 . وفي آيار /مايو 1882 ، أصدرت روسيا القيصرية قوانين قيدت فيها من حرية اليهود في روسيا في اختيار مكان الإقامة ، وتحديد عدد الطلاب اليهود في جميع المراحل التعليمية ، وخفضت نسبة العاملين في الجهاز القضائي ، ومنعتهم من الاقامة في موسكو ، ونتجة لذالك ، تراجعت دعوات اندماج اليهود في المجتمع الروسي و هاجرت أعداد هائلة منهم إلى الولايات المتحدة تقدر بـ (4) ملايين يهودي. [2] "

واليهود في روسيا كانوا يشكلون نصف يهود العالم في تلك الفترة . [3]

إن تلك الإضطهادات التي تعرض لها اليهود في روسيا لا شك أنها أثرت في سمعة وهيكلية القوى التي كانت تدعو إلى الإندماج في المجتمع الروسي كحل للمسالة اليهودية التي كانت أهم مسألة و معضلة شغلت بال الأوروبيين و الروس . لذلك " حين وجد اليهود ان قوى الاستنارة أعطت نتائج عكسية تجلت في ازدياد ظاهرة اللاسامية .[♦] راحت تظهر في أوساطهم فئات تطالب بحل المسألة اليهودية ، وكان ليو بنسكر أول من دعا إلى مواجهة السياسة القيصرية في روسيا اثر أحداث 1881 . 1882 في البيان الذي أصدره عام 1882 ودعا فيه إلى إقامة وطن للشعب اليهودي.[4] "

---

[1] الموسوعة الميسرة ، المرجع السابق ، ص 332

[2] أ. د. أسعد عبد الرحمن : دور الحركة الصهيونية .. ، في(مستقبل الحركة الصهيونية)، لمرجع السابق ، ص 92 ، نقلاً عن :
H.Ben sason (ed) .A history of the Jewish people , London,weiden feld and Nicolson,1976, p.760

[3] أنظر المرجع نفسه (د. أسعد عبدالرحمن) ، ص 92.

[♦] للمعلومات حول فكرة أو ظاهرة (اللاسامية) أنظر ص (264 . 270) من هذه الدراسة.

[4] المرجع نفسه ، ص 92.

إن دعوات الإندماج في الأوساط الفكرية اليهودية كانت تهدف إلى التخلي عن المفاهيم القومية (مثل الشعب المختار و العودة إلى فلسطين لتأسيس الدولة) ، لكي تتقلص المسافة بين الجماعات اليهودية و المجتمعات ، وذلك لانه لم يكن بالإمكان تحقيق تقليص تلك المسافة إلا بترك المفاهيم القومية و فلسفة الأغيار من قِبل الجماعات اليهودية ، و ترك العداء لليهود و اظطهادهم من قبل المجتمعات الغربية ، وكل ذلك لايمكن تحقيقه الا باتباع فلسفة الاندماج ، هذا هو الإطار الذي يعمل فيه الفكر الاندماجي الصادر من حركة الاندماج ، وحركة اليهودية الإصلاحية .

إلا أن تحقيق هذا الهدف في روسيا قد بات من المستحيل بعد المذابح و الاضطهادات التي ارتُكِبت بحقهم ، " بل ان حركة الهاسكالاه (التنوير اليهودي) التي بذلت جهودا من اجل نشر الافكار التحررية بين اليهود و نادت باندماجهم في مجتمعاتهم ، تحولت إلى حركة (أحباء صهيون) . [5] "

وكان هذا التحول تحولاً طبيعياً بالنظر إلى طبيعة أحوال اليهود الفكرية ، حيث كانت فكرة الإندماج مفضلة لدى المجتمعات التي كانت معدلات الفكر القومي الديني منخفضة عندهم ، وكانت منبوذة لدى الاخرى التي كانت تتمسك بالمفاهيم القومية الدينية بشدة .
أي كان في أي مكان يتراجع فيه الفكر الاندماجي ، فإن الدعوة إلى المفاهيم القومية (مثل الرجوع إلى ارتس يسرائيل ، و تأسيس الكيان اليهودي كحل وحيد للمسألة اليهودية) تتزايد و تتوسع . وهذا هو ما حصل في روسيا في ثمانينات القرن التاسع العشر ، بعد تزايد الاضطهادات ضد الجماعات اليهودية وتقلص مسيرة دعوات الاندماج.

"وهكذا كان للأفكار الصهيونية الأولى ، و ردود الفعل التي أحدثتها المذابح ضد اليهود 1881 . 1882 في روسيا ، أثر كبير في ولادة حركة (أحباء الصهيون).[1] "

وهي : " اسم يطلق على مجموعة من الجمعيات الصغيرة في روسيا التي كانت تضم اكبر جماعة يهودية في بولندا و و رومانيا و الإمبراطورية النمساوية المجرية و ألمانيا و إنجلترا و الولايات المتحدة ... وكان لهذه الجمعيات أسماء كثيرة تحمل معنى حب صهيون أو الرغبة في العودة ، كما كان هناك جمعيات تحمل اسماء مثل البيلو و قديما وجمعية بني موسى السرية . [2] "

وهكذا انتشرت الجمعيات (أحباء صهيون) في دول أوروبا ، " وكانت جمعيات أحباء صهيون في غرب أوربا تضم أساساً اليهود و المهاجرين من شرق أوربا و بعض العناصر المحلية القلقة من هذه الهجرة اليهودية .[3] " أي قد حاولت تلك العناصر المحلية التخلص من الجماعات القادمة من شرق أوروبا . التي تنظر إليها العناصر بأنها جماعات متخلفة ، وعنصر مضر للنشاط الاقتصادي الرأسمالي ، حيث كانت الجماعات قادمة من الشرق الإقطاعي . عن طريق الدعوة إلى تهجير اليهود إلى فلسطين .

---

[5]المرجع نفسه ، ص 92.

[1]المرجع نفسه ، ص 92.

[2]موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج2 ، ب7 ، مدخل (أحباء صهيون).

[3]المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

وسبب انتشار جمعيات أحباء صهيون من روسيا إلى الدول الغربية يرجع إلى الهجرة الهائلة التي بدأت اثر المذابح و الإضطهادات الروسية ،من روسيا باتجاه الدول الغربية خاصة (الولايات المتحدة) كما أشرنا إلى تلك الهجرة.

"وكان الهدف المشترك لهذه الجمعيات تشجيع الهجرة إلى الاماكن المقدسة و تقديم الدعم المادي للمهاجرين . [4] "

وقد بدأت جمعيات أحباء صهيون مشوارَها العملي في تنفيذ دعواتها للعودة إلى فلسطين بالدعوة " إلى تكوين مستعمرات زراعية في فلسطين ، وذلك بشراء الأرض من العرب مهما بلغ سعرها ، ودفع أكبر عدد من اليهود للهجرة إلى فلسطين ، بحيث يصبحون أكثرية بأسرع ما يمكن ، واشترك أثرياء اليهود بسخاء في تمويل هذه المشروعات وبخاصة المليونير روتشيلد الذي فتح خزائنه لهذا الغرض دون حساب " [1].

"ورغم تعدد الأسماء و الجمعيات ، إلا أن هذا يجب ألاّ يؤدي إلى تصور أن أحباء صهيون كانت حركة جماهرية اكتسحت يهود شرق اوروبا ، فهي قد ظلت حتى النهاية تنظيمات صغيرة من المثقفين و البرجوازيين الصغار ، وكانت كل جمعية تضم حوالي 100 إلى 150 عضوا ، وكان عددها 12 جمعية عام 1882 إلى 138 جمعية بين عامي 1889 و 1890 ، وتراوحت العضوية بين تسعة الاف واربعة عشرة ألفاً عام 1885 من مجموع يهود العالم البالغ حينذاك عشرة ملاين تقريباً .[2] " وقد تمسكت هذه الجمعيات بمفاهيم صهيونية كانت الاساس الذي قامت عليه الحركة الصهيونية الهرتزلية في اواخر القرن التاسع عشر ، وهي : " رفض الاندماج ، والايمان بأن معاداة اليهود ظاهرة أزلية ، ورفض الإنتظار السلبي للماشيح ، وكذلك حل المسالة اليهودية ، هنا في الارض وفي هذه الايام وليس هناك في السماء او في اخر الايام. [3] "

إلا أن هناك اختلافاً بين (أحباء صهيون) و (الحركة الصهيونية) ، بقيادة هرتزل ، وهو أن أعضاء أحباء صهيون رأوا " أن الحل ليس في الأرض بشكل عام وإنما في العالم الغربي وبين أثرياء اليهود هناك على وجه التحديد . وكانت هذه الجمعيات تسعى إلى حل مشكلة يهود شرق اوروبا عن طريق ما يسمى (جهودهم الذاتية) ، أي دون الاعتماد على الدول الغربية ، وذلك لتهجير من يريد منهم إلى أية بقعة في العالم وتوطينه فيها ، ثم استقر الاختيار على فلسطين. [4] "

---

[4] أ. د. أسعد عبدالرحمن ، في (مستقبل الحركة الصهيونية ..) ، المرجع السابق ، ص 92.

[1] شلبي ، د. احمد : مقارنة الاديان ، المرجع السابق ، ج1، ص 106.

[2] موسوعة اليهود و اليهودية ، مدخل (أحباء صهيون) ، المرجع السابق .

[3] المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

[4] المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

بينما اعتمدت الحركة الصهيونية على القوى الإمبريالية في تنفيذ خطة استيطان و احتلال فلسطين . أي " لعل الاختلاف الاساسي هو إدراك الحركة الصهيونية بعد هرتزل حتمية الاعتماد على الامبريالية الغربية لوضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ ، في الوقت الذي سقط فيه أحباء صهيون في وهم الإعتماد الذاتي.[5]"

وفي حين كان الفكر المشترك الذي يضم كل أعضاء جمعيات (أحباء صهيون) ، هو العمل من أجل تكوين مستعمرات زراعية في فلسطين ، وتوسيع نطاق المشروع الاستيطاني بصورة عامة .

"إلا أن أحد أعضاء جمعيات أحباء صهيون البارزين وهو آحاد هعام [*] ذهب إلى إعادة النظر في فكرة إقامة المستعمرات ، و أخذ يركّز على ضرورة الحفاظ على القيم الروحية اليهودية ، واكد بان طريق وقف الإنحلال الروحي اليهودي في نظره هو إقامة مركز روحي لليهودية في فلسطين يعيد لليهود حيويتهم ويؤدي في النتيجة إلى تحقيق الحلم القومي اليهودي ، وسميت صهيونيته بالصهيونية الروحية . [1] "

"أصبحت عملية الإعداد الفكري و الأخلاقي ، وبسط الثقافة الجديدة ، الغاية العملية الاولى لفيلسوف الصهيونية الثقافية (احاد هعام 1856 ـ 1927) الذي حاول ان ينهض بمهمات البحث عن أسألة العقل الصهيوني:

ـ ما العمل ؟!

ـ من أين نبدأ ؟!

ـ متى ؟!

ـ كيف ؟ !

الذي يرى أن أحياء مجد الوطن القومي ، والعودة إلى ارض الميعاد ، لابد من أن يسبقه إحياء اليهودية ذاتها ، وبعث الروح القومية في الشتات . لم يؤرقه حلم الدولة ، مثلما أرقه المستقبل .[2] "

---

[5] المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

[*] **آحاد هعام** (1856–1927) : آحاد هعام» عبارة عبرية تعني «أحد العامة». و«آحاد هعام» هو الاسم الذي اشتهر به الكاتب الروسي (وكان يكتب بالعبرية) آشر جينزبرج. ويُعَدُّ آحاد هعام من أهم الكُتَّاب والمفكرين في أدب العبرية الحديث، كما يُعَدُّ فيلسوف الصهيونية الثقافية ... بل المؤسس الحقيقي للفكر الصهيوني والذي خرج من تحت عباءته كل المفكرين الصهاينة... ثقَّف آحاد هعام نفسه بنفسه، فدرس العلوم وقرأ أدب حركة التنوير وتعلَّم بعض اللغات الأوربية ودرس الفلسفة... وقد نزل آحاد هعام إلى ميدان النشاط الصهيوني، فانضم إلى جماعة أحباء صهيون وأصبح مفكرها الأساسي، لكنه ما لبث أن انتقد سياسة هذه الجمعية الداعية إلى الاستيطان التسللي في فلسطين وذلك في مقال بعنوان "ليس هذا هو الطريق". وقد عزَّز مقاله الأول بدراستين نقديتين كتبهما بعد زيارتيه لفلسطين عامي 1891 و1893. ومن أهم مقالاته الأخرى، "الدولة اليهودية والمسألة اليهودية" (1897) و"الجسد والروح" (1904). / موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج2 ، ب13 ، مدخل (آحاد هعام) 1856–1927 ().

[1] المسيري ، عبدالوهاب : الايديولوجية الصهيونية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 207.

[2] الراوي ، د.عبدالستار : الفكر الفلسفي اليهودي المعاصر (قراءة تحليلية اولى) ، في (مستقبل الحركة الصهيونية و المشروع الحضاري العربي) ، مجموعة باحثين ، المرجع السابق ، ص 76 ـ 77 .

إن آحاد هعام بنظرته المتعمقة كان قد حاول أن يتجاوز المفهوم السائد لمسألة الارض ، الذي غرق في ثقافة مثالية تؤكد على إرسال اليهود إلى الارض وتأسيس الكيان اليهودي فيها أوتوماتيكياً ، وبهذا يتحقق كل آمال الجماعات اليهودية ..

بل هو يرى ضرورة تأسيس الفرد اليهودي قبل تأسيس الدولة ، و إذا لم يفعل ذلك فإن بناء إسرائيل لن يتحقق بصورة ناجحة . ولتحقيق فلسفته في إعادة الروح و الحيوية إلى القيم الروحية و الثقافية اليهودية لدى الفرد اليهودي . ليكون شخصاً مناسباً لأداء مهمته في الحياة كيهودي . يرجع إلى الإهتمام بالفرد اليهودي منذ طفولته أي الإهتمام بتربيته منذ بداية حياته لتتجذر المفاهيم و المعتقدات اليهودية العليا في وجدانه البشري بشكل قوي.. فهو يسأل :

"إذاً من أين نبدأ ؟! لابد من أن نضع خطوة (إجرائية)، في دائرة الإنشاء الأولى ، ونعني بها : الطفل ، فلا ندعه ينمو ، او يتكون وجدانه ، او يستقيم بناؤه النفسي في ظل اختيارات عائلية مستقلة عن برنامج شعب الله المختار ، كذلك لا يمكن أن نسمح له بأن ينشأ ضمن بيئة و تقاليد حرة ، بل علينا ان نتولي امر تربيته وتعليمه ، لينم وينهض كما نريد فلا نتركه بين قدريات الاغيار اذ يتحتم ان نضع البادئة ، و نصمم الخطوات اللاحقة ، والغاية التي نسعى اليها . إننا نريد أطفالاً يهوداً .. يجمعون على مبدأ واحد ، و يمنحون ولاءهم لجوهر وجودهم اليهودي ، وأن يتكون العقل صوب هذه الغاية.[1] "

إن دعوات هعام لتربية الاطفال اليهود ليست مجرد دعوات أو نداءات ، وإنما باشر عملياً بتحقيق منهجه الذي يتطلع في النهاية إلى تكوين فرد يهودي قادر على البقاء و الاعطاء في الدولة اليهودية المنتظرة . لذلك " قدم هعام مشروع (التربية اليهودية) في العالم كله ، عبر سلسلة منتظمة من التربيات النظرية ، والاجراءات العملية ، التي تؤمن للطفل اليهودي ، فور ولادته ، وفي أي بيت على سطح هذا الكوكب ، الاعداد الذي يستحقه نفسياً ، وروحياً ، وأخلاقياً ، طبقاً لنصوص التلمود ، وعندما يصبح الطفل قادراً على القراءة ، فانه ملزَم باستذكار التلمود لمدة سبع ساعات في اليوم الواحد ، وعلى مدى سبع سنوات ، وإذا أنجز الطفل اليهودي إعداده التربوي المتقن في ظل (المشناه) و (الجماراه) ، فإنه يصبح (فرداً) مراعياً للمعنى الاخلاقي الذي تمثله في وجدانه أو توصي به :

(أرض الميعاد) ... حتى انه عارض فكرة (الهجرة) إلى فلسطين ، مالم يتم الاعداد الثقافي الديني المسبق لمواطني (الدولة المنتظرة) . [2] "

هذا المنهج الهعامي متعمق ودقيق للغاية ، وهو لايرفض تكوين الدولة اليهودية ، بل يسعى إلى تكوين المادة الاساسية لتأسيس الكيان اليهودي ، وهي اليهودي المربى على أساس المفاهيم و المعتقدات التلمودية ، وهذا هو الضمان الوحيد في نظره لتاسيس وبقاء الدولة اليهودية ، لذلك يُعد منهجُه بـ (الصهيونية الروحية او الثقافية) . ومن أجل ترجمة هذا المنهج إلى أرض الواقع " بادر هذا الفيلسوف

---

[1] نقلاً عن الراوي ، د. عبد الستار ، المرجع نفسه ، ص 77.

[2] المرجع نفسه ، ص 78.

في عام 1889 إلى تأسيس جمعية (بني موسى) Bene Moses التي كان من بين مهماتها إلى جوار الإعداد التربوي و النفسي ، تحقيق الغايات الآتية : .

ـ نشر المُثُل القومية اليهودية.

ـ إيقاظ الوعي ، بمعنى (الأمة).

ـ تحمل مسؤولية الرسالة المجيدة . [3] " . وبني موسى إحدى جمعيات (أحباء صهيون) .

هذه الاهداف طالب هعام بتحقيقها الذي كان عضوا بارزاً في حركة (أحباء صهيون) ، وقد عمل كثيراً في وضع خطط منهجية وتعليمية و تربوية . كما أشرنا إليها . من أجل إعداد الفرد اليهودي روحياً وثقافياً ، قبل تهجيره إلى فلسطين وتكوين المستعمرات فيها .

من هنا جاءت معارضته لتكوين المستوطنات العشوائي في فلسطين ، حيث بعد ولادة حركة احباء صهيون اثر مذابح اليهود في روسيا باشرت جمعيات تلك الحركة بالدعوة إلى إنشاء مستوطنات في فلسطين بمساعدة رجال المال اليهود . أمثال روتشيد و مونتفيوري . ، وقد كان إنشاء هذه المستعمرات خطوةً عمليةً أولى لتحقيق تأسيس الوطن القومي الذي دعدت إليه حركة أحباء صهيون منذ ولادته في روسيا سنة 1882.

يبدو أن هعام شعر منذ اللحظة الأولى بأن هجرات اليهود إلى فلسطين تحركها نزعتان في آن واحد ، وهما : شعور الجماعات اليهودية في روسيا بالإحباط و الظلم و التحريم ، بعد ما حدث لهم في 1882 اثر اغتيال قيصر روسيا آنذاك ، ومن ثم خلق نزعة إسترجاعية في نفوسهم كردّ فعل طبيعي تطلعت إلى إرجاعهم إلى أرض الأجداد الموعودة .

والنزعة الثانية كانت تطلّعَ الإمبريالية الغربية آنذاك إلى الإستلاء على فلسطين و المناطق العربية المجاورة لها .

لذلك أصبحت لديه قناعة بأن هجرات اليهود وتكوين المستعمرات في فلسطين ليست منطلقة من خلفية دينية ثقافية روحية ، بل هي رد فعل الجماعات الروسية ، وأداة استعمارية بيد القوى الامبريالية ، بالاضافة إلى محاولات المجتمعات الاوروبية . الشرقية و الغربية . إلى استخدام طرق التخلص من الجماعات اليهودية التي أحدث وجودُها في بلدانها مشاكل و أزمات بكل أنواعها . لذلك نرى أن هعام يطرح إعداد الفرد اليهودي في كل الجماعات اليهودية المنتشرة في العالم ، إعداداً روحياً و دينياً قومياً تلمودياً ، ليكون على وعي ديني روحي حينما يعود إلى فلسطين ، ولتكون عودته إلى العودة نابعةً من إيمان في عمقه بقضيته ، وبحقه الديني و التأريخي في ارتس يسرائيل.

لكن يبدو أنه لم يستطع هعام أن يؤثر على جموع غفيرة من المثقفين الداعمين لمشروع إقامة المستعمرات في فلسطين بأن يعدلوا عن مسار و استراتيجية أحباء صهيون في مسألة تكوين المستعمرات . لذلك فالجمعيات المتحدة في حركة (أحباء صهيون) ، قد سارت على نهجها بمساعدة

---

[3] المرجع نفسه ، ص 78 .

أثرياء اليهود مثل (روتشيلد) و (مونتفيوري) ، أي إقامة المستعمرات الزراعية ، وإنشاء المعابد اليهودية و مشاريع خدمية أخرى تساعد في إبقاء المستوطنين اليهود في فلسطين.

" وبشكل عام ، فإن تأريخ حركة أحباء صهيون هو تأريخ مصغّر للصهيونية ككل... وحينما عقد المؤتمر الصهيوني الاول(1897)، انضم إليه معظم جماعات أحباء صهيون وتحولت إلى مايسمى (التيار العملي).[1] "

وهذا التيار العملي راح يبقى على فلسفته في الإعتماد على الذات من خلال أثرياء اليهود ، وراحت الحركة الصهيونية الأب تحاول أن تضمن مساعدةَ وعونَ القوى الإمبريالية الغربية في تنفيذ خطتها السياسية لاحتلال فلسطين ..

رابعاً : ظهور اللاسامية

إن ظهور اللاسامية (معاداة السامية ، معاداة اليهود) مرتبط بالوضع الذي ساد الجماعات اليهودية في روسيا بعد مجازر عام 1882 . وقد أسهم هذا الوضع في روسيا بشكل أساسي في تفجير المشكلة اليهودية . فلم يتفاعل يهود روسيا كثيراً مع حركة التنوير (الهسكلاه) ، وقاوموا عمليات الدمج و التحديث الروسية ، كما انفجرت العداوة ضدهم بشكل مكشوف اثر اغتيال قيصر روسيا ألكسندر الثاني سنة 1881 ، و التي اتهم فيها اليهود ، بسبب مشاركة فتاة يهودية فيها ، فبدأت موجة من الاجراءات العديدة القاسية ضد اليهود سمّيت باللاسامية ، أي توجيه العداء لليهود لكونهم ينتمون إلى العرق السامي .

وصاحب هذه الاجراءات أحياناً أحداث دموية ... ومن أمثلة القوانين التي أخذت تصدر تباعاً : حق السكان الروس في طرد اليهود من قراهم ، و اليهودي الذي يغادر قريته لا يسمح له بالعودة ، ومنع تشغيل اليهود في المناطق الريفية ، و اليهودي الذي هجر مهنته للعمل في التجارة يسقط حق إقامته في روسيا ، وتحريم اقامة اليهود في موسكو ، وحرمان اليهود من حق الانتخاب و الترشيح لمجالس البلديات . و قد أدّى كلُ ذلك إلى انتشار ظاهرة اللاسامية و انتشار المسألة اليهودية بقوة .

وقد أصبح ملايين اليهود يبحثون عن فرصة للخلاص مما هم فيه ، كما تمكنوا من تحويل عواطف يهود أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية و الجنوبية. [1]

في تعريف مصطلح معاداة السامية (Anti Semitism) . تقول موسوعة اليهود و اليهودية " : [2]المعنى الحرفي او المعجمي للعبارة هو (ضد السامية) ، وتترجم أحياناً إلى (اللاسامية) . وكان الصحفي الالماني اليهودي الاصل ولهلم مار (1818 . 1904) أول من استخدم هذا المصطلح عام 1789 في كتابه انتصار اليهودية على الالمانية . من منظور غير ديني . وقد صدر الكتاب بعد

---

[1]موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (أحباء صهيون) ، المرجع السابق .

[1]أنظر المسيري ،عبدالوهاب : الايديولوجية الصهيونية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 88 . 91 ، و ص 96 . 99.

[2]م2 ، ج4 ، ب1 ، مدخل (معاداة اليهود : المصطلح).

المضاربات التي أعقبت الحرب الفرنسية البروسية (1870 . 1871) و التي أدت إلى دمار كثير من الممولين الالمان الذين ألقوا باللوم على اليهود . ولو أخذت العبارة بالمعنى الحرفي ، فإنها تعني العداء للساميين او لأعضاء الجنس السامي الذي يشكل العرب أغلبيته العظمى ، بينما يشكك بعض الباحثين في انتماء اليهود اليه . ولكن المصطلح في اللغات الاوروبية ، يقرن بين الساميين و اليهود و يوحد بينهم . ‘‘

و (معاداة السامية) ظهر كمصطلح صهيوني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، في محاولة لإقناع المجتمعات . ومنهم الجماعات اليهودية . بأن الحل الوحيد للمسألة اليهودية هو تأسيس وطن لليهود يقومون بإدارة شؤونه بأنفسهم .

هناك أسباب كثيرة أدت إلى ازدياد ظاهرة اللاسامية وتفجيرها في الاوساط الشعبية و الرسمية في أواخر القرن التاسع عشر من أهمها:

1. " تعثر التحديث في وسط اوروبا وشرقها في نهاية القرن التاسع عشر . [(1)] "

إن ظاهرة اللاسامية مرتبطة بتعثر محاولات التحديث و الدمج . حيث كلما بعدت الجماعات اليهودية من فلسفة الإندماج و العيش مع المجتمعات بصورة طبيعية ، كبرت فجوةُ علاقات اليهود المنعزلين مع الشعوب ، ونتيجة لذلك سادت الإضطرابات و الإضطهادات و الأوضاع القلقة علاقة تلك الشعوب مع الجماعات اليهودية . لذلك لما فشلت حركة التنوير اليهودية في محاولتها إقناع يهود أوروبا (وسطها وشرقها) بالاندماج في الشعوب التي يعيشون بينها ، شاعت قناعة لدى الاوروبيين و الروس بأن اليهودي " شخصية لايمكن فهمها و لا يمكن استعابها . كما يقول بوبر . ولذا لايمكن اندماجها مع بقية الامم .[(2)] ‘‘

و هذا أدى إلى ازدياد كره الشعوب تجاه الجماعات اليهودية الرافضة للإندماج.

2. " وجود أغلبية يهود العالم في أوروبا الشرقية (يهود اليديشية) في بلاد لم تسد فيها المُثُل القومية الليبرالية ، وفي مناطق حدودية تنازع عليها ، وفي روسيا (البلد الذي كان تحكمه بيروقراطية متخلفة لاتفهم وضع اليهود [(3)]. ‘‘

3. " إرتباط اليهود بالحركات الثورية العلمانية اليمينية و اليسارية ، فقد كان اليهود رمزاً واضحاً للمجتمع الصناعي الرأسمالي الجديد ، وبالتالي أصبحوا هدفاً للجماهير التي اقتلعها الإقتصاد الجديد و ألقى بها في المدن و المصانع للعمل تحت ظروف غير إنسانية... ويبدو أن عدداً كبيراً من أعضاء الجماعات اليهودية انضموا للأحزاب الشيوعية الحاكمة في روسيا و شرق أوروبا ، و

[(1)] موسوعة اليهود واليهودية ، م2 ، ج4 ، ب1 ، مدخل (تأريخ معاداة اليهود منذ القرن الثامن عشر) .

[(2)] الجبوري ، عبدالوهاب محمد : اللاسامية في الفكر الصهيوني ، الجزور التاريخية و الأهداف ، الموسوعة الصغيرة (119) ، دار الجاحظ للنشر . بغداد (1982) ، ص 58 ، نقلاً عن عبدالوهاب المسيري ، نهاية التاريخ ، دراسة في بنية الفكر الصهيوني . المؤسسة العربية للدراسات و النشر . بيروت ، ط1 ، 1979 ، ص 98.

[(3)] موسوعة اليهود و اليهودية ، مدخل (تأريخ معاداة اليهود منذ القرن الثامن عشر) ، المرجع السابق.

اشتركوا في عمليات قمع المعارضة التي قامت بها الاحزاب الشيوعية الحاكمة ، فارتبط أعضاء الجماعات اليهودية في الذهن الشعبي بهذه النظم. [4] "

4. تمسك الجماعات اليهودية بالمفاهيم التفوقية العنصرية ، و بسبب ذلك لم تستطع الجماعات ممارسةَ الحياة المدنية البعيدة عن الإضطرابات و المشاكل . وقد سبّب تمسكُ اليهود الشديد بالمفاهيم العنصرية في خلق الكراهية في قلوب المجتمعات الإنسانية ، وفي قلوب اليهود أنفسهم تجاه غير اليهود .

يقول صاحب (الأخوة الزائفة) " : [1] ما الذي جعل اليهودي إنساناً مكروهاً في العالم ؟ إنه لم يستطع العيش بسلام في آسيا أو أفريقيا أو أوروبا، وجاء إلى أوروبا دون أن يقدم له أحد دعوة للحضور إليها، ولم يطلب أحد منه البقاء والإقامة فيها. بل إنه في كل مرة كان يطلب منه الخروج، وكان لا بد من طرده دائماً. فلم تكن له مهمة ولا رسالة ولا دعوة في أوروبا، ولم يكن يرتبط بالأوروبيين بأي رباط. والحقيقة أنه كان يحتقرهم، ولم يحتفظ في قلبه إلا بالكراهية لدينهم وحكوماتهم ومؤسساتهم، وعندما جاء إليهم أعلن أنه مختار من عند الله وأنه منح المسيحي إنجيله وسمح للمسيحي باستخدام العهد القديم اليهودي ... فالتفوق لا يحتاج إلى إعلان ودعاية، والناس سرعان ما يميزون مظاهر وملكات التفوق. ولكن الأوروبيين لم يجدوا عند ضيوفهم، الذين وفدوا بلا دعوات، شيئاً من علامات التفوق . "

5. " من أهم أسباب تزايد مشاعر العداء لليهود الإنفجار السكاني بين يهود اليديشية في شرق اوروبا ... وكان وصولهم يصعد مشاعر الكراهية ضدهم . وكان السكان لا يميزون بين اليهود الوافدين و اليهود الأصليين إذ أن الجميع مجرد (يهود) . [2] "

6. إن النقاط الاربعة السابقة كانت أسباباً عامة وأساسية ، إلا أن هناك سبباً خاصاً أدى إلى ترسخ فكرة اللاسامية لدى الجماعات اليهودية ، وأصبحت تلك الجماعات تعتقد بوجود عداء خارجي يستهدفها كجنس سامي ، أي باعتبارهم عرقاً .. وهذا الدافع هو أحداث قضية الكابتن اليهودي دريغوس . " فقد قدمت الحكومة الفرنسية ضابطاً يهودياً إلى المحكمة العسكرية بتهمة التجسس لحساب ألمانيا العنصرية ، وكان اسمه الكابتن دريغوس .. وصدر الحكم عليه بالسجن مع الاشغال الشاقة و النفي إلى احدى جزر المستعمرات الفرنسية و اسمها (جزيرة موت).. و ارتابت القوى التقدمية الفرنسية في أمر هذه القضية فشنت حملة واسعة لكشف الحقيقة بعدما لاخظت من اشتداد تيار اللاسامية و توصلت هذه القوى إلى قناعة بأن هناك تلاعباً و تواطؤاً و أن دريغوس كان بريئاً و أنه من ضحايا اللاسامية .. وقد أعيدت محاكمته وثبتت براءته بعد سنوات من السجن . [3] ''

---

[4] المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

[1] تني ، جاك ، المرجع السابق ، الفصل الثالث (الإضطهاد و " معاداة السامية ") .

[2] موسوعة اليهود و اليهودية ، مدخل (تأريخ معاداة اليهود منذ القرن الثامن عشر) ، المرجع السابق.

[3] الجبوري ، اللاسامية في الفكر الصهيوني ، المرجع السابق ، ص55 ، نقلاً عن : هاني الهندي : حول الصهيونية و اسرائيل ، دار الطليعة ، بيروت ، 1971 ، ص 40 .

"لقد هزت هذه الحادثة اوروبا هزاً عنيفاً واستُغِلت من قبل الاوساط الرجعية و البورجوازية اليهودية ، وكان تيودور هرتزل .. احد الذين حولتهم الحادثة من داعية للاندماج إلى احد المتعصبين للحركة الصهيونية الهادفة إلى بناء وطن ودولة لليهود .[1] "

إن ظاهرة اللاسامية قد انتشرت في أوروبا بشكل واسع ، وترسخت بالمقابل فكرةُ اللاسامية لدى الجماعات اليهودية . وتشكلت أحزاب وجمعيات كانت تسعى إلى تعميق الظاهرة وتوسيع دائرة العداء . " ففي عام 1880 ، اسست في برلين عصبة المعادين لليهود . وقدم المعاون لليهودية عريضة للحكومة الالمانية موقعة من 225 الف شخص تطلب من الحكومة أن توقف جميع أشكال الهجرة اليهودية التي كانت تتدفق من الجيب البولندي و ان تصدر تشريعات لاستبعاد اليهود . وقد عقد أول مؤتمر دولي لمعاداة اليهود في عام 1882 وضم ثلاثة آلاف مندوب ... وظل العداء لليهود يتصاعد إلى أن وصل إلى ذروته مع انتخاب هتلر و وصول النازيين إلى الحكم. [2] "

" وقد كانت معاداة اليهود في فرنسا سلاحاً مهماً في يد بعض العناصر الملكية و الكنسية المعادية للثورة الفرنسية و مُثُلها . [3] " وكذلك ازدادت ظاهرة اللاسامية في إنجلترا التي هاجرت إليها أعداد هائلة من اليهود اليديشية ، وفي عامي 1902 و 1905 صدرت قوانين الغرباء لمنع هجرة الأجانب (أي اليهود) إلى إنجلترا . [4]

ومع انتشار ظاهرة وفكرة اللاسامية في الدول الاوروبية قامت مجموعة من المفكرين و الكتاب الغربيين بنشر كتب و مقالات ساهمت بشكل كبير في الترويج لفكرة وظاهرة معاداة اليهود.

"ومن أهم وأول الإسهامات الغربية في هذا المضمار استخدام التمييز بين الآريين والساميين ونقله من المجال اللغوي إلى المجال الحضاري ثم العرْقي . وهذا ما فعله (الكونت جوبينو) في كتابه مقال في التفاوت بين الأعراق الإنسانية (1853 . 1855)... وتوالت بعد ذلك الأعمال العرْقية الغربية المعادية لليهود، ومن أهمها كتاب ولهلم مار (1818.1904) انتصار اليهودية على الألمانية: من منظور غير ديني (1862) .

ومن أهم الشخصيات التي أضفت كثيراً من الاحترام على النظريات العرْقية المعادية لليهود الموسيقار الألماني ريتشارد فاجنر (1813 . 1883)، وكان صديقاً لجوبينو، وتأثر بكتابات مار. وقد طبع فاجنر كتابه أضواء على اليهود في الموسيقى (1850، ثم 1869)، مصوراً إياهم باعتبارهم تجسيداً لقوة المال والتجارة، ومنكراً عليهم أي إبداع في الموسيقى والثقافة. ثم نشر سلسلة مقالات بعنوان: « الفن الألماني والسياسة » طرح فيها فكرته الخاصة برسالة الشعب الألماني (الخالص) المعادية للمادية الفرنسية واليهودية .

---

[1] الجبوري ، المرجع نفسه ، ص 56 ، نقلاً عن الهندي ، المرجع نفسه ، ص 40.

[2] موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (تاريخ معاداة اليهود منذ القرن الثامن عشر) ، المرجع السابق.

[3] المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

[4] المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

ومن الشخصيات التي ساهمت في إشاعة هذه الأفكار المعادية لليهود على أساس عرْقي، المؤرخ والسياسي الألماني هنريش فون ترايتشكه (1834 . 1896) الذي كان يُعَدُّ من أهم المفكرين الألمان في عصره ... طرح الشعار المشهور (اليهود مصيبتنا) . [1] "

وقد نادى ترايتشكه بـ " التطبيق العملي للفلسفة العنصرية ... وأصبحت كتاباتُه كتباً سياسياً إرشادياً للنازيين ، وقد حظيت بشعبية كبيرة قبل ذلك في الجامعات الألمانية ،حيث كان الصهاينة الشبان يتلقون تعليمهم. [2] "

"ومن الشخصيات الأخرى التي أشاعت الفكر العرْقي المعادي لليهود هيوستون ستيوارت تشامبرلين (1855 . 1927)، وهو بريطاني المولد فرنسي النشأة ألماني بالاختيار، فقد كان معجباً بالثقافة الألمانية إعجاباً عميقاً. .... وألَّف أهم كتب العنصرية الغربية أسس القرن التاسع عشر (1899). .... واليهود بحسب رأي تشامبرلين ، يشكلون عرْقاً هجيناً متحركاً هامشياً طفيلياً لاجذور له. وهم غير قادرين على الإبداع ، ولا يوجد لديهم إحساس ديني ، بل إن وجودهم ذاته جريمة ضد الإنسانية. وذهب تشامبرلين إلى أن الشخصيات المهمة في بدايات التأريخ اليهودي، مثل داود والأنبياء والمسيح، من أصل ألماني! وتنبأ بالمواجهة الحتمية بين الساميين والآريين. [3] "

وقد كان تشامبرلين " جعل من العلم فلسفةً عرقيةً ، وذلك قبل أن يشرع بالتهجّم على اليهود والسود . وقد تميّز بدحضه للامنطقية العنصريين الّذين يقرّون بنقاء الدم اليهودي ، وفي الوقت نفسه يتّهمون اليهود بالرداءة أو مركّب خاص . [4] "

ومن الشخصيات الأخرى المعادية للسامية " إدوار أدولف درومون (1844 . 1917)، وهو أيضاً فرنسي، وقد ضمن أفكاره كتاب (فرنسا اليهودية) (1886) الذي طُبع أكثر من مائة طبعة ، وكان من أكثر الكتب الأوربية رواجاً ومبيعاً في القرن التاسع عشر. وقد ألف درومون كتباً أخرى تتضمن الأفكار نفسها والرؤية نفسها. وكان درومون يرى أن يهود فرنسا عنصر أجنبي غريب يستغل النظام الاقتصادي الفرنسي لتحقيق منافعه الخاصة وبسط سيطرته على العالم...

ومن المفكرين الإنجليز الذين بادروا إلى معاداة اليهود، المؤرخ والمصلح التربوي البريطاني جولدوين سميث (1823 . 1910)، فقد نشر عام 1878، مع بدايات هجرة يهود اليديشية من روسيا إلى إنجلترا، عملاً حاول فيه أن يبرهن على استحالة أن يصبح اليهود مواطنين في دول أوربا المضيفة، كما حاول أن يبرهن على أن وجودهم يشكل خطراً سياسياً على بلده . [5] "

---

[1] المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

[2] القشطيني ، خالد : الجذور الأيديولوجية للعنصرية الصهيوينة ، في (الصهيونية والعنصرية) ، أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 18 .

[3] موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (تأريخ معاداة اليهود منذ القرن الثامن عشر) ، المرجع السابق .

[4] القشطيني ، الجذور الأيديولوجية .. ، في (الصهيونية والعنصرية) ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 18 .

[5] موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (تأريخ معاداة اليهود منذ القرن الثامن عشر) ، المرجع السابق.

يقول الفيلسوف الفرنسي المسلم (روجيه غارودي) " :[1]قد برزت افكار اساسية حول اللاسامية في كتاب برنار لازار [2] (اللاسامية ، تأريخها وأسبابها) المنشور عام 1894 ، في اجواء مشبعة بأحداث قضية دريفوس ، ونشوء الصهيونية السياسية على يد تيودور هرتزل . وكان كتاب برنارلازار هذا رداً على أوسع المؤلفات عن اللاسامية انتشاراً (فرنسا اليهودية) لكاتبة درومون 1886... تبدو دراسة (برنار لازار)... قائمةً على تحليلات تأريخية متأنية داعية للتأمل ، تأخذ بعين الإعتبار مدى مسؤولية الطوائف اليهودية عما كان ينزل بها من اضطهاد من جهة ، واستغلال اللاساميين الدنيء لظواهر انكماش هذه الطوائف و تفردها من جهة أخرى . "

إن الإنعزال اليهودي و انغلاقه على ذاته كان في تأريخ الجماعات اليهودية من أهم أسباب الاضطهادات التي تعرضت لها تلك الجماعات . سواء كان الانعزال قد أبغض الأغيار وعمّق سخطهم تجاه اليهود ، أم استُغِل ذلك الانعزال من قِبَل الأغيار لتصعيد وتيرة البغض و العنف تجاه الجماعات اليهودية . ويضيف غارودي " : [3] ويميز برنار لازار النزعة المعادية لليهودية الصادرة عن المسيحية ، بشكل عام و المستمرة منذ القرن الرابع الميلادي حتى منتصف القرن التاسع عشر الاخير ، عن ظاهرة مناهضة السامية... كما أن معاداة المسيحية لليهودية هي من مخلفات الفكر القسطنطيني العقائدي و السياسي ، الذي تبنته الكنيسة المنتصرة ، الوارثة لتقاليد كهنة المعابد اليهودية ، و لتقاليد الامبراطورية الرومانية ، والتي تحولت منذ امتلاكها للسلطة ، من معاناة الاضطهاد ، إلى إيقاع الاضطهاد بغيرها من الديانات كالوثنية و اليهودية . و قد وجدت في اليهودية... منافساً لابد من دحره . وراحت تهتم بحماقة اليهود بأنهم من ذاك الشعب الذي اصبح . برفضه الإعتراف بأن يسوع هو نفسه المسيح المخلّص . في عداد (قتلة) الرب ... وبيّن لازار كيف أن سخافة تقوقع الطوائف اليهودية و انغلاقها على أضيق و أدق تفاسير الشريعة قد وفر خلال تعاقب القرون ، معطيات قابلة للإتهام بيسر . "

فالإنغلاق على الذات و التحجر العقلي الديني هما من أكبر دوافع معاداة المسيحية لليهود عبر القرون . ويقول لازار : " إن خطورة هذه العزلة ، قد تفاقمت بسبب طبع فريد يتسم به اليهودي ، ويدفعه إلى التباهي بامتياز توراته ، وبالتالي ، إلى اعتبار نفسه فوق البشر ومغايراً لباقي الشعوب وقد عمل على ترسيخ هذا المسلك ، حدة القومية المنتشرة في اوروبا خلال القرن التاسع عشر ، (إذ رأى اليهود في

---

[1]دراسة في الصهيونية السياسية ، منشورة في شبكة الانترنت ، www.wahdah.net، شبكة الوحدة ، المقدمة . الصهيونية الدينية و الصهيونية السياسية.

[2]**بـــرنارد لازار** ،(1903–1870) : كاتب وصحفي فرنسي... كتب عدة مقالات في مجلات دورية كانت فيما بعد أساساً لكتابه (معاداة اليهود: تأريخها وأسبابها) الذي صدر عام 1894. وقد تضمَّن هذا الكتاب فقرات من النقد الشديد لبعض القطاعات اليهودية واعتبر أن اليهود هم أنفسهم سبب العداء الذي يتعرضون له... لكن موقف لازار تغيَّر تماماً بالنسبة للمسألة اليهودية بعد قضية دريفوس. فهبَّ لنصرة الضابط الفرنسي وحارب من أجل رد اعتباره، ونشر عدة كتب محاولاً إظهار براءته ...

وهاجم بشدة الداعين للاندماج كنوع من الحل. / موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج2 ، ب5 ، مدخل (بـرنارد لازار (1903–1870)) .

(3)غارودي ، دراسة في الصهيونية السياسية ، المرجع السابق ، المقدمة . الصهيونية الدينية و الصهيونية السياسية.

أنفسهم الشعب المختار المتفوق على الامم كافة ، وهذه حالة الشعوب ، المتطرفة في تعصبها القومي ، كالألمان و الفرنسيين و البريطانيين في وقتنا الحاضر) .[1] "

إنّ الفلسفة الجوهرية الّتي تكمن وراء فكرة معاداة السامية هي : " إن العالم يشتمل على أمم مختلفة في نزاع دائم و قد بلغ هذا الصراع مستويات لا تُطاق حين وصل الى اليهود الّذين أصبحوا عناصر غير مرغوب فيها وأهدافاً سهلةً ، بسبب عدم وجود وطن لهم . إن اظطهاد اليهود لا نهاية له ، والخلاص الوحيد منه يكمن في إيجاد وطن لهم . [2] "

"وغني عن القول ان هذا هو بالضبط ما كان يشير به العنصريون الأوروبيون ... فالعنصريون هم الّذين قالوا بأن العنصر اليهودي عنصر متميّز غريب عن أوروبا بسبب أصله السامي . إن أفكاراً مثل فكرة نقاء الدم اليهودي ، وخلود اليهود ، (والخصوصية) اليهودية قد تشبع بها الأدبُ العنصري . وينطبق الأمر نفسه كذلك على فكرة حتمية اضطهاد اليهود وقد صاغتها الموسوعة الثقافية على النحو التالي : إن التحامل ضد اليهود هو نوع من المشاعر الغريزية والطبيعية ، الّتي تظهر في أي وقت يحتك فيه رجال من سلالات مختلفة بعضهم بالبعض الآخر. ومثل هذه الفكرة تجد ما يماثلها في كتابات بنسكر و موسى هس ، وعملياً في كتابات المفكّرين الصهاينة كافةً . [3] "

إن معاداة السامية أصبحت ظاهرةً وفكرةً في نفس الوقت . فقد جرت أحداث دامية و اضطهادات ضد الجماعات اليهودية في بعض من البلدان كانت بالفعل معاداة غير اليهود . من الغربيين و المسيحيين الكاثوليك و الشرقيين في وسط وشرق أوروبا . تجاه الجماعات اليهودية ، وهذه تسمّى ظاهرة اللاسامية . وقد تبلورت نتيجةً لذلك فكرةُ اللاسامية عند اليهود وعدد من المفكرين الغربيين ، التي قالت بأن هناك عداءاً لليهود باعتبارهم عرقاً و أتباعَ ديانة ، و وجد الاتجاه الصهيوني في هذه الاجواء فرصة خصبة للعمل بالدعوة إلى انه لايمكن حل مشكلة اليهود بمجرد الهجرة من الاماكن التي ترتكب فيها اضطهادات وجرائم ضد اليهود ، إلى أماكن أكثر أمناً ، بل الحل الجذري يكمن في إقامة كيان مستقل يحكمه اليهود انفسهم ونرى ان الاوربيين قد أيّدوا هذه الفكرة تخفيفاً من عبء الهجرة اليهودية إلى أرضها ، واستجابةً لعواطف البروتستانت الدينية المشيحانية (وقد بحثنا ذلك)

،وتحقيقاً لأهداف استعمارية سياسية اقتصادية ..

والعداء لليهود في أوروبا أسهم بشكل فعّال في تأسيس الحركة الصهيونية ، لأنه أوجد مشكلة فعلية أوجبت السعي مباشرة لحلها ، وقد تمكن اليهود من استثمار ذلك ، لما فيه من مصالح استراتيجية للغرب في جميع المجالات..

خامساً : ظهور المفكرين الصهاينة الذين يُعدّون من كبار المدرسة الصهيونية

إن الفكرة الصهيونية تمخضت من جذور دينية و تأريخية كما أشرنا إلى تلك الجذور . وقد قامت حركات و محاولات لتحقيق المشروع الصهيوني الذي هو إرسال جماعات يهودية إلى فلسطين من اجل استعمارها . وقد كان القرن التاسع عشر من أهم القرون لتحقيق الحلم الصهيوني ، حيث كان المناخ السياسي الاستعماري الدولي ملائماً جداً لطرح وتحقيق الفكرة الصهيونية . فقد كانت القوى الامبريالية في أوج قوتها وحيويتها ، وكانت مصممة لتحقيق مشروعها السياسي و الاقتصادي ، وبالمقابل كانت

---

(1)نقلاً عن المرجع نفسه ، المقدمة . الصهيونية الدينية و الصهيونية السياسية.

(2)القشطيني ، خالد : الجذور الأيديولوجية للعنصرية الصهيونية ، في (الصهيونية والعنصرية) ، أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 22 .

(3)القشطيني ، المرجع نفسه ، ص 22 ، مستشهداً بـ بولياكوف ، ل. (الأسطورة الآرية) ، لندن ، 1071 ، ص 274 .

الامبراطورية العثمانية التي كانت فلسطين تحت سيطرتها بدأت تتضاءل قدرتها وهيمنتها (كما بحثنا ذلك سابقاً) .

في ظل هذه الظروف ظهر مفكرون تبنوا الفكرة الصهيونية ، وقاموا بمحاولات فكرية وعملية من أجل نشر الأفكار القومية الصهيونية ، ومن أجل تطبيق مشاريع الاستيطان في فلسطين ، كخطوة اولى لخلق مجتمع يهودي فلسطيني ، ليكون نواة تأسيس الدولة اليهودية في المستقبل . وقد كان لظهور هؤلاء المفكرين وظهور برامجهم في القرن التاسع عشر خلفيات و دوافع.

فبعد " انتصار الثورة الفرنسية وتحطيم نظام الجيتو بدأ اليهود في اوروبا يتأثرون بالحركات الثقافية التي كانت سائدة انذاك . ومع عصر الاستنارة ، بدأت الظاهرة القومية تنتشر في اوروبا ، وقد شددت الحركات القومية في اوروبا على قوميتها الخاصة وعدّ اليهود مجموعةً من الغرباء ، وحين وجد اليهود أن قوى الإستنارة أدت إلى ازدياد ظاهرة اللاسامية فكّروا في إيجاد حل للمسألة اليهودية. فمنذ ستينات القرن التاسع عشر اهتم بعض المفكرين اليهود بالمسألة اليهودية و اقترحوا حلولاً لها عن طريق دعوة بعض اليهود للعمل من اجل الهجرة إلى فلسطين و استعمارها .[1] "

وقد كان أهم هؤلاء المفكرين هم : " يهودا الكلاي ، الحاخام موزيس هس ، ليو بنسكر ، هيرش كاليشر ،و تيودور هرتزل . ولم يقتصر نشاط هؤلاء على الجانب الفكري البحت ، بل امتد إلى دائرة بذل الجهد العملي في محاولة لوضع الافكار الصهيونية موضع التطبيق ، الأمر الذي أسفر في النهاية عن خلق تيار من الطلائع المؤمنة بالفكرة الصهيونية ، وقد تنظمت هذه في مجموعة من الجمعيات و الحركات و الاحزاب الصهيونية المختلفة. [2] "

نحن هنا نحاول ان ندرس هؤلاء المفكرين الصهاينة الاوائل في القرن التاسع عشر ، الذين يشكلون الاتجاه الصهيوني من الناحية الفكرية . وقد دفعوا بهذا الاتجاه نحو الامام ، ومهدوا الطريق امام الاتجاه الصهيوني بكل أبعاده في القرن التاسع عشر لتكوين جهاز سياسي استعماري في اواخر التاسع عشر ، استطاع توحيد الجهود وتنظيم الفكر الصهيوني ، وكان هذا الجهاز (المنظمة الصهيونية) بقيادة هرتزل . (وسنتناول ذلك بالتفصيل فيما بعد)..

1. يهودا القلعي 1798) Yehudah Alkalai . 1878. [1] (

جاء اسمه في المصادر العربية بأشكال مختلفة مثل (القلعي ، القالي ، الكالي ، الكلاي).

" ولد في سيرايفو (في البوسنة وهرسك) و التي كانت جزءا من الدولة العثمانية انذاك .[2] "

---

[1] د. أسعد عبدالرحمن : دور الحركة الصهيونية.. ، في (مستقبل الحركة الصهيونية و المشروع الحضاري العربي) ، مجموعة باحثين ، المرجع السابق ، ص 86 .

[2] د. اسعد عبد الرحمن ، المرجع نفسه ، ص 86.

(1)موسوعة اليهود و اليهودية ، م6 ، ج2 ، ب12 ، مدخل (يهودا القلعي " 1798 . 1878 ").

[2] المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

" وكان ابوه من الزعماء الروحيين بين يهود العرب .. قضى صباه في القدس حيث خضع لتأثير نزعات القبالة في صوفيتها وميلها الشديد إلى الحلولية و تفسيرها الرمزي لجميع الأعداد و الحروف في التلمود.[3] "

و كان ارتباطه بالقبالاه جعله يتعمق في التنبؤات و الرموز القبالية ، " فكان من المؤمنين بأن عام 1840،... سيكون بداية الخلاص المشيحاني . ولكن النبوءة لم تتحقق ، فاضطر إلى أن يعدل من موقفه من فكرة الماشيح . [4] " وترك فكرة الماشيح ، وذلك يعني انتهاجَ فكرة الاعتماد على الذات ، حيث اذا ترك اليهودي عقيدة انتظار الماشيح التي تنص عليها الديانة اليهودية من خلال نصوصها و أدبياتها (الصهيونية الدينية) ، فهو يعني بذلك ان على اليهود ان يعتمدوا على ذاتهم في تحقيق الخلاص . لذلك " يذهب القلعي إلى ان اليهود يجب إن يتدخلوا بأنفسهم في مسار الأحداث بدلاً من انتظار عودة الماشيح ، ويقوموا بتحديد الطريقة المناسبة للعودة وزمانها . [5] "

"منذ عام 1834 راح القالي يعبر في كتاباته عن ضرورة القيام بمجهود خاص لتحقيق خلاص اليهود ، ونشر كراساً بعنوان (إسمعي يا اسرائيل) اقترح فيه إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين ، لكي تكون مقدمة ضرورية (للخلاص المنتظر). واستند في ذلك إلى اسطورة يهودية تقول: ان المسيح الاول سوف يسبق مجيء المسيح المنتظر ويقود اليهود (في حرب يأجوج و مأجوج) لفتح فلسطين بحد السيف . [6] "

إن فلسفة الإعتماد على الذات التي انتهجها القلعي كانت عبارةً عن برنامج عملي لتحقيق النتيجة . حيث " تصور هذا الصهيوني خطوطاً كبرى لبرنامج عمل يحقق(الخلاص الذاتي)على النحو التالي :

أ . الدعوة لعقد جمعية عامة كبرى.

ب . إيجاد صندوق قومي لشراء الأراضي.

ج . إقامة صندوق مماثل لجباية الضرائب .

د . السعي لتقديم قرض قومي. [1] "

هذا البرنامج العملي كان بحاجة إلى اجراءات عملية حقيقية لتنفيذه بالصورة التي رسمت له . لذلك " سافر القالي إلى عدة عواصم اوروبية ، ووجه نداءات إلى كبار الاثرياء اليهود ، أمثال

---

[3] الجبوري ، عبدالوهاب محمد : اللاسامية في الفكر الصهيوني ، المرجع السابق ، ص 42 ، نقلاً عن آرثر هيرتزبرج : الفكرة الصهيونية . النصوص الأساسية ، إشراف د.انيس صايغ ، ترجمة: لطفي العابد و موسى عنز ، مركز الابحاث . بيروت . 1970 ، ص 9 .

(4)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (يهودا القلعي " 1798 . 1878 ") ، المرجع السابق.

[5] المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

[6] الطيار ، د. خليل ابراهيم ، التخطيط الصهيوني ، من اللاهوتية الى الصهيونية ، في (مستقبل الحركة الصهيونية و المشروع الحضاري العربي) ، المرجع السابق ، ص 44 .

[1] الطيار ، المرجع نفسه ، ص 44 . 45 ، نقلا عن آرثر هرتزبرج : الفكرة الصهيونية ، المرجع السابق ، ص 9.

مونتفيوري... محاولاً استنهاض الهمم لشن حملة صليبية يهودية تسعى إلى خلاص الارض المقدسة و افتداءها عن طريق كسب عطف السلطان العثماني. [2] "

بعد تأليفه كراس (اسمعي يا اسرائيل) ، كان أهم عمل فكري قام به القلعي هو تأليفه " في عام 1843 كتاب (الخلاص الثالث) ، أكد فيه تشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين ، وعدّ (العودة الجماعية) بمثابة الخلاص الذي زعم بأن جميع الانبياء قد وعدوابه ، وأوصى بتأسيس شركة على غرار شركات التأمين أو شركات السكك الحديدية لكي تتوسل هذه الشركة إلى السلطان العثماني (ليعيد إلينا أرضَ أجدادنا لقاء إيجار سنوي) . وأضاف إلى ذلك قوله ، وما ان يطلق إسم (إسرائيل) من جديد على (أرضنا) حتى يعمد كل اليهود إلى مساعدة هذه الشركة بكل ما ملكت أيديهم من وسائل . [3] "

"يقول القلعي : إنه كخطوة أولى (يجب أن نعمل على إعادة اثنين وعشرين ألفاً إلى الارض المقدسة . فهذه تهيئة ضرورية لحلول دلالات أخرى) .. فالخلاص لا يمكن أن يتم فجأة ، والأرض يجب ان تبني وتعد وتجهر بالتدريج ، وحتى يضفي شرعيةً على رؤيته الجديدة ، فإنه يشير إلى عقيدة الماشيح الاول (المسيح بن يوسف) الذي سيشترك في حرب يأجوج و مأجوج و سيحاول تحرير أرض يسرائيل من الكفرة ولكنه سيسقط في المعركة ، وبعد هذا سيأتي الماشيح الثاني و النهائي (المسيح بن داود) . وهو يفسر وجود الماشيح الاول بأنه يعني ضرورة أن يسبق العصر المشيحاني النهائي إعداد دنيوي إنساني . ثم يضيف أنه يجب النظر لرؤية الماشيح بن داود على انها مجاز ، فهي عملية ستأخذ في الأزمنة الحديثة شكل قيادة سياسية ، ولذا سيبدأ الخلاص باليهود أنفسهم ، هؤلاء الذين يجب ان يملكوا زمام أمورهم بأنفسهم ويعجّلوا بالنهاية . (وهذا الموقف يعد من المنظور الحاخامي التقليدي شكلاً من أشكال الهرطقة و التجديف) .[4] "

حيث يقر التراثُ الحاخامي بأن خلاص اليهود سيتم بيد الماشيح الذي يقود الشعب إلى أرتس يسرائيل ، وهذا هو بداية العصر المشيحاني الذي سيطول ألف سنة مليئة بالسعادة و الخير ، وبعد ذلك ستأتي النهاية . لذلك فإن برنامج القلعي قد غيّر المعادلة المشيحانية العقيدية السائدة ، حيث تحولت " عملية تغيير متتالية الخلاص التقليدية (الماشيح . العودة . الخلاص) إلى متتالية جديدة (العودة للإعداد لوصول الماشيح . الماشيح . الخلاص) .[1] "

هذا الخرق البشري لتشكيل العقيدة الماشيحانية التقليدية قد مهد الطريق أمام بروز تيار صهيوني جاهد لتحقيق العودة بالاعتماد على الجماعات اليهودية (الذات) مهمِلاً الانتظار المشيحاني الخرافي ، وفي نفس الوقت متمسكاً بعقيدة مجيء الماشيح ، لكن بعد العودة و الإعداد البشري لمجيئه.

---

[2] الطيار ، المرجع نفسه ، ص 45 .

[3] المرجع نفسه ، ص 45 ، نقلا عن آرثر هيرتزبرج ، : الفكرة الصهيونية ، المرجع السابق ، ص 9 . 10.

[4] موسوعة اليهود و اليهودية ، مدخل (يهودا القلعي " 1798 . 1878 ") ، المرجع السابق.

[1] المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

وهذا كان له تأثير حتماً في نفوس الجماعات المتدينة ، بحيث رأت نسبةً كبيرةً من العقيدة الماشيحانية في برنامج الخلاص الذاتي هذا ، مع تأويل إنساني ذكي . وفي برنامجه العملي أيضاً ترك أثراً كبيراً في نفوس و نشاطات الصهاينة السياسيين الإستيطانيين ، " وقد استفادت الحركة الصهيونية من برنامجه فيما بعد ، حتى إن (الصندوق القومي اليهودي) حين تأسست عام 1901 جرى السير في خطى النهج الذي كان القالي قد رسمه للعمل الصهيوني.[2] "

"وفي عام 1871 ، زار فلسطين وأسس هناك جمعية إستطانية مالبث أن توقفت ثم استقر نهائيا في فلسطين عام 1874 . وقد قام بعض أتباعه بعد وفاته مباشرة بشراء أرض (بتاح تكفا) حيث أقيمت أول مستعمرة يهودية زراعية في فلسطين. [3] "

2. الحاخام زفي هيرش كاليشر 1795 Zevi H.Kalischer . 1874. [1]

أحد رواد ومن أوائل دعاة الصهيونية الكبار ، عاش في بروسيا (ألمانيا سابقا) ، وقضى معظم حياته في تورن في بولندا . [2]

"وكانت ولادته في بوزن ، وهي المقاطعة الغربية من بولونيا آنذاك ، وكانت خاضعة للسيطرة البروسية منذ عام 1793 . [3] "

عقيدته الصهيونية بدت في البداية في محاولات عملية قام بها ، حيث " بدأ النشاط العملي عند كاليشر عام 1836 بالكتابة إلى عميد الاثرياء اليهود في العالم (روتشيلد) في برلين ليشرح له نظريته

---

[2]الجبوري ،عبدالوهاب محمد: المرجع السابق ، ص 43 ، نقلا عن آرثر هيرتزبرج ، ص 10.

(3)موسوعة اليهود و اليهودية ، مدخل (يهودا القلعي " 1798 . 1878 ") ، المرجع السابق .

[1]أسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية 1882 . 1982 ، (المؤسسة العربية للدراسات و النشر . بيروت) 1990 ، ط2، ص 27 .

[2]أنظر المرجع نفسه ، ص 27 ، و موسوعة اليهود واليهودية، م6 ، ج2 ، ب12 ، مدخل (تسفي كاليشر" 1795 . 1874. "

[3]الجبوري ، عبد الوهاب محمد ، المرجع السابق ، ص 41 ، نقلا عن ارثر هيرتزبرج ، المرجع السابق ، ص 13 .

الجديدة عن الخلاص دون انتظار الماشيح . [4] " وقد جاء في رسالته أيضا : " ان بداية الخلاص سوف تأتي عن طريق أسباب طبيعية نتيجة للجهد الإنساني وعن طريق إرادة الحكومات لجمع شمل إسرائيل المبعثرة في الارض المقدسة. [5] "

وهذا كان محاولةً عمليةً قام بها كاليشر لتشجيع عائلة روتشيلد على الإستمرار في دعم المشروع الصهيوني الاستيطاني ، وكان روتشيلد قد ساعد كثيرا المستوطنين اليهود في فلسطين في أمورهم المعيشية و الصناعية ، وكان له دور كبير في عملية استيطان اليهود بشكل عام ، (كما أشرنا إلى ذلك سابقاً) ، لذلك كانت رسالة كاليشر لروتشيلد جاءت على اعتبار الدور الكبير الذي كان تقوم به عائلة روتشيلد في دعم المشروع و الفكر الصهيوني في القرن التاسع عشر .

أما المحاولات و الحياة الفكرية لدى كاليشر ، فقد " بدأت مع بدايات اليهودية الاصلاحية ، فهاجمها مدافعاً عن القيم التقليدية. [6] "

فقد كانت اليهودية الإصلاحية تدعو إلى ترك الأفكار التقليدية و المفاهيم القومية الدينية (مثل الشعب المختار ، والأرض الموعودة) . لذلك فإن معارضة كاليشر للفكر الإصلاحي كانت على أساس أن الإتجاه الصهيوني كاد أن يخنق الحلم الصهيوني المتمثل في استعمار فلسطين ، وذلك بدعوته إلى الاندماج في المجتمعات و انتهاج فلسفة الانتماء للأوطان التي كانت الجماعات اليهودية تعيش فيها ، أي ترك وهم العودة ، و البدء بحياة طبيعية في البلدان كمواطنين ذوي انتماء و ولاء .. ولم يكتف كاليشر بذلك ، بل قام بعمل فكري مؤثر ، وهو تأليفه كتاب (البحث عن صهيون) Drishot Tziyon عام 1862 ، وكان أول كتاب يظهر في شرق أوروبا يتحدث عن الاستيطان الزراعي اليهودي في فلسطين ، وقد كتبه بالعبرية التقليدية [1].

وأكد فيه أن بداية الخلاص اليهودي هي بالجهد الانساني ، وكسب موافقة الامم على جمع اليهود في الأرض المقدسة ، وقد انتقد صراحة فكرة الماشيح المنتظر ، وبيّن فيه أن الخلاص ليس بيد الماشيح ، بل بمبادرة اليهود أنفسهم ، وبيّن أيضاً أن العمل في الأرض المقدسة هو جهد مقدس ، وقد حث على الاستيطان في فلسطين و إقامة منظمة تتولي ذلك. [2]

تقول موسوعة اليهود و اليهودية ، إن كاليشر اقترح على اليهود " أن يطرحوا الفكرة الدينية التقليدية جانباً ويأخذوا بزمام الأمور . وبدلاً من الانتظار السلبي للماشيح عليهم أن يعودوا بأنفسهم ، فالعودة لن تتم بهجرة فجائية وخلاص إسرائيل سيأتي بأناة . والخلاص على الطريقة الحديثة سيبدأ بعودة بعض اليهود و استيطانهم الأرض المقدسة ... ثم يطلب كاليشر في نهاية المقال من اليهود أن يقتدوا

---

[4]موسوعة اليهود و اليهودية ، مدخل (تسفي كاليشر" 1795 . 1874 ") ، المرجع السابق.

[5]الجبوري ، عبدالوهاب محمد ، المرجع السابق ، ص 41 ، نقلا عن آرثر هيرتزبرج ، المرجع السابق ، ص 13.

(6)موسوعة اليهود و اليهودية ، مدخل (تسفي كاليشر" 1795 . 1874 ") ، المرجع السابق.

[1]أنظر د. أسعد عبد الرحمن ، المنظمة الصهيونية العالمية ، المرجع السابق ، ص 27 ، و موسوعة اليهود ، المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

[2]أنظر أسعد عبدالرحمن ، المرجع نفسه ، ص 28.

بالاغيار (لماذا يضحي شعب إطاليا وشعوب العالم من أجل أرض ابائهم ونحن لا نعمل شيئاً ؟ لنقتد بالإيطاليين و البولونيين و المجريين .. الذين ضحوا بكل شيء من أجل الإستقلال) .[3] "

فقد كان النصف الثاني من القرن التاسع عشر عصر الافكار القومية في أوروبا ، حيث هيمنت على كل المفاهيم و الافكار الاخرى . وقد برزت نزعات و حركات قومية واسعة الانتشار في القارة الأوروبية. [4]

وكان ذلك دافعاً مهماً في تمسك المفكرين الصهاينة بالمنهج الصهيوني ، وقد دعا كاليشر إلى الإقتداء بالقوميين الأوروبيين ، في محاولة لتشبيه اليهود بالاقوام و الشعوب الاخرى ، على أساس أنهم يشكلون شعبا خاصا ويعانون من الاضطهاد و الغربة في أوروبا ، تماماً مثل الايطاليين والبولونيين و المجريين.

وفي كتابه (البحث عن صهيون) يُظهِر بصراحة منهجَه في الخلاص الذاتي ، ويعلن عقيدتَه بأن فكرة الماشيح المنتظر عائق كبير أمام خلاص وتحرير اليهود . فيقول : " وبما أن ظهور المسيح المنتظر لن يفسح المجال أمام اختبار اليهود ، فإن على اليهود أن يقتنعوا نهائياً بأن (المسيح المخلص) لن يظهر ، وعليهم أن يضعوا نهاية لانتظارهم الطويل له.[5] "

إن كاليشر عارض فقط فكرة الماشيح المنتظر ، وقد بقى على جميع أدبيات الفكر الصهيوني الديني ، أو استطاع أن يستغل تلك الادبيات من أجل التأثير على الصهاينة ، لذلك لم يبد معارضة للخرافات الصهيونية الاخرى . في هذا الصدد تقول موسوعة اليهود و اليهودية " : [1] لكن كاليشر على طريقة الصهاينة الدينيين ، يتدارك و يضيف ديباجة إثنية دينية ، فاليهود يجب أن يكافحوا من أجل أرضهم لأن هدفهم ليس إحياء مجد الأسلاف و حسب ، وإنما العمل على إحياء مجد الإله الذي اختار صهيون . ويقول كاليشر أيضا : (إذا قدمنا الخلاص للارض بهذه الطريقة الدنيوية ، فسوف تظهر لنا علامات الخلاص تدريجياً وسيسمع الإله للمستوطنين ، وسيسرع بيوم خلاصهم . "

فعقيدة (الإله اختار صهيون) و (إحياء مجد الأسلاف بإعادة الأرض مرة أخرى لليهود) و (مجيء يوم الخلاص النهائي) كلها هي مفاهيم صهيونية توراتية تلمودية ، قد أكد عليها كاليشر مثل الصهاينة الدينيين ، الذين كانوا ينتظرون الماشيح انتظاراً سلبياً . إلا أن كاليشر من خلال تأكيده على مجيء يوم الخلاص بعد استعمار فلسطين يعطي شكلاً آخر لفكرة الماشيح المنتظر ، وهو ما يسمّى في الأدبيات الصهيونية الحديثة بـ (الإنتظار الإيجابي) .

---

[3]مدخل (تسفي كاليشر" 1795 . 1874 ") ، المرجع السابق.

[4]حول المفاهيم و الافكار القومية في القرن التاسع عشر ، أنظر الاصفهاني ، علي جعفر : مشكلة المفاهيم في العصر الحديث.. قراءة في الأسس و المناهج ، مجلة (الحوار الفكري و السياسي) مجلة دراسات فكرية وسياسية دورية ، المركز الإسلامي للأبحاث السياسية / قم . طهران ، العدد 37 ، (1988) ، ص 125 . 154.

[5]الجبوري ، عبد الوهاب محمد ، المرجع السابق ،ص 42 ، نقلا عن ارثرهيرتزبرج ، المرجع السابق ، ص 14 .

[1]مدخل (تسفي كاليشر" 1795 . 1874 ") ، المرجع السابق .

3. موسى هس1812 Moses Hess . 1875 . [1]

"ولد في ألمانيا ... و انتقل هس ، وهو بعد التاسعة ، إلى منزل جده حيث تلقى على يديه تعليماً دينياً و تعلم العبرية . ورغم ذلك لم يبد هس أي اهتمام بالقضايا اليهودية إلا في مرحلة متقدمة من عمره . وقد اهتم هس بدراسة التأريخ و كان شديد الإعجاب بالفيزياء و الأدب الفرنسي و درس الفلسفة في الجامعة ولكنه لم يحصل على درجة علمية . وقد استقر هس معظم حياته في باريس حيث تزوج من فتاة أمية مسيحية ... عام 1852 . [2] "

بعض الكتّاب يعدون هس واضعَ الأساس الفلسفي للصهيونية . [3] حيث هو " أول من حاول أن يجد للحركة الصهيونية أسساً فلسفية تجعل منها أيديولوجية كغيرها من الحركات التي ظهرت في القرن التاسع عشر . [4] "

"وكان لهس إتصال بالاوساط و المجلات الإشتراكية... وقد أظهر إعجاباً شديداً في مقتبل حياته بالدين المسيحي و الحضارة الغربية ، وخصوصاً في ألمانيا . [5] "

"وكانت ولادته مقرونة باحتلال القومية مركز الصدارة في أوروبا .. وبعد تجوال فكري أصبح هيز عميق الإقتناع بأن عالم المستقبل يجب أن ينظم كسيمفونية متناسقة على أسس الثقافات القومية " [6] .

---

[1] المرجع نفسه ، م6 ، ج2 ، ب9 ، مدخل (موسى هس " 1812 . 1875 ").

[2] المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

[3] المسيري ، عبد الوهاب : الايديولوجية الصهيونية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 122 .

[4] الجبوري ، عبد الوهاب محمد ، المرجع السابق ، ص 27 .

[5] موسوعة اليهود و اليهودية ، مدخل (موسى هس " 1812 . 1875 ") ، المرجع السابق.

[6] الجبوري ، المرجع السابق ، نقلاً عن آرثر هيرتزبرج ، المرجع السابق ، ص 19 .

بعد فشل ثورة 1848 [7]في ألمانيا وكان هس مشتركا فيها ، ترك الأفكار الإشتراكية ، وتأثر بالفكر القومي الإيطالي ، وهذا دفعه إلى نشر كتابه (روما والقدس) سنة 1862 ، وقد طالب فيه بإقامة دولة يهودية في فلسطين كحل وحيد للمشكلة اليهودية . [8]

إن الحل الذي طرحه هس في كتابه (روما والقدس) هو حل قومي ، وذلك من خلال ترسيخ النزعة القومية لدى اليهودي ، وتثبيت المفاهيم القومية الدينية في نشاط الجماعات اليهودية وذهنيتها . لذلك قد أكد في كتابه على " قومية يهودية تحرر القدس وتكون بداية عصر الإنبثاق الجديد على غرار تحرير المدينة الخالدة (روما في التأريخ القديم) ، وعندما يحين (سبت التأريخ) ، (سوف تفوق القدس الجديدة روما القديمة في النفوذ و العظمة) ، (فالشعب اليهودي حين يعي رسالته التأريخية ، ويشعر بقوميته و يستولي على فلسطين سوف يدشن ثورة الاجناس المضطهدة ضد سلطان الشعوب المستبدة.. و الدين اليهودي هو المبرر الأول لولادة القومية اليهودية) . [1] "

من هنا فقد عدّ هس الجماعات اليهودية . التي ستستولي على فلسطين . شعباً مضطهداً ، ويعني بالشعوب المستبدة ، كل الشعوب التي كانت مسيطرة على فلسطين منذ القدم وتعيش فيها ، والأخرى التي تضطهد اليوم في المنفى . أي أنه من خلال إحياء الشعور القومي اليهودي ، وإيقاظ مشاعر الجماعات اليهودية لتعي رسالتها التأريخية ، أراد أن يدشن الحرب ضد كل شعوب العالم ، سواء العالم الإسلامي الذي كان متمسكا بفلسطين ، أو العالم الغربي الذي طرد اليهود ونفاهم مرات عديدة . وهذا هو ثقافة الأغيار التلمودية التي كانت مهيمنةً على حياة الجماعات اليهودية منذ القدم .

"يرى هس أن ثمة ترابطاً عضوياً عميقاً بين الهوية اليهودية والدين اليهودي ، فالدين أهم أشكال التعبير عن هذه الهوية ، أي أنه يرى الدين مكونا إثنيا وشكلا من أشكال الفلكلور. ولذا ، فقد اقترح هس عدم إدخال أية تغييرات عليه. واستنكر محاولات اليهود الإصلاحية تحويل اليهودية إلى شيء عالمي أو إلى نسخة ثانية من المسيحية ، فهي محاولة محكوم عليها بالفشل لأن اليهودية الإصلاحية لا تبدي أي شكل من أشكال الاحترام للمقومات الأساسية للقومية الدينية التي تشكل جوهر الدين. فاليهودية دين عقيدة ودين عبادة قومية (على عكس المسيحية) ، و لذا فهو يشير دائما إلى (دين اليهود التاريخي) ، أي دين يتبدى في الحياة القومية والتأريخية لليهود.[2] "

---

[7]قامت هذه الثورة تحت تأثير الأحزاب التحريرية و الوطنية في ألمانيا ، في (آذار 1848 . تشرين الثاني 1850)./ المنجد في الأدب والعلوم ، المرجع السابق ، مادة : ثورة .

[8]أنظر المسيري ، عبدالوهاب : الأيديولوجية الصهيونية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 122 ، و أسعد عبد الرحمن : دور الحركة الصهيونية.. ، في (مستقبل الحركة الصهيونية..) ، المرجع السابق ، ص 86 .

[1]الجبوري ، المرجع السابق ، ص 29 ، نقلاً عن هيرتزبرج ، المرجع السابق ، ص 20 .

([2])موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (موسى هس " 1812-1875 ") ، المرجع السابق.

وقد كان التأكيد على القومية اليهودية وتقويتها في الحياة اليهودية يشكّل جزءاً كبيراً من اهتمامات هس في مؤلّفه (روما والقدس) ، وقال فيه : " إن الأمم تعلمت الفكر القومي من اليهود الذين تعاملوا مع أنفسهم على أنهم قومية منذ ظهور التعاليم الدينة اليهودية.[3] "

وهو يتساءل إذا كان للإيطاليين وطنيتهم فلماذا لا يكون لليهود ، وإذا كان عدلاً تحريرُ روما فلماذا لا يكون ذلك للقدس. وهو يؤمن أن لكل شعب معناه الروحي ومهمته في التأريخ ، وهو يرى أن اليهود لا يستطيعون تحقيق رسالتهم إلا من خلال نهضة قومية على قطعة أرض ، وعليهم أن يحققوا ذلك على (أرض الميعاد). [4]

وجانب آخر من الجوانب التي اهتم بها هس في كتابه الشهير (روما والقدس) ، وفي حياته أيضا ، هو مسألة العرق اليهودي أو الجنس اليهودي ، فقد أصر هس على أن اليهود يشكّلون جنساً مستقلاً ، وقد استطاع هذا الجنس أو العرق أن يحافظ على نقائه في جميع المراحل التأريخية .

فقد قال " إن العرق اليهودي هو واحد من أقدم الأعراق الإنسانية... وأن الشعب اليهودي شعب (بائس) مطعون به محتقر ومبعثر.. وأن اليهود استطاعوا الحفاظ على وحدتهم بالرغم من اختلاف البيئات بحيث حفظ الجنس اليهودي صفاءه عبر القرون .[1] "

"وقد نظر إلى مسألتي الحرية والقومية من زاوية عرقية وعنصرية ، (فالعرق هو الذي يخلق المؤسسات الاجتماعية والمواقف الروحية).[2] "

يقول عبدالوهاب المسيري " : [3] كان (موسى هس) أول من نادى بتحديد الهوية اليهودية على أساس بيولوجي أو عنصري ، فقد تنبأ بأن الصراع العنصري سيغدو (الصراع الأساسي) ، وأسهم بكل ما أوتي من حماس في الترويج لتلك الثنائية العنصرية السامية . الآرية ، التي قدر لها أن تغدو فيما بعد الثنائية الرئيسية لدى منظري العنصرية الأوروبية . "

وهذا شأن كل الكتاب الصهاينة الآخرين الذين جاءوا بعده ، إلا أنهم قد أكدوا على نقاء العنصر اليهودي ، وليس ذلك فقط ، بل نادوا بتفوق هذا العرق على جميع الأعراق. وقد كان هس نظر إلى التأريخ العالمي على أنه ميدان لعنصرين تاريخيين عالميين ، السامي والآري [4] .

"وحيث إن القومية والعرق أمران مترادفان في عقل هس وفي وجدان أوروبا في القرن التاسع عشر... وحيث إن الانتماء القومي هو في جوهره انتماء عرقي ، نجد أن هس يشير إلى العرق اليهودي باعتباره من العروق الرئيسية في الجنس البشري التي حافظت على وحدتها رغم التأثيرات المناخية عليها ، كما حافظت السمة اليهودية على نقائها عبر العصور. وقد قسم هس العالم إلى جنسين أساسيين (السامي

([3])الأصفهاني ، علي جعفر: مجلة (الحوار الفكري والسياسي) ، المرجع السابق ، ص156.

([4])أنظر المسيري ، عبدالوهاب: الأيديولوجية الصهيونية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص122.

([1])الجبوري ، عبدالوهاب محمد ، المرجع السابق ، ص28 بتصرف ، نقلا عن هيرتزبرج ، المرجع السابق ، ص21 وما بعدها..

([2])المرجع نفسه ، ص30 ، نقلاً عن هيرتزبرج ، ص20.

([3])اليهودي الخالص ، في كتاب (الصهيونية والعنصرية) ، أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص112..

([4])المسيري ، المرجع نفسه ، ص ص113 ، 116..

والآري) يهدف الأول إلى إضفاء الأخلاق على الحياة ، ويهدف الثاني إلى إضفاء الجمال عليها (وهو التقسيم الذي قبلته أوروبا وقبله النازيون فيما بعد .[1] "

ولكن سيبدو لنا أن هس لم يكن يؤمن بوجود عرق آخر فوق العرق السامي أو أن يكون معه جنبا إلى جنب. حيث كان من أشد المعارضين للاندماج ، بسبب قناعته بتفوق الشعب اليهودي على جميع الشعوب ، وتمسكه بالمفاهيم القومية الدينية التي تحول دون الإندماج في المجتمع.

إن إصرار هس على قناعته بتفوق العرق اليهودي ، جاء بتأثير الأفكار التي تروج للعرق الآري نفس الشيء. يقول د. (إبراهيم الحاردلو) في كتابه (الصهيونية وعداء السامية) " :[2]ليس من شك أن فكرة هيز كانت متأثرة بالأفكار التي تقول بتفوق الشعب الآري وتميزه عن غيره من الشعوب.. وليس من عوامل الصرف والاتفاق أن تنتهي الحركة الصهيونية إلى حركة نازية كما تحولت فكرة تميز الشعب الآري إلى النازية ، فإن المشرب واحد. "

"وعليه فإن دعوة هيز لا تهدف إلى محو اللاسامية فحسب ، بل تفرض وصاية الصهيونية على البشرية كلها. [3] "

وجانب آخر من الجوانب التي اهتم بها هس ، هو مسألة الاندماج (اندماج الجماعات اليهودية في المجتمعات الأوروبية). وقد كانت ألمانيا التي عاش فيها هس مهد الفكر الإصلاحي الاندماجي ، الذي دعا الجماعات اليهودية إلى التخلي عن العزلة والمفاهيم القومية الدينية ، والدخول في الحياة الاجتماعية الأوروبية. لذلك منذ أن بدأ هس بأعماله الفكرية تصدى للأفكار الإصلاحية الاندماجية ، وقد عارض الاتجاه الاندماجي بشكل خاص ، لوجود قناعة قوية لديه " (بأن الإصلاح وتغيير الدين والتعليم والاستنارة فشلت جميعها في جعل المجتمع الأوروبي يغير نظرته إلى اليهودي) وأن الذوبان في المجتمعات الأوروبية لا يشكل حلاً أفضل من الحلول السابقة الأخرى ، لأن اليهود المقيمين في وسط الأمم الأخرى (لا يمكن أن يلتحموا عضويا بهذه المجتمعات).[4] "

"ثم يذكر هس الحقيقة الأساسية في أوروبا في عصره وهي أن الشعوب الأوروبية اعتبرت وجود اليهود بينها شذوذا ، ولذا سيبقى اليهود غرباء أبدا لا يمكنهم الإلتحام العضوي بأوروبا ، شعباً منبوذاً ومحتقراً ومشتتاً ، شعباً هبط إلى مرتبة الطفيليات التي تعتمد في غذائها على الغير ، شعباً ميتاً لا حياة له... وطرح المشكلة على هذا النحو يشير إلى الحل وهو: نقل الشعب الذي نبذه العالم الغربي وتوطينه في الشرق ليقوم على خدمة الغرب ومن ثم يصبح اليهود جزءا من التشكيل الاستعماري الغربي بعد أن فشلوا في الانتماء إلى التشكيل الحضاري الغربي.[5] "

---

(1)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (موسى هس " 1812–1875 ") ، المرجع السابق.

(2)نقلاً عن الجبوري ، عبدالوهاب محمد ، المرجع السابق ، ص32.

(3)المرجع نفسه ، ص32 ، نقلا عن إبراهيم حاردلو: الصهيونية وعداء السامية ، جامعة الخرطوم / قسم التأليف والنشر ، 1970 ، ص10.

(4)الجبوري ، المرجع نفسه ، ص28 ، نقلا عن هيرتزبرج ، المرجع السابق ، ص21 وما بعدها.

(5)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (موسى هس " 1812–1875 ") ، المرجع السابق.

وأضاف هس بأن حل المشكلة اليهودية يكمن في بعث الأمل في صفوف اليهود والعمل على إقامة دولة يهودية على أرض الأجداد ، ونصح اليهود بأن يعملوا على تثقيف العرب والأفارقة الذين وصفهم بالقطعان والمتوحشين ، وأن يجعلوا القرآن والإنجيل يدوران حول التوراة . [1]

وقد كان هس مهتماً بأحوال الاستعمار في أوروبا آنذاك ، وقد كانت القوى الاستعمارية تتطلع إلى الهيمنة على المناطق العربية. ويستغل هس هذا الوضع الإمبريالي ، ولجلب انتباه الغربيين إلى أهمية تأسيس دولة في قلب المناطق التي كانت مستهدفة من قبل الغربيين لاستعمارها ، يقول هس:

" إن من الأغراض التي سوف يحققها قيام الدولة الصهيونية في فلسطين حمل الحضارة الأوروبية إلى آسيا وأفريقيا .[2] "

"ولعل هذا هو نفس الشعب الذي كانت تتذرع به الدول الاستعمارية حين استعمرت آسيا وأفريقيا.. فكانوا يدعون أنهم يبغون نقل الحضارة لتلك البلاد ، ولا يريدون الاستعمار .[3] "

وقد تجاوز هس المفاهيم الدينية في مسألة العودة إلى أرض الميعاد ، ويطلب من الجماعات اليهودية نفس الشيء ، فيقول: " إن اليهود ينبغي عليهم ألا يطالبوا الإله بأرض الأجداد من خلال الصلاة ، وإنما يجب عليهم أن يتحلوا بالشجاعة ويطلبوا هذه الأرض من الإنسان الغربي ، وأن ينسلخوا عن اليهودية وينخرطوا في التشكيل الاستعماري الغربي.[4] "

وفي الحقيقة يعني بالإنسلاخ عن اليهودية ترك فكرة الماشيح المنتظر ، بدليل دعوته إلى الإنخراط في التشكيل الاستعماري الغربي ، وهو يعني عدم انتظار الماشيح والبدء بالعودة إلى الأرض بمساعدة الإمبريالية ، وكجماعات استعمارية أيضا. لأن الديانة اليهودية لا تعارض استعمار فلسطين . بل احتلالها يشكّل أساسَ الفكرة التي يقوم عليها كلُ الديانة اليهودية . وإن وضعت فكرة احتلالها في صياغة وعقيدة دينية مشيحانية. وربما الدعوة إلى استيطان فلسطين بالذات . وليست منطقة أخرى . تدل على المضمون الديني لدعوات استيطان فلسطين ، حيث يؤكد كل الأسفار التوراتية والتلمودية على فلسطين كأرض أجداد اليهود التي وعد الإله أن تكون لشعبه فقط.!

ولتأكيد أهمية الدولة اليهودية في فلسطين ونفعها للقوى الإمبريالية الغربية ، يرى هس أن اليهود " يكوّنون (مركز اتصال بين القارات الثلاث... وهم حملة الحضارة إلى شعوب لا تعرفها... الوسيط بين أوروبا وآسيا البعيدة ، وذلك كي يمهدوا الطرق التي تقود إلى الهند والصين ، لكل المناطق المعزولة التي يجب أن تعرض للحضارة) . كما أنهم سيعطون الدولة العثمانية بعض المال الأمر الذي سيحد من تداعي الإمبراطورية (وهو ما كان يهم فرنسا آنذاك).[5] "

([1])أنظر الأصفهاني ، علي جعفر: مجلة الحوار الفكري والسياسي ، المرجع السابق ، ص156.

([2])الجبوري ، عبدالوهاب محمد ، المرجع السابق ، ص32 ، نقلا عن كتابه (روما والقدس) في هيرتزبرج–الفكرة الصهيونية–ص1 وبعدها.

([3])الجبوري ، المرجع نفسه ، ص32.

([4])موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (موسى هس " 1812–1875 ") ، المرجع السابق.

([5])المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

هكذا نرى أن موسى هس كان أحد رواد الفكر الصهيوني في القرن التاسع عشر ، وقد ساهم بقوة في تثبيت دعائم العمل الصهيوني الإمبريالي غير المشيحاني ، الذي كان الأساس الذي نشأت في ضوءه الحركة الصهيونية الهرتزلية في أواخر القرن التاسع عشر.

"وقد سمع هس... عن كتابات كاليشر فنوّه بها وبيّن أنها علامة على البعث القومي الجديد ، كما كان يرى ذلك في الحسيدية (فرفضها الاندماج علامة على حيوية اليهودية الحديثة)... وقد ساهم هس في بعض الأعمال التمهيدية للاستيطان ، فاشترك في تحقيق مشروع المدرسة الزراعية قرب (يافا) وقد توفي هس عام (1875) ونقلت رفاته إلى إسرائيل.. [1] "

وعن دور هس الفكري في الوسط اليهودي الصهيوني في القرن التاسع عشر ، يقول عنه مارتن بوبر : " يعتبر هيز بادئ الحركة الصهيونية " ، ويقول عنه هرتزل : " كل شيء حاولناه يمكن العثور عليه في آثاره . [2] "

"وقد وصف الزعيم الإصلاحي (أبراهام جايجر) كتابات هس بأنها (ليست الولادة لعصر جديد ، بل القبر المفتوح لعهد مضى .[3] "

4. ليو بنسكر (1821 1891. Judah Leib (Leon) Pinsker **)** [4] .

([1])المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

([2])الجبوري ، عبدالوهاب محمد ، المرجع السابق ، ص29 ، نقلا عن هيرتزبرج ، المرجع السابق ، ص20..

([3])موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (موسى هس " 1812–1875 ") ، المرجع السابق.

([4])أسعد عبدالرحمن: المنظمة الصهيونية العالمية ، المرجع السابق ، ص30..

"طبيب روسي صهيوني... ولد في روسيا ، وكان أبوه مدرساً وعالماً ، كما كان يعمل بالتجارة وقد انتقل إلى مدينة أوديسا... وكانت أوديسا مدينة روسية جديدة تتسم بارتفاع معدلات العلمنة والاندماج بين أعضاء الجماعة اليهودية ، فزود ابنه بثقافة روسية علمانية ، وعرفه بأفكار حركة الاستنارة اليهودية... ولم يتعلم بنسكر في مدرسة يهودية (كما هو الحال مع معظم المفكرين والزعماء الصهاينة) ، وإنما أنهي دراسته الثانوية في مدرسة روسية ، ثم درس الحقوق في أوديسا ودخل جامعة موسكو لينال منها شهادة طبية. وقد كتب عدة مقالات في راسيفيت وهي أول مجلة أسبوعية يهودية تصدر بالروسية (بدأ نشرها عام 1860) ، وكتب أيضا في مجلات يهودية أخرى ذات طابع اندماجي ، كما قام بجهود كبيرة كعضو في جمعية تنمية الثقافة بين يهود روسيا. [1] "

"يعتبر بنسكر أكبر مفكر في الحركة الصهيونية يأتي بعد هس.. ولم يكن بنسكر أكثر اليهود الروس ذوبانا في المجتمع الروسي فحسب ، بل كان أيضا أكثرهم حماسا لجعل اللغة الروسية والثقافة الروسية تطغيان على حياة اليهود الداخلية وعلى ديانتهم أيضا . [2] "

إن بنسكر من أشهر الكتاب اليهود الذين برزوا بداية كمؤيدين للاندماج مع الشعوب الأخرى. وقد كانت فكرة الاندماج تبنتها حركة التنوير اليهودية ، ودعت إليها أيضا حركة اليهودية الإصلاحية. والاتجاه الاندماجي قد كان منتشرا في روسيا بصورة كبيرة ، وكانت جمعية تنمية الثقافة في روسيا مركز الاندماج في تلك البلاد. وبنسكر كان عضواً بارزاً في تلك الجمعية . فكتب يؤيد الإندماج ، وحثّ اليهود الروس على تعلّم اللغة الروسية والعيش في أي مكان في الديار الروسية. لكنه وقع تحت صدمة المذابح في روسيا عام (1882) التي تمت ضد اليهود على اثر اغتيال القيصر ، فغير أفكاره الاندماجية . و " تغيّر موقفُه بشكل جوهري وعدل عن كثير من آرائه ، وبدأ الشك يساوره في مقدرة الاستنارة وحدها على حل مشاكل اليهود . [3] "

وكان قبل ذلك يرى أن الحل الوحيد لمشاكل اليهود هو الاندماج في المجتمعات. لذلك بعد هذا التغيير الجذري في موقفه ، " راح بنسكر يبحث عن علاجات وأساليب جديدة للمشكلة ، فسافر إلى أوروبا الغربية والوسطى لنشر أفكار دعوته الجديدة إلى ضرورة تركيز اليهود في دولة قومية ، لكنه لم يجد مؤيدين لفكرته . [4] "

وربما يرجع ذلك إلى أن يهود الغرب كانوا يتمتعون نسبيا بالحياة المندمجة مع شعوب أوروبا الغربية ، وكانوا مقتنعين بذلك النمط من الحياة ، لذلك لم يتجاوبوا مع أفكار بنسكر حول إيجاد دولة لليهود.

وبعد ذلك في عام (1882) ، كتب كتاباً شهيراً بعنوان (التحرر الذاتي: تحذير من يهودي روسي لإخوته) ، Autoemanzpation وكان بالألمانية. ونشره دون ذكر اسم المؤلف ، ودعا فيه إلى إيجاد

---

(1)موسوعة اليهود واليهودية ، م6، ج2 ، ب7 ، مدخل (ليو بنسكر (1821–1891. ((

(2)الجبوري ، عبدالوهاب محمد ، المرجع السابق ، ص32.

(3)موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (ليو بنسكر (1821–1891)) ، المرجع السابق.

(4)الجبوري ، عبدالوهاب محمد ، المرجع السابق ، ص33 ، نقلا عن هيرتزبرج ، المرجع السابق ، ص79.

قومية يهودية تتيح لهم العيش على أرض واحدة محددة ، كما دعا إلى إقامة منظمة مركزية ، أو شركة مساهمة لشراء الأراضي. [1]

وهذا الكتاب يُعد من الكتب المهمة التي وضعت الحلول الصهيونية غير المشيحانية ، من أجل خلاص اليهود من المشاكل والتشتت. ويبدو من خلال عنوانه أنه يقتدي بأفكار المفكرين الصهاينة الأولين من أمثال كاليشر والقلعي وهس. حيث طرح هؤلاء المفكرون الخلاص أو التحرر الذاتي الذي لا يستند إلى انتظار المسيح.

وقد بيّن بنسكر في كتابه أن " اليهود في نظره بمثابة الضيوف في كل مكان وليسوا أصحاب منزل خاص بهم . [2] " وفي الكتاب أيضا " يضع بنسكر الموضوع اليهودي في سياقه الغربي وحسب وينطلق ، مثله مثل معظم الصهاينة ، من رفض اليهودية التقليدية والتفكير الديني اليهودي. فهو يعلن ضرورة التخلص من موقف الانتظار وضرورة الثورة ضد الشعور الديني القائم الذي يدفع اليهود إلى تقبل وضعهم ووجودهم في المنفى باعتباره عقابا أنزله الإله بهم (فشعب الله المختار إن هو إلا شعب مختار للكراهية العالمية). ولذا يجب على اليهود التخلي عن الفكرة المغلوطة القائلة بأن اليهود بتشتتهم هذا يحققون رسالة إلهية ، فتلك الرسالة لا يؤمن بها أحد. [3] "

ويقول أيضاً : " تخلى اليهود متعمدين عن قوميتهم إلى حد ما وذلك كي يختلطوا مع الغير.. لكنهم لم ينجحوا في تحقيق اعتراف جيرانهم في أنهم مواطنون ذوو حقوق متساوية " ويقول: " انتقل هذا الخوف من الشبح اليهودي من جيل إلى آخر وقوى عبر العصور ، إلى أن أدى التحامل ضد اليهود . الذي بدوره ، وإلى جانب أسباب أخرى ، مهد الطريق إلى عقدة الخوف من اليهود... أصبح الخوف من اليهودية... متعمقاً في طبيعة شعوب الأرض .[4] "

هذه الأفكار كانت تتطلع إلى تعميق شعور اليهودي بظاهرة معاداة السامية. حتى تستقر قناعته على أن معاداة اليهود تنبع من طبيعة الشعوب غير اليهودية. وكان بنسكر مؤمنا بنظرية عداء الأغيار لليهود ، وهناك مقولات كثيرة في كتابه (التحرر الذاتي) تدل على ذلك. فهو يقول : " إننا قطيع منتشر في أرجاء المعمورة دونما راع يحمينا ويجمعنا معاً. أما في أحسن الظروف ، فقد نصل إلى مرتبة الماعز التي تبيت (حسب التقليد الروسي) في إسطبلات الخيل ، وإذا بقيت الظروف على ما هي عليه (فسنظل طفيليين نعتمد في معيشتنا على بقية السكان) . وهذا هو أساس البلاء ، فما دام اليهود عنصراً قومياً غريباً ، ضيوفاً على أمم مضيفة ، فإنهم سيظلون محط كراهية كل الشعوب لأن الناس تخاف من الأشباح.[5] "

([1])أسعد عبدالرحمن: المنظمة الصهيونية العالمية ، المرجع السابق ، ص30 ، وموسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (ليو بنسكر (1821-1891)) ، المرجع السابق..

([2])الجبوري ، المرجع السابق ، ص34 ، نقلا عن هيرتزبرج ، المرجع السابق ، ص79.

([3])موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (ليو بنسكر (1821-1891)) ، المرجع السابق.

([4])الجبوري ، المرجع السابق ، ص37 ، نقلا عن هيرتزبرج ، ص80.

([5])موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (ليو بنسكر (1821-1891)) ، المرجع السابق.

ويقول أيضا : " الخوف من اليهود هو انحراف نفسي موروث ، ومرض تناقلت عدواه منذ ألفي سنة ولا يمكن استئصاله... ومهما بلغ الاختلاف بين الأمم ، فإنها تتعاون معاً على كره اليهود ، الكل يتفق على هذه المسألة. [1] "

"ومن الواضح أن وصف بنسكر متأثر بتجربة يهود شرق أوروبا ، وخصوصاً روسيا ، فقد كانوا يعيشون في مناطق الاستيطان على هامش المجتمع الروسي: (منبوذون... لا يطبق عليهم القانون العام باعتبارهم أغراباً بمعنى الكلمة . فثمة قوانين خاصة باليهود). [2] "

هكذا تغيّر بنسكر من مفكر كان يدعو إلى الإندماج ، إلى رجل يعمق دلالات القومية اليهودية ويغذي شعور الجماعات اليهودية بالظلم والغربة وعداء الأغيار لها. وبينما هو يتحرك في هذا الوسط الصهيوني يطرح حلاً مناسباً في نظره لوضع اليهود السائد في أواخر القرن التاسع عشر ، " فالعلاج الذي وصفه كان يقضي بإيجاد قومية يهودية تعيش على أرضها.. والوطن القومي اليهودي يمكن قيامه في أي مكان من العالم . [3] "

و " قدم عدداً من الإقتراحات العملية والتنظيمية اقترح بموجبها إقامة منظمة مركزية تكون نواتها (الجمعيات القائمة فعلا)... وطالب بعقد مؤتمر قومي ينبثق عنه مكتب مركزي ، وإن تعذر ذلك تنشأ دائرة تتولى القيام بالأغراض ذاتها.. وتقيم الدائرة هذه . بالاشتراك مع عدد من المتمولين اليهود . شركة مساهمة ، مهمتها شراء قطعة أرض يمكن . مع الوقت . استيطانها من قبل عدة ملايين من اليهود . [4] "

يبدو أنه كان غير آبه بالأرض المقدسة (فلسطين). لذلك أعرب عن الإستعداد للقبول بأي مكان ، ولم يصر على فلسطين كشرط لإقامة الوطن القومي . إكتفى بالقول بأن اليهود بحاجة إلى مكان خاص بهم " امنحونا متعة الاستقلال واسمحوا لنا أن نقرر مستقبلنا ، واعطونا قطعة من الأرض... أعطونا مجال وجود القومية الحرة . [5] "

فهو يطلب من القوى الإمبريالية الغربية التي كانت تتحكم آنذاك بأرض المستعمرات ، قطعة من الأرض ، ليمارس اليهود عليها قوميتهم وأحلامهم. لكن لم يبق بنسكر على هذا المنهج ، حيث أصبح مؤسس وزعيم حركة(أحباء صهيون)،[6] Hibbat Zion والتي . كما أشرنا إليها في السابق . كانت قد نظمت حملات استيطانية في فلسطين .

([1])الجبوري ، المرجع السابق ، ص37–38 ، نقلا عن هيرتزبرج ، ص80.

([2])موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (ليو بنسكر (1821–1891)) ، المرجع السابق..

([3])الجبوري ، المرجع السابق ، ص35 ، نقلا عن هيرتزبرج ، ص80..

([4])المرجع نفسه ، ص35 ، نقلا عن هيرتزبرج ، ص81..

([5])نقلا عن موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (ليو بنسكر (1821–1891)) ، المرجع السابق..

([6])المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

"وفي خلال رئاسته تمكنت الحركة من جمع المال لإقامة المستعمرات الصهيونية في فلسطين ، وساعدت كثيراً في تمهيد السبيل أمام الفكر والعمل الصهيوني بين يهود أوروبا الشرقية من خلال أعمالها التثقيفية . [1] "

" كما تأسست في روسيا (جمعية تقديم المساعدات للمستوطنين الزراعيين وأصحاب الحرف اليدوية اليهود في سوريا وفلسطين) التي كانت تعرف بلجنة أوديسا.[2] "

وهكذا أصبح بنسكر مفكراً صهيونياً استيطانياً . وعاد إلى عقيدة استعمار فلسطين ، التي لم يبد اهتماما بها في البداية. وليس ذلك فحسب ، بل " زار بنسكر باريس وأقنع روتشيلد بمساعدة الاستيطان اليهودي ، ونظرا لأن الأموال التي جمعتها جماعة أحباء صهيون كانت قليلة جدا (فهي لم تكن حركة جماهيرية) ، فإن معظم المستوطنات كانت في نهاية الأمر قد أصبحت تابعة لروتشيلد.[3] "

لكن هذا لا يعني أنه أصبح منفذا عمليا لمشاريع الاستيطان ، وترك المجال الفكري. يقول (آرثر هيرتزبرج) : " لا يخفى أن أهمية بنسكر تكاد تنحصر في الحقل الفكري والتثقيفي أكثر منها في الحقل الصهيوني العملي .[4] " وتقول موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " : [5]يعد بنسكر مفكرا صهيونيا أكثر من كونه منفذا للمشروع.. كما أن أسلوبه وأفكاره يشبهان أفكار وأسلوب (هرتزل) إلى حد كبير ، لكن هرتزل قد دون في مذكراته أنه لم يطلع على كتابات بنسكر. ولعل الفارق الأساسي بينهما هو مدى إدراك حتمية الاعتماد على الإمبريالية ، إذ كان بنسكر يتحرك داخل وهم الانعتاق الذاتي " أي تحقيق الخلاص على يد اليهود أنفسهم (من غير انتظار الماشيح) ، وليس من خلال القوى الإمبريالية الغربية..

5. تيودور هرتزل (1860 Theodor Herzl .1904.)

إن أهمية (هرتزل) في وسط الفكر الصهيوني تكمن في كونه مفكراً للمشروع الصهيوني ومنفذاً عملياً له في نفس الوقت . أي بالإضافة إلى كتاباته ونظرياته ، كان قد عمل كثيرا من أجل توحيد الجهود الصهيونية وتنظيم النزعات الصهيونية ، وصياغة برنامج عمل لجميع التيارات الصهيونية. وكان ذلك في أواخر القرن التاسع عشر ، حيث إنشاء المنظمة الصهيونية.

"ولد تيودور هرتزل عام (1860) لأب تاجر ثري . وكان يحمل ثلاثة أسماء ، أهمها اسمه الألماني (تيودور) ، وثانيهما اسمه العبري (بنيامين زئيف) ، و ثالثها اسمه المجري (تيفا دارا). والتحق

([1])الجبوري ، عبدالوهاب محمد ، المرجع السابق ، ص35-36 ، نقلا عن هيرتزبرج ، ص80.

([2])موسوعة اليهود واليهودية ، مدخل (ليو بنسكر (1821-1891)) ، المرجع السابق.

([3])المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

([4])نقلا عن الجبوري ، المرجع السابق ، ص36.

([5])مدخل (ليو بنسكر (1821-1891)) ، المرجع السابق.

تيودور الصغير بمدرسة يهودية وعمره ست سنوات لمدة أربعة أعوام انقطعت بعدها علاقته بالتعليم اليهودي. ولذا ، لم يقدر له أن يدرس العبرية ، بل لم يكن يعرف الأبجدية نفسها. والتحق بعد ذلك بمدرسة ثانوية فنية ، ومنها التحق بالكلية الإنجيلية (1876) وعمره (15 سنة) (أي أنه التحق بمدرسة مسيحية بروتستانتية ، ولعله تلقى تعليماً دينياً مسيحياً هناك) .

وأنهى دراسته عام (1878). وكانت أسرة هرتزل مجرية النسب ، إلا أنها ، ضمن مجموعة من اليهود ، قاومت عملية المجيرة (أي صبغها بالصبغة المجرية) واحتفظت بولائها لألمانيا... ولذا ، نزحت الأسرة إلى (فيينا) عام) 1878. [1] " (

"إلتحق هرتزل بجامعة فيينا وحصل على دكتوراه في القانون الروماني عام (1884) وعمل بالمحاماة لمدة عام ، ولكنه فضل أن يكرس حياته للأدب والتأليف... فنشر ابتداء من عام (1885) مجموعة من المقالات ، وكتب بعض المسرحيات التي لاقت نجاحاً كبيراً.. وفي عام (1889) تزوج هرتزل من (جولي نتشاور)... وفي عام (1891) ، التحق هرتزل بصحيفة (نويا فرايا براسا) أوسع الصحف النمساوية انتشارا ، وأرسل إلى باريس للعمل مراسلاً للصحيفة هناك (حتى عام 1895) حينما عيّن رئيساً لتحرير القسم الأدبي في الصحيفة وبقى في عمله حتى وفاته.[2] "

وصل هرتزل إلى باريس مع زوجته في خريف عام (1891) وأخذته الصدمة عندما وجد في وطن الثورة الفرنسية نفس معاداة السامية التي كانت قد أصبحت مألوفة جدا في النمسا. وكانت هناك في ذلك الوقت نظريات اعتبرت أن معاداة السامية كمشكلة اجتماعية يمكن أن يتغلب عليها اليهود فقط بواسطة ترك طرق حياتهم المتميزة والاندماج في المجتمعات ..

إلا أن قضية الكابتن دريغوس . حيث كانت الإستخبارات العسكرية الفرنسية أعطت إلى الوكلاء الألمان ضابطاً يهودياً سمي ألفريد دريغوس كان اتُهم خطأً بارتكاب الجريمة . قد أنتجت انفجار معاداة السامية بين الجمهور الفرنسي . و كان لهذه القضية صدى كبير في جميع أوروبا. وقال هرتزل في السنوات اللاحقة بأنه كانت قضية دريغوس قد جعلت منه صهيونياً ، وأقنعته بأنه طالما وجدت معاداة السامية ، سيكون استيعابها مستحيلا ، والحل الوحيد هو هجرة الجماعات اليهودية إلى مكان تدير شؤونه بنفسها [3] .

والمعروف من هرتزل أنه كان اندماجياً في بداية حياته ، وقد دعا إلى انتهاج فكرة الاندماج حلاً للمشكلة اليهودية . ولكنه تحول للصهيونية عام) 1894 . [4] (وقد كان لقضية دريغوس تأثير كبير عليه في تحوله إلى الصهيونية. ومنذ ذلك الحين رأى أن الجواب الحقيقي لمشكلة اللاسامية والعداء ضد اليهود هو إنشاء الدولة اليهودية .[5]

([1])المرجع نفسه ، م6 ، ج2 ، ب8 ، مدخل (هرتزل: حياته (1860-1904. ((

([2])المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

([3])المرجع السابق ، مادة ، Herzl, Theodor ، Encyclopedia Britannica :بتصرف.

([4])أنظر أسعد عبدالرحمن ، المنظمة الصهيونية العالمية ، المرجع السابق ، ص30.

([5])أنظر المرجع نفسه ، ص31..

وبذلك فقد تبنّى منهجاً صهيونياً سياسياً ، وتجاوز الحلول الاندماجية الاجتماعية التي طالب بها الاتجاه الاندماجي. والترجمة السياسية للصهيونية قد استعملها لأول مرة الكاتب النمساوي (ناثان بيرنباوم) (1937.1864) ، حيث حوّل كلمةَ (الصهيونية) إلى مصطلح سياسي ليعبر عن تحول النزعات والتطلعات الدينية اليهودية إلى حركة سياسية .[1]

لكن هرتزل مع تأكيده على ذلك ، فقد ترجم المصطلح إلى الواقع ، حيث أنشأ حركة سياسية منظمة لتحقيق أهداف الصهيونية السياسية . (وسنتناول ذلك بالتفصيل فيما بعد)..

عن هرتزل تقول موسوعة اليهود واليهودية " :[2]إنه كان كصحفي نمساوي يتحرك بكفاءة في الأوساط الغربية كما كان يتحدث لغتَها. وقد قال هو نفسه إنه (تعلم في باريس كيف يدار العالم) . "

وكما بيّنا فإن هرتزل قد تحوّل إلى رجل صهيوني بعد تصاعد وتيرة ظاهرة اللاسامية ، وكانت قضية دريغوس قد صعدت الوضع توتراً في فرنسا ، وفي هذه الأثناء " وما بين ربيع عام 1895 وشتائه ، اختمرت فكرة الدولة اليهودية في عقل هرتزل ، ثم قرر أن يسجل أفكاره في كتيب ففعل ذلك في خمسة أيام ونشر موجزا في (جويش كرونيكل) (صحيفة) ثم نشرها في (14 / فبراير /1896) بعنوان (دولة اليهود : محاولة لحل عصري للمسألة اليهودية). وقد ألّف هرتزل الكتيب بالألمانية ونشر منه بين عامي (1896) و (1904) خمس طبعات بالألمانية وثلاثاً بالروسية وطبعتين بكل من العبرية واليديشية والفرنسية والرومانية والبلغارية. وقد أصر على أن يضع لقبه العلمي (دكتوراه في القانون) بجوار اسمه (ليؤكد حداثة حله) .[3] "

"والكراسة مكونة من (30) ألف كلمة (وتقع في (65) صفحة في طبعتها الأصلية) وأسلوبها واضح بسيط لا يتسم بأي عمق أو تفلسف. وقد وصف هرتزل كتابه بأنه ليس حلا وحسب ، وإنما هو (الحل الوحيد الممكن). وطالب بألا ينظر إليه على أنه يوتوبيا ، فهو مشروع محدد قوته الدافعة هي مأساة اليهود الذين يعاملون كغرباء.[4] "

" ونادى فيه بأنه ليس أمام اليهود إلا أحد خيارين اثنين: الاندماج الكامل مع الأجناس الأخرى ، أو المحافظة على النفس بالقومية السياسية ، وتبنى هو الاتجاه الثاني. كان حل هرتزل للقضية اليهودية حلاً اقتصادياً وسياسياً بحتاً ، ولم يكن يصر في بداية الأمر على فلسطين كوطن جديد لليهود. ولكن أفكار هرتزل اكتسحت يهود أوروبا منعشة أحلامهم القومية القديمة.[5] "

من الممكن أن نستخلص أهم أفكار وادعاءات هرتزل في كتابه (الدولة اليهودية) ضمن نقاط : .

.1يؤلف اليهود عبر العالم ، وفي أي بلد يقطنون شعباً واحداً أو أمة بالمعنى النفسي والحضاري ، ولكن تنقصهم ميزات القومية السياسية.

([1])أنظر المسيري ، عبدالوهاب : الأيديولوجية الصهيونية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص198.

([2])مدخل (هرتزل: حياته "1860–1904 ") ، المرجع السابق.

([3])المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

([4])المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

([5])تني ، جاك: الاخوة الزائفة ، المرجع السابق ، الفصل الخامس (التمهيد للاحتلال..(

.2العداء للسامية والعذاب اليهودي (مشكلة اليهود الأبدية) هما نتيجة حتمية لوضع اليهود (الشاذ) أي عدم وجودهم في دولة . وقد كان اليهود هدفاً للإضطهاد ، في كل زمان ومكان.

.3إن اليهود غير قابلين للاندماج في الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها.

.4الديانة اليهودية كحضارة وكثقافة معرضة للزوال إلا إذا تمكن اليهود من الدفاع عن أنفسهم ماديا ومن التعبير عن شخصيتهم الفريدة روحياً.

.5الدولة القومية هي المؤسسة الوحيدة أو السبيل الوحيد الذي يضمن لليهود التعبير الحر عن شخصيتهم والدفاع عن أنفسهم..

.6لا يمكن ضمان بقاء اليهود شعباً ومساهمتهم في تطور الحضارة الإنسانية إلا إذا حصلوا على دولة قومية مستقلة ..[1] و " هذه الدولة ، ينبغي إقامتها في مكان (خال) وهذا المفهوم المميز للاستعمار الذي كان سائدا في تلك الحقبة ، كان يقضي بعدم الأخذ بعين الاعتبار وجود مواطنين أصليين. وقد اعتمد هرتزل وقادة الصهيونية السياسية من بعده ، على هذه المسلمة الاستعمارية التي سوف تتحكم بمستقبل المشروع الصهيوني كله ، ودولة إسرائيل التي انبثقت عنه... أما المكان فلم يكن له أية أهمية في نظر تيودور هرتزل... غير أن هرتزل فكّر بإيلاء فلسطين الأفضلية بين الأراضي المرشَحة لغرس الدولة اليهودية فيها ، من منطلق اهتمامه باجتذاب تيار (عشاق صهيون) وتقوية الحركة الناشئة عنه ، [2] " و لِما لفلسطين من مكانة تأريخية ودينية لدى الجماعات اليهودية ، التي تسهل تحقيق تأسيس الدولة بصورة فعالة .

والصهاينة من بعده اختاروا أرض فلسطين من بين الأراضي والمشاريع المقترحة الأخرى. [3]

([1])هذه النقاط نقلتها بتصرف قليل عن: جبارة ، عابدين ، الصهيونية والعنصرية ، في كتاب (الصهيونية والعنصرية) ، أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص157-158 ، و غارودي ، روجيه ، روجيه: دراسة في الصهيونية السياسية ، المرجع السابق ، مقدمة–الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية..

([2])غارودي ، روجيه ، المرجع نفسه ، مقدمة . الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية.

(1)ظهرت مشروعات عديدة لتوطين اليهود خارج فلسطين، وقد ظهرت هذه المشاريع مع التشكيل الاستعماري الاستيطاني الغربي . فظهرت مشروعات توطينية في الولايات المتحدة من أهمها مشروع موردكاي نواه(1785 . 1851) المعروف بمشروع جبل أرارات (1826) . وهناك مشروعات صهيونية إقليمية كثيرة مثل : .

مشروع شرق أفريقيا : يُعرَف «مشروع شرق أفريقيا» أيضاً باسم «مشروع أوغندا» وهو الاسم الذي يُطلَق عادةً على الاقتراح الذي تقدمت به الحكومة البريطانية عام 1903 لليهود لتنشئ لهم مقاطعة صهيونية في شرق أفريقيا البريطانية (كينيا الآن، وليس أوغندا كما هو شائع) في هضبة وعرة مساحتها 18 ألف ميل مربع ليست صالحة للزراعة .

مشروع قبرص : انطلقت الدعوة الأولى لتوطين اليهود في قبرص في عام 1878، عندما فرضت بريطانيا سيطرتها على الجزيرة رغم إبقائها، من الناحية الاسمية ، تابعة للدولة العثمانية .... ومع تزايد حدة النزاع بين بريطانيا والدولة العثمانية حول الجزيرة عام 1895، ارتفعت في بريطانيا أصوات تدعو إلى إنشاء كيان يهودي في قبرص يكون خاضعاً للحماية البريطانية وخادماً للمصالح الاستعمارية البريطانية في البحر الأبيض المتوسط.

مشروع مدين : سعى الرحالة الصهيوني بول فريدمان (1840 . 1900) إلى البحث عن بلاد ضئيلة السكان لتكون مسرحاً لعملية الاستيطان اليهودي ، واختار لهذا الغرض ما يُسمَّى «إقليم مدين» الواقع شمال غربي الجزيرة العربية .

مشروع ليبيا : يرجع الاهتمام الصهيوني بتوطين اليهود في ليبيا إلى مطلع القرن العشرين ، عندما اكتشف هرتزل ما كانت تبيته إيطاليا من نوايا استعمارية إزاء ليبيا.

هكذا فقد رأى هرتزل أن حل المشكلة اليهودية ينحصر في نقل الشعب اليهودي إلى مكان يستقل فيه اليهود في إدارة أموره. (وقد استقر على اختيار فلسطين في أواخر حياته).

"وبعد أن أكد هرتزل للدول الغربية أن نقل الشعب المنبوذ هو الحل المطروح ، فإنه يبين لهم منافع الحل الصهيوني المطروح. فبالنسبة للدولة الراعية ، ستكون الهجرة هجرة فقراء وحسب ، ولذا فإنها لن تؤثر على اقتصادها. كما أن الخروج سيتم تدريجيا ، دون أي تعكير ، وستستمر الهجرة من ذلك البلد حسب رغبة ذلك البلد في التخلص من اليهود.[1] "

ومع ذلك يذكر هرتزل المنافع التي سيعطيها اليهود إذا تم تأسيس دولة لهم ، على النحو التالي : .

1. إن الحكومات المعنية ستستفيد من هذه الهجرة استفادة كبيرة .
2. ولو كانت الحكومات المعنية هي السلطان العثماني، فإن الفوائد تكون بالغة الكثرة :

. فلو يعطينا جلالة السلطان فلسطين لكنا نأخذ على عاتقنا مقابل ذلك إدارة مالية تركية كاملة .

. ستستفيد هذه السلطات بالمقابل إذ أنها ستدفع قسطاً من دينها العام وستقيم مشاريع نحتاج إليها نحن أيضاً .

. يمكن وضع النفوذ الصهيوني في خدمة السلطان، كأن تقام حملة صحفية ضد الأرمن الذين كانوا يسببون له المتاعب .

. ويمكن أن يؤسس الصهاينة جامعة في إستنبول لإبعاد الشباب التركي عن التيارات الثورية في الغرب .

. وأخيراً ، فإن هجرة اليهود ستبعث " القوة في الإمبراطورية العثمانية كلها " وهو مطلب ألماني إنجليزي في ذلك الوقت (ضد الزحف الروسي) .

. 3أما لو تم اختيار الأرجنتين كموقع للاستيطان ، فمن مصلحتها أيضاً أن تقبلنا في أراضيها .

. 4وسواء تم التهجير إلى الأرجنتين أو إلى فلسطين أو أية منطقة أخرى ، فإن فكرة خلْق دولة يهودية أمر مفيد للأراضي المجاورة ، ذلك لأن استثمار قطعة أرض ضيقة يرفع قيمة المناطق المجاورة ، وستبعث هجرة اليهود قوة في تلك الأراضي الفقيرة .

. 5بهذا الخروج ستكون نهاية فكرة معاداة اليهود ، وبالتالي لن يحس الغرب الليبرالي بالحرج بسبب عنصريته الواضحة .

مشروع الكونغو : بادر هرتزل في يوليه عام 1903 بإجراء اتصالات مع فرانتز فيليبسون، وهو مستثمر يهودي بلجيكي كان يمتلك احتكارات كبيرة في الكونغو، بغرض استمالته لتأييد فكرة إقامة دولة يهودية في الكونغو والتوسط لدى ملك بلجيكا لكي تتبنَّى بلاده المشروع . و مشروع الأرجنتين : وقع الاختيار على الأرجنتين لتكون البقعة التي تقام عليها أول مستوطنة يهودية في سياق جهود جمعية الاستيطان اليهودي (إيكا) التي أسَّسها المموِّل اليهودي البارون دي هيرش من أجل إعادة توطين يهود أوربا الشرقية في أماكن شتى من القارتين الأمريكيتين ، وتحويلهم إلى قطاع اقتصادي منتج من خلال تعليمهم الزراعة والحرف المختلفة . تعدَّدت المساعي الصهيونية، قبيل عقد المؤتمر الصهيوني الأول (1897) ، وفي أعقابه ، من أجل توطين اليهود في بقاع شتى تحت حماية هذه القوى الاستعمارية أو تلك : .

مثل سهل البقاع في شمال لبنان ، و منطقة شرق الأردن .... و خلال عامي 1903 و1904، حاول هرتزل إقناع السلطان العثماني ، عن طريق مستشاره ، بالموافقة على توطين عدد من اليهود في جنوب العراق ، مقابل وضع الحركة الصهيونية في خدمة مصالح الدولة العثمانية والمساهمة في حل أزمتها المالية . إلا أن السلطان رفض فكرة الاستيطان الجماعي ... و مثل القطاع الساحلي من منطقة الشاطئ السوري . بيد أن السلطان العثماني رفض الفكرة . .

للتفصيل حول مشاريع الإستيطان خارج فلسطين أنظر موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج2 ، ب14 ، مداخل (مشاريع صهيونية استيطانية خارج فلسطين ، مشروع شرق أفريقيا ، مشروع قبرص ، مشروع مدين ، مشروع ليبيا ، مشروع الكونغو ، مشروع الأرجنتين ، مشاريع توطينية أخرى) ، وانظر :

، Encyclopedia Britannica المرجع السابق ، مادة Zionism :و. Israel , History , Zionism

(1)موسوعة اليهود .. ، المرجع نفسه ، م6 ، ج2 ، ب8 ، مدخل (أفكار هرتزل).

. 6ومما لا شك فيه أن الدول الغربية ستجني فوائد أخرى مثل تخفيف حدة الانفجار السكاني ، كما ستفيد من كل المشاكل الناجمة عن وجود شعب عضوي غريب.

. 7ولكن أهم منافع الصهيونية أنها ستحوِل المادة البشرية اليهودية إلى عملاء للدولة الغربية مانحة السيادة[2] .

هكذا قد استطاع هرتزل أن يتفاعل مع الوضع الدولي القائم آنذاك ، وكان يحاول دائما تذكير القوى الإمبريالية بأن وجود اليهود في أي منطقة على شكل دولة مستقلة سيفيدها كثيرا من كل جوانب ، فضلاً عن تخلص الدول من عبء الكثافة السكانية اليهودية ، ومن المشاكل التي كانت الجماعات اليهودية تثيرها دائما. يقول: " إن عودتنا التي تنبأ بها الكتاب المقدس... تشكل... مصلحةً سياسيةً ملائمة تماماً لتلك الدول التي تبحث عن شيء ما في آسيا. [1] "

ويقول أيضا : " يجب ألاّ يأخذ الخروج شكل هروب أو تسلل ، وإنما يجب أن يتم بمراقبة الرأي العام (الغربي). هذا ويجب أن تتم الهجرة وفقا للقوانين وبمعاونة صادقة من الحكومات المعنية (الغربية طبعاً) التي يجب أن تضمن وجودنا لأن اليهود لا يمكنهم أن يفعلوا ذلك بأنفسهم ، وهكذا رفض هرتزل تماما فكرة الانعتاق الذاتي باعتباره حلماً رومانسياً ، وطرح حتمية الاعتماد على الإمبريالية.[2] "

"وذكر في كتابه (الدولة اليهودية): (لسوف نشكل لأوروبا جزءاً من سور يقيها من آسيا ، ونصبح حرساً متقدماً لحماية الحضارة من هجمات البرابرة) ، ودولة إسرائيل . حسب تقديرات هرتزل . لا تستطيع البقاء في الشرق الأدنى غير مندمجة في كيان إلا بشرط أن تكون فيه . بطريقة ما . معتمدة من جانب استعمار غربي جماعي.[3] "

إن هرتزل باعتماده على الغرب في تأسيس كيان لليهود ، قد خالف المفهوم المشيحاني التوراتي التقليدي ، الذي يؤكد على عودة اليهود إلى فلسطين بقيادة الماشيح نفسه بأمر من الله. وقد أهمل منهج المفكرين السابقين (القلعي ، وكاليشر ، وهس ، وبنسكر ، وهعام) أيضا. الذين كانوا يؤمنون بالانعتاق أو الخلاص الذاتي ، دون الاعتماد على الدول الغربية. من هنا جاءت تسمية منهج هرتزل بـ(الصهيونية السياسية ، الاستعمارية) أي الحركة التي طرحت حلاً سياسياً بشرياً غير مشيحاني للمشكلة اليهودية ، بالإعتماد على مساعدة الإمبريالية في تأسيس كيان سياسي مستقل ، وكمشروع استعماري ينقل المادة البشرية . الجماعات اليهودية . إلى المكان المستعمَر (فلسطين).. هذه هي نظرة و منهج هرتزل في التعامل مع القوى الإمبريالية في أواخر القرن التاسع عشر ..

وهناك جانب آخر في منهج هرتزل الصهيوني ، يعد من أبرز القضايا التي اهتم بها هرتزل في كتاباته وأعماله ، وهو ظاهرة (معاداة السامية)Semitism . ،Anti حيث " سجل هرتزل في مذكراته أنه

---

(2)المرجع نفسه ، المدخل نفسه .

([1])بديعة أمين ، الصهيونية ليست حركة قومية ، المرجع السابق ، ص97 ، نقلاً عن د. صادق جلال العظم: دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية ، دار الطليعة ، بيروت ، 1970 ، ص132.

([2])موسوعة اليهود واليهودية.. ، مدخل (هرتزل: حياته (1860–1904)) ، المرجع السابق.

([3])غارودي ، روجيه : دراسة في الصهيونية السياسية، المرجع السابق ، الفصل الأول . خرافة العنصرية العرقية.

هو ونوردو(أي ماكس نوردو) متفقان على أن معاداة السامية وحدها (هي التي صنعت منا يهوداً) " .[4]

"وثمة صلة عميقة وعضوية بين إحساس بهويته اليهودية المزعومة وبين معاداة السامية تتضح فيما سجله في الجزء الأول من مذكراته التي كتبها للأجيال التالية ، حيث يقول: (إن معاداة السامية نَمَتْ وما تزال تنمو ، وأنا أيضا نَمَوْتُ و ما أزال أَنْمو). [1] "

إن معاداة السامية جعلت هرتزل يتخلى عن ثقافته الاندماجية التي كانت عبارة عن المطالبة بالتخلي عن كل الخصوصيات اليهودية التي تشكلت عبر الزمن. وبذلك فقد بنى مشروعه الصهيوني على أساس سلبي هو: (اضطهاد اليهود ومعاداتهم من قبل الأغيار). أي أن معاداة السامية هي أساس الفكرة الصهيونية الهرتزلية .

يقول المفكر عبدالوهاب المسيري " :[2]إن أي قارئ للكتابات الصهيونية لن يفوته أن يلحظ أن معاداة السامية هي لب النظرة الصهيونية إلى الواقع وإلى الناس ، وأنها تحتل مركز الصدارة في رؤية الصهيونية للتاريخ. فكتاب (الدولة اليهودية) لهرتزل يقوم على فرضية بسيطة مفادها أن اليهود حيثما كانوا (يتعرضون للاضطهاد بدرجات متفاوتة). وهناك (سجل حافل مؤسف للمصاعب التي تعرض لها اليهود) .. "

وليس ذلك فقط ، بل إن الصهاينة يعتبرون معاداة السامية حقيقة أبدية ، ويقررون لها الصوابية والحقانية . ف " حين يتحدث الصهاينة سلباً عن معاداة السامية فإنهم يضفون عليها في الوقت نفسه نوعا من الحتمية والأبدية والمركزية في التجربة اليهودية. ويتحدث بنسكر عن كره اليهود على أنه (اضطراب نفساني وراثي) و(نوع من مرض عضال ظل يتناقل على مدى ألفي عام) من التواجد في الشتات . [3] "

وبالنسبة لهرتزل فإن " فكرة صوابية العداء للسامية تشكل فكرة رئيسية في كتاب الدولة اليهودية. ويطرح هرتزل السؤال الذي يطرحه كافة المعادين للصهيونية : ألن توفر الصهيونية الأسلحة للمعادين للسامية ؟ ورده على هذا السؤال يميل إلى الغموض ولكنه كان رداً موحياً : (كيف ذلك ؟ ألأنني أقر بالحقيقة ؟ ولأنني أزعم أنه لا يوجد بيننا إلا الممتازون). إن المعادين للسامية كانوا . بطردهم لليهود . يحرّرون أنفسهم وينفضون عن كاهلهم السيطرة اليهودية لم يكن بمقدورهم أن يدعوا أنفسهم خاضعين لنا في الجيش وفي الحكومة وفي كل جوانب التجارة .[4] "

هكذا ينظر هرتزل إلى اللاسامية نظرة إيجابية ، حيث يرى الحق في معاداة الأغيار لليهود. وقد كشف هرتزل علاقة الصهيونية . كفكرة . باللاسامية ، حيث " بدلاً من أن يكافح هرتزل معاداة السامية أعلن (أن أعداء السامية سيكونون أخلص أصدقائنا الذين يمكننا الاعتماد عليهم ، كما أن الدول المعادية

([4])نقلاً عن المسيري ، د. عبدالوهاب: اليهودي (الخالص) ، في كتاب (الصهيونية والعنصرية) ، المرجع السابق ، ج1 ، ص127..

([1])المرجع نفسه ، ص127.

([2])المرجع نفسه ، ص128.

([3])المرجع نفسه ، ص128.

([4])المرجع نفسه ، ص129.

للسامية ستكون حليفة لنا). فقد أدرك منذ البداية التوافق بين الصهيونية ومعاداة السامية ، ورأى إمكانية التعاون بينهما. [1] "

"وفي يومياته (كتابه) ، قدم هرتزل الخطوط العريضة لمشروع غير مألوف ، يرمي إلى حمل رجال الدولة الأوروبيين على الإدلاء بتصريحات معادية للسامية تدفع باليهود إلى (الإقبال نحونا راكضين وحفاة القدمين)! ووصف هرتزل الرأي العام في العالم بـ(اللبراليين والاشتراكيين وأعداء السامية). وقال: (سوف يصبح أعداء السامية (اللاساميين) في طليعة أصدقائنا الذين نعتمد عليهم ، وسوف تصبح الدول المعادية للسامية من حلفائنا).[2] "

"و قد صرح هرتزل مرة بأن انتماءه اليهودي لم ينبع من إيمان بالدين اليهودي و إنّما هو مجرد استجابة لمعاداة السامية ، أي أن رؤيته لنفسه كيهودي و لليهود ككلّ تستند إلى تجربته مع معاداة السامية ،أي أوربا في القرن التاسع عشر و ليست نابعةً من قراءة ذكية للدين اليهودي ولا لتواريخ الأقليات اليهودية في العالم عبر التأريخ .[3] "

إن هرتزل . مثل ليوبنسكر . قد استغلّ ظاهرة اللاسامية لتوسيع دائرة العزلة عند الجماعات اليهودية، و لترسيخ قناعة ناقصة لدى الأوروبين بأن حلّ مشكلة اليهود . و من ضمنها ظاهرة معاداة اليهود . بات محصوراً في تأسيس كيان مستقل لهم ، و قد استقر الإختيار في النهاية على فلسطين . كما يقول صاحب كتاب (الأخوة الزائفة) " : [4] لما يئس هرتزل من حل (المشكلة اليهودية) بطريقة معقولة و منطقية ، دعم مخططه الصيهوني الرامي إلى تجميعهم في وطن قومي ، و انتهى إلى القول : (إن الأمم الّتي يعيش اليهود وسطها معادية للسامية بشكل مستتر أحياناً و بجلاء واضح أحياناً أخرى) . "

و قد امتد هذا النموذج التفكيري . الترويج لفكرة معاداة السامية . بعد هرتزل ليشمل الآخرين من المفكرين و القادة الصهاينة . " و القاريء العابر لأعمال المفكرين الصهاينة يلاحظ على التو أنهم يفترضون أن معاداة السامية ليست مجرد مرض إجتماعي يجب الحرب ضده ، و إنما هي بمثابة صفة ملازمة و لصيقة بالطبيعة البشرية . و قد قسم وايزمان الأغيار ، غير اليهود ، إلى قسمين : قسم صادق يعترف بأنّه معاد للسامية ، آخر كاذب لا يعترف بأنّه يعاني من هذه الرذيلة ، ولكن الأغيار . الصادق منهم و الكاذب . إنّما هم في صميمهم ذئاب مفترسة " ، [1] " و معاداة السامية في نظر وايزمان (بكتريا مرضية يحملها كل واحد من الأغيار) . [2] "

و في الحقيقة إن تفسير هرتزل للأمم التي يعيش اليهود بين ظهرانيها بـ (المعادية للسامية إما بخفاء أو جلاء) ، وتقسيم وايزمان الأغيار إلى قسم معترف بعداءه لليهود ، و آخر معاد للسامية غير

([1])المرجع نفسه ، ص ص131-132.

([2])شراب ، مجاهد علي: الحركة الصهيونية حركة عنصرية ، في المرجع نفسه ، ص210..

[3]المسيري، عبدالوهاب : العنصرية الصهيونية ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ، رقم (42) ، دار الحرية للطباعة – بغداد ، 1979 ، ص 6.

[4]تني ، جاك ، المرجع السابق ، الفصل الثالث – الإضطهاد و (معاداة السامية).

[1]المسيري ، عبدالوهاب ، العنصرية الصهيونية ، المرجع السابق ، ص 6-7 .

[2]المسيري ، عبدالوهاب ، ، اليهودي (الخالص) ، في كتاب (الصهيونية و العنصرية) ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 128.

معترف بذلك ، و من قبلهما تفسير بنسكر كره اليهود بأنّه (إضطراب نفساني وراثي و مرض عضال ظل يتناقل على مدى ألفي عام) ... إنمّا هو تجديف للحقيقة و إنكار سافر لكرم و تقدير غير اليهود عبر التأريخ تجاه الجماعات اليهودية.

و " إن الحتمية الموجودة في تعبير البكتريا المرضية... تجرّد الأغيار من إنسانيتهم و تنزل بهم إلى مستوى القتلة العنصريين بالفعل أو بالقوة ، منكرة بذلك جهود جميع هؤلاء الأغيار الذين ناضلوا في سبيل الحقوق السياسية و المدنية لليهود و للأقليات الأخرى ، [3] " مع اعتقادنا بحقيقة وقوع اضطهاد اليهود و أحداث دامية ضدهم في بعض فترات معينة من التأريخ .

إن قصد قادة الصهاينة من تفسير معاداة السامية بأنّها صفة لصيقة بالبشرية و متجذرة في طبيعتها ، هو أن تُلاحَظ نتيجةٌ مفادُها : " إذن فهي { أي معاداة السامية } تصبح ظاهرة (طبيعية) و منطقية للغاية .. هذا بالفعل ما يحاول الفكر الصهيوني الدفاع عنه ، بل إن كثيراً من المفكرين الصهاينة يحاولون أن يبرروا معاداة السامية على أنها (إستجابة طبيعية) للوجود اليهودي الطفيلي في الدياسبورا ، فاليهودي في المنفى لايعيش في وطنه ، ولذا فهو دائماً الغريب و الغريم الذي يجب القضاء عليه .[4] "

من هنا يتضح لنا أنّ الحركة الصهيونية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، اتّجهت نحو خلق توفيق فكري و عملي مع معاداة السامية في تلك الفترة . و قد ربط قادة الصهيونية حركتهم الرامية إلى إنشاء وطن قومي لليهود بالأوضاع الّتي أحدثتها ظاهرة معاداة لليهود .

و يأتي هذا الربط و الإهتمام بالترويج لظاهرة و فكرة معاداة السامية من أن الصهاينة يعتبرون " العداء للسامية عاملاً ضرورياً و دائماً و مرغوباً في نشاطهم للمحافظة على الكيان اليهودي ، كما يعتبرونه أحد العوامل الحاسمة لانبعاث الوعي القومي اليهودي و تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين " [5] .

يقول هرتزل : " لا أظن أنه ستكون هناك حاجة لجهود كثيرة لدفع الحركة إلى أمام . و سيسهل المعادون للسامية جهودنا في هذا الميدان . فإذا ما استمروا في نشاطهم هذا ، ستظهر موجة الهجرة هناك حيث لم تكن توجد حتى الآن ، و ستعزز في تلك البلدان التي تظهر فيها الآن . [1] "

و يقول أيضاً : " بدأت في باريس أنظر نظرة أوسع إلى ظاهرة معاداة السامية ، التي بدأت أفهمها الآن تأريخياً وأتسامح حيالها زد على ذلك أنني أعترف بعدم فائدة و عدم ضرورة النضال ضدها .. و إلى جانب ذلك فإنّ معاداة السامية كقوة ضخمة لاشعورية لن تسبب الضرر لليهود .. و إنني أعتبرها مفيدة لتطور الشخصية اليهودية . [2] "

---

[3] المسيري ، اليهودي (الخالص) ، في (الصهيونية و العنصرية) ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 128 .

[4] المسيري ، العنصرية الصهيونية ، المرجع السابق ، ص 7 .

[5] س. غورانوف : الصهيونية شكل من أشكال العنصرية ، في (الصهيونية و العنصرية)، المرجع السابق ، ج1 ، ص 173.

[1] نقلاً عن س. غورانوف ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 173 .

[2] نقلاً عن س. غورانوف ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 173 .

هذه الإستفادة من المعاداة لليهود في الحقيقة إستفادة غير أخلاقية في كل جوانبها . و هي تتجاوز الجانب الفكري البحت ، بل تدخل في الجانب العملي مباشرة ، أي انتهاج أعمال و منهج المعادين للسامية من قبل الصهاينة. !

و قد " جاءت بداية السياسة التقليدية لتطابق أعمال الصهيونية و معاداة السامية مع الإتفاقية الموقعة خلال عام 1903 بين ت. هرتزل و وزير روسيا القيصرية (بليفه) منظّم مذابح اليهود .[3] "

"و يدل العديد من تصريحات و أعمال الزعماء الصهاينة على أن الصهاينة كانوا سيختلقون معاداة السامية لو لم تكن موجودة . وكان بن غوريون يقترح أن ترسل مجموعة من الشباب الصهاينة المثقفين تكون مهمتهم ملاحقة اليهود بالأساليب الفظة ، أساليب المعادين للسامية و خلق بؤر مصطنعة لمعاداة السامية... و يدرك العديد من اليهود الذين هاجروا من البلدان العربية جيداً أنها لم تكن تهديدات فارغة و إنما أعمال حقيقية... و ليس من الصعوبة بمكان أن يتوقع المرء أن ممارسة الصهاينة للعداء للسامية ستشتد مع تعميق أزمة الصهيونية و فشلها ، وفشل فكرة جمع اليهود في فلسطين . [4] "

و هذا يدل على أن حركة الصهاينة كانت تروح جنباً إلى جنب مع حركة المعادين للسامية ، بل أصبح الصهاينة من المعادين لليهود الذين كانوا يرفضون الصهيونية ، و يمارسون نفس الأساليب المتبعة من قبل المعادين للسامية.

وكل ذلك كان يفعل في سبيل أن يتأكد العالم . من اليهود و غير اليهود . أنه لا حل لمشكلة اليهود ، سوى تهجيرهم إلى فلسطين ، حيث هم غرباء في الدياسبورا ، و لا يشعرون بالأمن و الإنتماء للبلدان خارج فلسطين..

من هنا يتضح لنا بسهولة أن الفكر الصهيوني . من خلال رائده الأكبر هرتزل . قام على أساس تعميق مشاعر الجماعات اليهودية بالاضطهاد والظلم. وكان هرتزل يقصد بذلك أن يقضي على فكرة الاندماج كلياً ، حتى تبقى الجماعات اليهودية في غيتواتها منعزلةً عن عالم الأغيار ، وبذلك ينعش الفكر القومي ويترسخ في وجدان الفرد اليهودي قناعته بأن من غير الممكن أن يجد حلاً لمشكلته التأريخية إلا من خلال الهجرة من معاداة السامية وبلاد الأغيار ، إلى وطن يعيش هو فيه بأمن وسلام. فقد كان هرتزل من خلال دفاعه عن معاداة السامية أراد أن يبقى على تلك الظاهرة ، لتشعر الجماعات اليهودية بوجود مبرر حقيقي ملموس للمطالبة بتأسيس كيان مستقل لهم يحميهم عن اضطهاد الآخرين (الأغيار) .

"فهرتزل يرفض أن يعيش اليهودي في أمان وإخاء في المجتمع الذي يعيش فيه. إنه يريد له أن يعيش دائما تحت ضغط العداء للسامية ، منكمِشاً على نفسه ، شاعراً في كل لحظة بالإضطهاد والغربة ، معزولا عن ذلك المجتمع ، حتى يسهل على قادة الفكر الصهيوني استخدامه في تحقيق مآربهم .[1] "

من هنا نستطيع أن نفهم حقيقة أن " الصهيونية قائمة على الخوف من ظاهرتين: من العداء للسامية ، ومن اندماج اليهود في مجتمعاتهم.[2] "

وفي الحقيقة كان هرتزل قد فهم جيداً عقلية وانفعالات وردود فعل الجماعات اليهودية حين أراد وفَعَلَ تعميقَ فكرة اللاسامية وإبرازها في الوسط اليهودي . حيث كان لانتشار اللاسامية تأثير كبير لعودة الجماعات اليهودية إلى المفاهيم والحياة التقليدية الخاصة المشبعة بالبغض والكراهية للأغيار . خاصة تلك التي تأثرت بدعوة ومثل الاتجاه الاندماجي والإصلاحي ..

---

[3] س. غورانوف ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص173.

[4] س. غورانوف ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص174.

([1])عبدالعال ، أحمد: اللاإنسانية واللاأخلاقية في الفكر الصهيوني ، في المرجع نفسه ، ص186.

([2])جبارة ، عابدين: الصهيونية والعنصرية ، في المرجع نفسه ، ص157.

وقد بيّن ماكس نوردو (الصديق الحميم لهرتزل) تلك الحقيقة بصورة واضحة حين قال :

"إن اليهود يشبهون نوعاً معيناً من الميكروبات ، لا يسبب أدنى ضرر وطالما عاش في الهواء الطلق ، ولكنه يسبب مرضاً مخيفاً إذا حرم من الأوكسجين .[3] "

فقد عمل هرتزل كثيراً . من خلال ترويجه لفكرة اللاسامية . من أجل تحويل اليهود إلى ذلك المرض المخيف ، حتى تكبر بذلك المشكلة اليهودية ، بصورة يضطر العالم إلى إيجاد حل يلائم حلم وآمال هرتزل . هذا هو القوة الخفية الكبيرة وراء فكرة معاداة السامية الهرتزلية .

وكان هذا مقدمة تمهيدية (من الناحية الوجدانية والفكرية) لإعداد الجماعات اليهودية لقبول برنامجه الصهيوني الذي طرحه في المؤتمر الأول للحركة الصهيونية ..

وقد عمل هرتزل " على تعطيل التطور العادي للعالم اليهودي على طريق الحرية الفردية أكثر مما عمله أي زعيم يهودي آخر... فقد أوجد (عصر النهضة) و(الإصلاح) ثورة في تفكير الإنسان حول (الإنسان) ، واكتسحت العالم الغربي الأفكار الجديدة عن حقوق الإنسان. ولكن هرتزل وحركته الصهيونية ألحقا ضرراً كبيراً باليهودية العالمية في مسيرتها نحو الحرية الفردية والكرامة الإنسانية ، وساقا الفرد اليهودي ثانية إلى ما وراء جدار الغيتو التي عزلت القومية اليهودية وغذت روح العداء ضد الأقوام الأخرى .[1] "

وكان هرتزل قد أبدل كل الأفكار الإصلاحية والإنسانية التي طالبت بها تيارات الإصلاح والاندماج " بالفكرة المجرمة (انتزاع العرب من فلسطين وإقامة الدولة اليهودية) . [2] "

وكان كل ذلك قد أقرته وفعلته المنظمة الصهيونية التي أنشأها هرتزل بمساعدة أصدقائه الصهاينة ، في (1897) . لتكون اليد الفاعلة والحاسمة لقضية تأسيس كيان اليهود السياسي في فلسطين . من هنا سنفصل الكلام عن الحركة الصهيونية بشكل مستقل..

([3])نقلا عن المسيري ، عبدالوهاب: اليهودي (الخالص) ، في المرجع نفسه ، ص129.

([1])تني ، جاك: الاخوة الزائفة ، المرجع السابق ، الفصل الخامس . التمهيد للإحتلال.

[2]المرجع نفسه ، الفصل الخامس . التمهيد للإحتلال.

المطلب الثاني

المنظّمة الصهيونية

أولاً : مؤتمر بازل .. تأسيس المنظمة الصهيونية

إن ظهور حركة سياسية منظمة في مؤتمر بازل 1897 لم يكن وليد صدفة، إنما الحركة الصهيونية هي تراكم أفكار و كتابات و حركات سبقت ظهورها (كما أشرنا إلى تلك الخلفيات) .

و بالنسبة للمجتمع الأوروبي ، فإنه عاش في القرن التاسع عشر في ظل اتجاهين مختلفين تماماً:

الأول كان اتجاهاً يدعو إلى المساواة والأخوة و الحرية للشعوب ، هذا الإتجاه نبع عن الثورة الفرنسية و حركة التنوير الأوروبية .

والإتجاه **الثاني** كان حركة قومية وعنصرية تدعو إلى نقاء العرق والعنصر والتميز بين الشعوب ، وهذا كان بالذات في أواخر القرن التاسع عشر.(وقد أشرنا بالتفصيل إلى هذين الإتجاهين في السابق) .

و رأينا ظهور حركات يهودية ذات طابع علماني منفتح (مثل حركة التنوير و الإصلاح) وفي ظل سيادة مُثُل و رموزات الإتجاه الأول . وقد انتشرت مُثُلُ تلك الحركات اليهودية في الوسط اليهودي . خاصة يهود الغرب . بصورة كبيرة و واسعة . و لكن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر رأينا تراجع دعوات الإندامج و الإنفتاح و الإصلاح، وهذا تزامن مع بروز النزعة القومية الأوروبية و ظهور نظريات وكتب عنصرية معتمدة على تصورات عرقية و عنصرية ضيقة .

وفي ظل هذا الظرف تضاءلت هيمنة فكرة الإندماج لدى الجماعات اليهودية و ظهر مفكرون وكتاب يهود دعوا إلى التمسك بالمفاهيم القومية ، و منهج تمايز الأعراق و فكرة الشعب المقدس ، و كل ذلك كان منسجماً مع الأدبيات الدينية الحاخامية السائدة في القرون السابقة .

لكل ذلك فقد لمست هذه الدعوة استجابةً كافية لدى كثير من الجماعات اليهودية ، خاصة في ظل انتشار ظاهرة معاداة اليهود بشكل واسع . على الرغم من أن ظهور النزعة الصهيونية السياسية الإستيطانية كان بتأثير توسيع القوى الإمبريالية مشاريعَها و مخططاتها نحو منطقة فلسطين و الدول المجاورة لها ، وقد وجد الإتجاه الصهيوني ضالّته في تلك القوى لتمرير العمليات الإستيطانية في فلسطين ، بهدف خلق شعب يهودي فلسطيني هناك .

و كان هذا الإتجاه قد تمخض . من حيث المبدأ . من النزعة الصهيونية لدى روّاد الإتجاه ، التي تدعو إلى إرسال اليهود إلى صهيون (أرض فلسطين " أرتس يسرائيل ") وتأسيس كيان سياسي لهم فيها ، وهؤلاء الرّواد هم : (يهودا القلعي ، هيرش كاليشر ، موسى هس ، ليوبنسكر) الذين كانوا قد أعادوا روح القومية الصهيونية إلى العمل و الفكر اليهودي في آواخر القرن التاسع عشر . و من الممكن أن نحدد الأهداف الإستراتيجية لهؤلاء الزعماء و حركة (أحباء صهيون) . التي أسسها بنسكر و كان آحاد هعام عضواً ومفكراً بارزاً فيها . في نقاط : .

1. محاربة الإندماج ، ومحاولة الإبقاء على التميز القومي والعنصري(فكرة الشعب المختار).

2. السعي بجدية لتوسيع دائرة ظاهرة اللاسامية و خلق شعور قوي لدى الجماعات اليهودية بانّهم مستهدفون من قبل الجميع ، و لايستطيعون أن يجدوا الأمن و الإستقرار إلا في دولة سياسية خاصة بهم .

3. التأكيد على مفهوم الأرض المقدسة . و على أن اليهود إنما هم يعيشون في المنفى (الدياسبورا ، الشتات) ، وهم لاينتمون إلى أي بلد يعيشون فيه ، وكان ذلك محاولةً لخلق الدولة اليهودية في فلسطين، وخلق مفهوم الأمة اليهودية ،أي تسمية كل الجماعات التي تعيش في الدياسبورا بأمةّ واحدة .

4. مع كل ذلك عمل هؤلاء الزعماء على تنفيذ المخطط الأساسي لحركتهم ، وهو استيطان فلسطين، الذي هو بداية خلق الدولة فيها ..

و بعد هؤلاء الزعماء ، جاء تيودور هرتزل . الذي لم يضف كثيراً إلى أطروحات و أهداف أحباء صهيون ، لكن من حيث العمل و التنفيذ ، فقد أضاف شيئين مهمين :

الأول هو : اعتماده (و قناعته بحتمية الإعتماد) على القوى الإمبرالية الغربية ، في تحقيق تأسيس كيان سياسي مستقل لليهود ، في حين آمن الزعماء الأوائل و (حركة أحباء صهيون) بمبدأ الخلاص أو الإنعتاق الذاتي.

والثاني هو : تشكيله تنظيماً سياسياً واسعاً قد تجاوز المساحة التي شكلتها حركةُ أحباء صهيون في التنظيم و التخطيط . وتفوق عليها ، حيث كانت أحباء صهيون حركة إستيطانية عمليةً تنفيذية بحتة ، لكن منظمة هرتزل كانت أوسع بكثير من ذلك.

و تجدر الإشارة إلى أن جمعيات أحباء صهيون " التى غلب عليها الطابع الديني لم تفلح في تشكيل منظمة عالمية متماسكة ، لكن 260 فرعاً لها انضمت للمنظمة الصهيونية العالمية عند إنشائها ، مما شكل عنصر إثراء كبير و دفعة هائلة للمشروع الصهيوني . [1] " و بذلك فقد ترسخت دعائم الصهيونية الهرتزلية بصورة أكبر . و هي التي تعرف باسم (الصهيونية السياسية) .

يقول د. المسيري " : [2]تعتبر صهيونية هرتزل صهيونية سياسية لأنها حوّلت المشكلة اليهودية إلى مشكلة سياسية و أوجدت منظمة محددة الأهداف و الوسائل . "

ومن الناحية العملية " قد اقترح هرتزل في (دولة اليهود) إنشاء مؤسستين:

جمعية اليهود ...(Society of the Jews) و هي القوة الخالقة للدولة في نظر القانون الدولي ، و هي القسم الذي يعني بكل شيء ماعدا حقوق الملكية .

و الشركة اليهودية ... (Jewish Company) و تقوم بتصفية الأعمال التجارية لليهود المغادرين و العمل على تنظيم التجارة و الأعمال المتعلقة بها في البلد الجديد. [1] "

و هذا الإقتراح قد تم قبل تأسيس المنظمة الصهيونية بسنة ، أي في عام 1896 ، الذي نشر فيه هرتزل كتابه (الدولة اليهودية) .

بعد تراكم الأفكار الصهيونية وانتشار مُثُل النزعة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر بسبب الظروف القائمة آنذاك ، اشتدت الحاجةُ إلى تأسيس منظمة فعالة تجمع كل الصهاينة السياسيين في استراتيجيتها و مشاريعها . وهذا جاء ضمن تحقيق خمسة عوامل أساسية التي كانت كما " يعتقد مصدر صهيوني... لابد من توفرها لعملية بناء أية دولة :

1- الفكرة
2- القيادة المؤهلة
3- الشعب
4- التنظيم الفعال
5- المناخ الدولي الملائم. [2] "

فقد تحققت فكرة الصهيونية (دينياً و تأريخياً) كما بحثنا ذلك ، وظهرت القيادة المؤهلة الذكية حقيقةً . و بالنسبة للعامل الثالث (الشعب) فإنه مع مرور الزمن تزايد عدد المستوطنين اليهود في فلسطين ، بعد أن تمكنت حركة أحباء صهيون من تكوين (20) مستوطنةً بمساعدة العملاق المالي المليونير روتشيلد . وقد كان عمل جمعيات أحباء صهيون تجلّى منذ بدايتها في دعم حركة الإستيطان

---

[1]د. أسعد عبدالرحمن: المنظمة الصهيونية العالمية ، المرجع السابق ، ص 33.

[2]الأيديولوجية الصهيونية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 198..

[1]موسوعة اليهود و اليهودية، م6 ، ج2 ، ب8 ، مدخل (هرتزل و الحركة الصهيونية) .

[2]د. أسعد عبدالرحمن: دور الحركة الصهيونية في إقامة إسرائيل ، في (مستقبل الحركة الصهيونية و المشروع الحضاري العربي) ، مجموعة باحثين ، المرجع السابق ، ص 85-86 ، نقلاً عن :
Abraham Segal and Harry Essrig . Israel Today, 1964, p. 64

اليهودي في فلسطين و وتشجيع الهجرة و إقامة المستوطنات . لذلك قد تمكنت من تحقيق موجة الهجرة الأولى في الثمانينيات من القرن التاسع عشر . وكان معظم هؤلاء المهاجرين يهود روسيا و بولندا . فبذلك قد كوّن الصهاينة نواة (الشعب) قيد التكوين . [3]

على الرغم من خلق مفهوم الشعب اليهودي في عقلية اليهود ذوي النزعة الصهيونية ، و قبل كل ذلك تحقيق ذلك من قبل النصوص اليهودية و المؤسسات اليهودية الأخرى عبر التأريخ..

و كان العامل الخامس (المناخ الدولي الملائم) قد تحقق نتيجة تطلّعات القوى الإمبريالية في أواخر القرن التاسع عشر وانسجام هذه التطلعات مع أهداف الإتجاه الصهيوني ، أما ما بقى قيد انتظار التحقيق فهو تأسيس منظمة فعالة (العامل الرابع) تنظم العمل الصهيوني السياسي ، وتحرك الجهودالصهيونية عموماً بصورة دقيقة منتظمة نحو تحقيق الحلم الكبير (إنشاء الدولة) .

من هنا سنسلّط الضوء على كيفية تأسيس هذه المنظمة وأهدافها ..

تقول موسوعة اليهود واليهودية " : [1] وضع هرتزل أفكاره موضع التنفيذ و عقد المؤتمر الصهيوني الأول (1897) فحضره مابين 200 و 250 مندوباً... وكان معظم المندوبين من جمعية أحباء صهيون و نصفهم من شرق أوربا (كان ربع المندوبين من الإمبراطورية الروسية) ... فقد كان معظم المندوبين من أبناء الطبقة الوسطى المتعلّمة ، و كان ربعهم رجال أعمال و صناعة و أعمال مالية . و أما الفئات الثلاث التالية ... فقد كانت من الأدباء و المهنيين و الطلبة . كما كان هناك 11 حاخاماً ، و الباقون من مهن مختلفة . و كان بينهم المتدين و غير المتدين و الملحد . "

"وأعد هرتزل برنامج المؤتمر ، وصمم ماكس بودنهايمر الزعيم الصهيوني الألماني [*]شارته ، و هي درع أزرق ذو حواف حمراء كتبت عليه عبارة : (تأسيس الدولة اليهودية هو الحل الوحيد للمسألة اليهودية) ، و في وسطه يهودا ، و حوله نجمة داود و اثنتا عشرة نجمة إشارةً إلى أسباط إسرائيل... و افتتح المؤتمر يوم الأحد 29 أغسطس 1897 في صالة الإحتفالات التابعة لكازينو بلدية بازل (بسويسرا) . و أصر هرتزل أن يرتدي الحاضرون الملابس الرسمية (معطفاً طويلاً ورباط عنق أبيض ، ربما لتأكيد انتمائهم للحضارة الغربية الحديثة...) ، ألقى نوردو خطاباً وصفه هرتزل بأنه كان المؤتمر . وتم وضع أساس تنظيمي حديث . [2] "

---

[3]د. أسعد عبدالرحمن: في المرجع نفسه ، ص 86–87، و أسعد عبدالرحمن : (المنظمة الصهيوينة العالمية) المرجع السابق ، ص 32–33

[1]مدخل (هرتزل و الحركة الصهيونية) ، المرجع السابق.

[*]**ماكس بودنهايمر** (1865–1940) : زعيم صهيوني ألماني . درس القانون في جامعة شتوتجارت وعمل بالمحاماة بعض الوقت. وفي عام 1891 نشر كتيباً دعا فيه إلى إقامة مستعمرات في سوريا وفلسطين لليهود الروس المضطهدين... كان عضواً في رئاسة المؤتمر الصهيوني الأول (1897)، وساهم في صياغة الأهداف الصهيونية الواردة في برنامج بازل. ثم عمل نائباً للرئيس في المؤتمرات الصهيونية التالية، ووضع مسودة لوائح المنظمة الصهيونية العالمية... وقد استقر بودنهايمر عام 1935 في فلسطين حيث شارك بالكتابة في عدد من الدوريات الصهيونية، ونشرت مذكراته بالعبرية والإنجليزية والألمانية. كما كَتَب عام 1933 مسرحية عن حياة المسيح./ موسوعة اليهود واليهودية ، م6 ، ج2 ، ب10، مدخل (ماكس بودنهايمر (1865-1940)) .

[2]المرجع نفسه ، المدخل نفسه.

و حول المؤتمر تقول بريتانيكا " [3] : عندما جاء هرتزل إلى المنصة صفق له الحضور كثيراً ، و أعلن : (نريد وضع الحجر الأساس للبيت الذي سيصبح مأوى الأمة اليهودية ، و الصهيونية هي العودة إلى اليهودية قبل العودة إلى أرض إسرائيل) ، وقد اتفق الكونجرس الذي طال ثلاثة أيام على برنامج يُعرف منذ ذلك الحين بـ (برنامج بازل) ، وقد أعلن في هذا البرنامج (إن الصهيونية تتطلّع لخلق وطن للشعب اليهودي في أرض إسرائيل يضمنه القانون العام ، وبعد ذلك بدأت المنظمة الصهيونية بالعمل تحت رئاسة هرتزل الذي كرس السنوات الباقية من حياته لتعزيز و إنجاز العمل الصهيوني. "

"كان اسم المنظمة في البداية (المنظمة الصهيونية) و حسب ، ولكن الإسم عدّل عام1960 ليصبح (المنظمة الصهيونية العالمية). [1] "

"و قد حّدد هرتزل أهدافه بقوله : (إنّنا اجتمعنا هنا لكي نضع حجر الأساس للمبادىء التي تجمع الشعب اليهودي) . و سرعان ما سيطر شعور اليهود الشرقيين (الروس بوجه خاص) على هذا المؤتمر ، وكان هؤلاء يتمسكون بأن يكون مأوى اليهود في أرض فلسطين ، فاتخذ المؤتمر القرار التالي :

)إن أماني الصهيونية هي إنشاء وطن للشعب اليهودي يُعترف به من الناحيتين الرسمية و القانونية و و يصبح الشعب اليهودي بإنشائه في مأمن من الإضطهاد ، على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين . [2] " (

إن إنشاء المنظمة الصهيونية كان تحولاً استراتيجياً من الناحية الفكرية و العملية . حيث أصبحت حركةً عالميةً شملت العديد من اليهود في العالم ، و خنقت دعوات الإندماج و الإصلاح ، بل عملت على إبقاء الجماعات اليهودية داخل الغيتوات ، لتبقى في ذاكرتها مفاهيم الغويم و ثقافة العزلة و كراهية الأغيار و فكرة التفوق القومي . وكان تأسيس المنظمة الصهيونية نقلاً كمياً و نوعياً من حالة الإنبهار ومرحلة الأفكار و النظريات إلى مرحلة العمل المنظم ، و ترتيب البيت الصهيوني المتشتت .

وقد أعلن هرتزل بعد مؤتمر بازل في ذكرياته " إذا أنا لابد أن ألخص مؤتمر بازل في كلمة واحدة ... فهي ستكون هذا : في بازل أسست الدولة اليهودية .[3] "

وربّما قصد بذلك القرارت و الأهداف التي ثبتت في البرنامج الذي عرف بـ (برنامج بازل) . وهذه القرارات كانت برنامج عمل مهم نفذّ بشكل دقيق فيما بعد ، و كانت ثمرته تأسيس الدولة الصهيونية في أواخر النصف الأول من القرن العشرين .. فقد " أصدر المؤتمر قرارت تعرف الآن باسم

---

[3] المرجع السابق ، مادة. Encyclopedia Britannica ، Theodor Herzl, :

[1] موسوعة اليهود و اليهودية ، م 6 ، ج 3 ، ب1 ، مدخل (المنظمة الصهيونية العالمية : تأريخ) .

[2] شلبي ، د. أحمد : مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 105 ، نقلاَ عن :

Max Margolis Alexander Marx: AHistory of Jewish people, pp. 702 _ 707

[3] هكٌ غپ ، Encyclopedia Britannica المرجع السابق ، مادة. Theodor Herzl, :

(برنامج بازل) الذي أصبح الوثيقة النظرية و العملية لأهداف الصهيونية حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثالث و العشرون) 1950 . [4] ")

وبرنامج بازل تم وضعه من أجل تحقيق هدف الصهيونية الذي هو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، و من الممكن تلخيص البرنامج في : .

1- تشجيع استيطان العمال الزراعيين و الصناعيين اليهود في فلسطين ، أي تبني فكرة استعمار فلسطين التي تبنتها حركة أحباء صهيون .
2- تنظيم اليهود ، وتوثيق الصلات بينهم ، عبر مؤسسات مناسبة ، و ربط المنظمة مع سائر اليهود بواسطة تلك المؤسسات ، و ذلك على الصعيدين المحلي و العالمي ، كل منها حسب قوانين البلد المعني .
3- تنمية الحس والوعي القومي اليهودي ، وتعزيزهما .
4- المباشرة في اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول حيث يكون ذلك ضرورياً لتحقيق هدف الصهيونية . و كان القصد من ذلك هو الحصول على شرعية استعمار فلسطين من خلال الحصول على حق قانوني معترف به دولياً .
5- إقامة حكومة توافق على تنفيذ أهداف الصهيونية. [1]

وإن هذا البرنامج اتسم بطابع الشيفرة و الغموض حيث لم يشر إلى إنشاء الدولة اليهودية ، و لا إلى عبارة (مأوى للشعب اليهودي) التي اقترحت في المؤتمر (وقد سبقت الإشارة إلى ذلك) و إنما تم تبني فكرة استيطان فلسطين من قبل العمال الزارعيين و الصناعيين ، و ذلك لعدم إثارة حفيظة الدولة العثمانية و شعوب المنظمة ، و قد ظل هذا المخطط (برنامج بازل) خلال الستين سنة التالية العمود الفقري للسياسة الصهيونية و الفكر الصهيوني . [2]

و كان ذلك بسبب أن الجماعات اليهودية كانت تعيش في الشتات ، لذلك كانت حتماً على الصهيونية أن تعمل لتجميع تلك الجماعات . على قدر المستطاع . في أرض فلسطين ، و ذلك كخطوة أولية لخلق الركيزتين الأساسيتين لتأسيس الدولة ، و هما : (الشعب و الأرض).

فخلال تأريخ الديانة اليهودية تعمل هذه الديانة لخلق هاتين الركيزتين من خلال ترسيخ لاهوت الشعب المختار و الأرض الموعودة . أي خلق الشعب و الأرض كمفهوم ديني لاهوتي أسطوري ، الذي كان الأساس الذي قامت عليه النصوص و الأدبيات اليهودية .

---

(4) نژشژغت بمچیژذ یبمچیژذیت ؛ نرذم (وسڽشم یبمسسڪت بمەیچژەئت) ؛ بمسحع بمصبةڪ .

(1) د. أسعد عبدالرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية ، المرجع السابق ، ص 34–35 ، و مسعود كريم ، خليل إبراهيم حسونة: الحركات الهدامة ، دار المدينة ، 1986 ، ط 1 ، ص 178 . بتصرف.

(2) الحركات الهدامة، المرجع نفسه ، ص 178 ، بتصرف .

لكن بعد مرور القرون ، أصبحت المسألة تتخذ طابعاً عملياً ، في ظل تبلور ظرف سياسي إستعماري دولي جديد . لذلك كان لابد لتحقيق الفكرة التوراتية اللاهوتية من إيجاد الركيزتين الأساسيتين (الشعب و الأرض) في سبيل خلق مبرّرات و مستلزمات تأسيس الدولة.

من هنا فقد أصبح من الواجب على الصهيونية الهرتزلية أن توجد شيئين :

الأول : الشعب ، وقد وضعت الحجر الأساس لذلك أحباء صهيون قبل تأسيس المنظمة الصهيونية ، و تبعتها تلك المنظمة في برنامجها الإستيطاني حيث تبَنّى أعضاءها بالإجماع فكرة استيطان فلسطين .

و الثاني : هو الأرض . وقد اختيرت فلسطين للإستيطان بعد اختيارات و اقتراحات كثيرة للإستيطان خارج فلسطين (كما أشرنا إلى ذلك سابقاً).

و بعد إيجاد هاتين الركيزتين تأتي المهمة الكبرى و هي : تأسيس الدولة .

وكان هذا على عكس التأسيس الطبيعي للدولة من قبل شعوب الأرض جميعاً ، حيث تلك الشعوب تبني الدولة على أرضها التي تعيش فيها قروناً طويلة. لكن الصهيونية اضطرت لتأسيس دولتها الإستعمارية إلى خلق مستلزمات تأسيس الدولة قبل خلق الدولة نفسها . !

وبعد ثلاث سنوات من قيام الدولة اليهودية 1948 ، وضع المؤتمر الصهيوني العالمي برنامج القدس عام 1951 . الذي كان انعكاساً لوضع اليهود الصهاينة آنذاك ، لذلك اختلف من حيث التكتيكات . و ليس من حيث الإستراتيجيات . عن مخطط بازل ، فقد أكد برنامج القدس على " أن مهمة الصهيونية هي توطيد دعائم دولة إسرائيل ، و تجميع المنفيين في أرض إسرائيل ، وتعزيز وحدة الشعب اليهودي " و " القوة وحدها تستطيع أن تفعل ذلك ، و فكرة الدولة تمتلك هذه القوة .[1] "

إن تأكيد مؤتمر بازل على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، يأتي من اعتقاد الصهاينة بأن الشعب اليهودي يعيش خارج وطنه ، لذلك يجب أن يعود هذا الشعب إلى وطنه .

حيث " يعتقد الصهيونيون أنه لما كان الشعب اليهودي لا يوجد في وطنه ، بل هو مشتت في الخرج ، فإنه يعاني من صنوف التفرقة العنصرية ، و يمارس إحساساً عميقاً بالإغتراب عن الذات اليهودية الحقيقية ، و بالتالي لا يمكن حل المسألة اليهودية ببُعدَيها الإجتماعي و النفسي ، إلاّ عن طريق الإستيطان في فلسطين . كما يرى الصهيونيون أن جذور الحركة الصهيونية . أو القومية اليهودية... . تعود إلى الدين اليهودي ذاته ، وأن التأريخ اليهودي بعد تحطيم الهيكل على يد الروم ، هو تأريخ شعب مختار منفى ، مرتبط بأرضه ، ينتظر دائماً لحظة الخلاص و النجاة.[2] "

إن تأكيد الصهيونية على عبارة (الشعب اليهودي) يأتي في حين " يتفق علماء الأنثروبولوجيا على أن اليهود لا يشكلون جنساً مستقلاً . وقد وقع الكثيرون من اليهود ومن غيرهم في حيرة إزاء استعمال كلمة الجنس أو الدين أو الأمّة أو الحضارة لتوضيح طبيعة الهوية اليهودية . [3] "

---

[1] حسونة ، خليل إبراهيم : الثابت و المتغير في الواقع العربي ، المرجع السابق ، ص 87 ..

[2] الموسوعة الفلسطينية ، القسم العام ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 64.

[3] جبارة ، عابدين : الصهيونية و العنصرية ، في (الصهيونية و العنصرية) ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 158.

"وقد أثبت واقع تطور علم السلالات الإنسانية منذ وقت طويل ، أن اليهود لا يمثلون عنصراً مستقلاً . وجاء في إعلان الأجناس والتباينات العرقية الذي أقرته مجموعة من علماء السلالات البشرية البارزين عام 1951 ، أن المسلمين واليهود لا يمثلون أجناساً شأنهم في ذلك شأن الكاثوليك و البروتستانت ،وسكان أيسلندا و بريطانيا أو الهند و الشعوب الناطقة بالإنجليزية أو أي لغة أخرى .[1] "

و " يقول جوان كوماس في دراسته (خرافة الجنس اليهودي) : يتحدث اليهود الصهيونيون باستمرار عن (شعب يهودي) بمضامين شبه عرقية لا يقصدون منها استمرارية التأريخ بل واستمرارية الدم و الثقافة و المصير كذلك .. إن الحقيقة الأنثروبولوجية هي أن اليهود متباينون عرقياً ، وأنّه لا أساس للإدعاء بوجود جنس يهودي . [2] " ..

و إن اليهود في العالم عبارة عن جماعات منتشرة في كل أنحاء العالم ، لا تتكلم بلغة واحدة ، بل بلغات المجتمعات التي تعيش فيها ، و ليست لها عادات و تقاليد مشتركة ، إلا بعض الأخلاقيات الدينية الخاصة التي تعد الرابط الوحيد بين تلك الجماعات . [3]

"وهكذا فإن مفهوم (الشعب اليهودي) و (الأمة اليهودية) مبني على معطيات غير حقيقية و خاطئة، و الرابطة التي تجمع اليهود ليست رابطة اللغة المشتركة بل هي رابطة دينية فقط ليس لها مضمون سياسي حقيقي و خاص . [4] "

لكن مع هذه الحقائق أصرت الصهيونية على ان اليهود يشكلون شعباً واحداً ، و على وجوب تأسيس كيان سياسي لهذا الشعب . و قد دعت إلى ذلك مع قناعة هرتزل بحتمية الإعتماد على الغرب و قواه الإستعمارية ، بل عدّ مشروع استعمار فلسطين و تأسيس الدولة فيها إحدى الضروريات الحتمية للقوى الإمبرالية التي تبحث عن شيء ما في آسيا .

لذلك فقد كان هرتزل و مشروعه الصهيوني ضد المسلّمات الدينية اليهودية الثابتة ، حيث تؤكد الأدبيات الدينية اليهودية على أن الإرتباط اليهودي بالعودة إلى الأرض المقدسة هو ارتباط توراتي مشروط ، وإن محاولة العودة البشرية هي من قبيل التجديف و الهرطقة . بل العودة يجب أن تتم على يد المسيح المخلّص المبعوث من الله ، و ليس على يد حركات أو أفراد ، أي أن ينتظر اليهود الأمر الإلهي في مسألة العودة. ومن يفعل خلاف ذلك فهو مجدف كافر . [5]

فقد خالف هرتزل القرارات الدينية و الحاخامية ، لذلك تعرض لمعارضة بعض المتدينين اليهود لمشروعه الصهيوني غير المشيحاني . وكان المعارضون تصدّوا لمشروع هرتزل على أساس أنه " تحويل الدين اليهودى إلى (قومية) . وعلى سبيل المثال أعلن (المجلس اليهودي الأمريكي) معارضته الشديدة

---

[1] رجينسكايا ، البروفسورة ميلينا مود : نقد أيديولوجية العنصرية والصهيونية ، في (الصهيونية والعنصرية) ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 60 .

[2] شراب ، مجاهد علي : الحركة الصهيونية حركة عنصرية ، في المرجع نفسه ، ص 205.

[3] أنظر المرجع نفسه ، شراب ، مجاهد علي ، ص 206 –207.

[4] المرجع نفسه ، ص 207.

[5] أنظر الموسوعة الفلسطينية ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 64 ، و المسيري ، عبدالوهاب : العنصرية الصهيونية ، المرجع السابق ، ص3 .

للحركة الصهيونية ، و أصدر بياناً قال فيه : (إن صهيون كانت حقيقة وطننا العزيز في الماضي ، ولكنّها الآن ليست سوى ذكرى مقدسة و عزيزة على قلوبنا ، وهي ليست محط آمالنا في المستقبل ' إن أميركا هي أرضنا و صهيوننا) . [1] "

إن هرتزل بإصراره على مشروعه الصهيوني إنما أنكر أن يعيش هؤلاء اليهود الذين كانوا يريدون العيش في البلدان التي ولدوا و ترعرعوا فيها . على الرغم من أن الذين ساعدوه في تكوين منظمته و مشروعه السياسي كانوا كثيرين جداً . ..

فقد أكّد مشروعه ، ومن بعده " أكد الصهاينة في أدبياتهم على أن يهود الدياسبورا إن هم إلاّ جماعة مريضة تعيش على هامش الحضارة الإنسانية تستهلك قيم الآخرين دون الإسهام فيها . و لذا نادى الصهاينة بما سموه(نفي الدياسبورا)أي تصفيتها كلياً لحساب الوطن القومي الجديد في فلسطين .[2] " و نتيجة هذه الفكرة هي :

"نقل اليهود من الدياسبورا أو المنفى إلى أرض الميعاد في فلسطين... و نقل الفلسطينيين من وطنهم إلى المنفى . و لذا يمكننا القول إن الصهيونية هى عملية تمييز عنصري موجهة لا ضد الفلسطينيين العرب فحسب ، و إنما موجهة أيضاً ضد يهود الدياسبورا الذين يودون البقاء في أوطانهم الحقيقية و يؤثرون هذا على الهجرة إلى وطن وهمي جديد. [3] "

من هنا تُعّرَف الصهيونيةُ بأنها : " حركة سياسية تسعى لحل المشكلة اليهودية عن طريق مايسمّى (إعادة) توطين اليهود في فلسطين (أرض الميعاد) و إنشاء الدولة اليهودية فيها .[4] "

إذن في مؤتمر بازل أُسست المنظمة الصهيونية ، واتضحت فيه معالم الصهيونية الهرتزلية السياسية ، وكان هذا المؤتمر نقطة الإتفاق وتحديد الإستراتيجيات بالنسبة للمدرسة الصهيونية.

و بعد هذا المؤتمر " توالت المؤتمرات ، و كانت خلاصة نتائجها تدور حول : كيف يمكن لليهود استعادة فلسطين ؟ فاتفقوا على أن هذا يستلزم جهدين : جهداً داخلياً يرمي الصهيونيون من ورائه إلى تنظيم أنفسهم و إعدادها لاستعادة فلسطين ، وجهداً خارجياً يرمي إلى البحث عن دولة تساندهم ، و تحقق لهم ماتصبو إليه نفوسُهم . [5] "

و كان عقد المؤتمرات على النحو التالي : .

. المؤتمر الثاني ببازل في اغسطس 1898 : أسفر عن إنشاء بنك اعتبر الإدارة المالية للشركة اليهودية و حدد رأسماله بمليوني جنيه إسترليني .

---

[1] الطيار ، د. خليل إبراهيم: التخطيط الصهيوني ، من اللاهوتية الى الصهيونية ،في كتاب (مستقبل الحركة الصهيونية و المشروع الحضارى العربي) ، المرجع السابق ، ص 45-46.

[2] المسيري ، عبدالوهاب : العنصرية الصهيونية ، المرجع السابق ، ص5.

[3] المرجع نفسه ، ص 4.

[4] المسيري، عبدالوهاب : الأيديولوجية الصهيونية ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 198 .

[5] شلبي ، د. أحمد : مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 106 .

. المؤتمر الثالث ببازل في اغسطس 1899 : و فيه تم مناقشة ميثاق الصهيونية العالمية و سياسة الصندوق المالي للإستيطان .

. المؤتمر الرابع في لندن في اغسطس 1900 : و عقد بلندن للتأثير على الرأي العام البريطاني . وقد اجتمع هرتزل مع وزير خارجية بريطانيا في محاولة للحصول على تأييد بريطانيا لليهود .

. المؤتمر الخامس في بازل في أغسطس 1901 : و فيه كانت الدعوة إلى الإهتمام بالثقافة العبرية تمهيداً لإنشاء وطن اليهود القومي في فلسطين ، و اقترح تأسيس جامعة عبرية ، وتقرر إنشاء البنك الوطني اليهودي لتمويل عملية شراء الأراضي من عرب فلسطين .

. المؤتمر السادس في بازل في اغسطس 1903 : و هو آخر مؤتمر شهده هرتزل قبل وفاته ، وتعرض فيه لنقد عنيف بسبب موافقته على وطن يهودي خارج فلسطين . و قرر المؤتمر عدم قبول إنشاء وطن يهودي في أفريقيا إلاّ كملجأ مؤقت . و قد توفي هرتزل في يوليو 1904 ، ثم توالت المؤتمرات الصهيونية بعد ذلك في بازل و هامبورج و فيينا و براج و زيورخ و جنيف ، ثم لما أقيمت دولة اليهود في فلسطين ، عقد المؤتمر الثالث و العشرين عام 1951 في القدس[1] .

ثانياً : تعامل هرتزل مع القوى الكبرى

إن المشروع الصهيوني الذي رسمه هرتزل ، كان مستحيلاً إنجازه بدون ترتيب الأمور مع القوى الكبرى الموجودة آنذاك . لذلك قام هرتزل بالإتصال بأبرز الدول الكبرى التى لها السلطة و الهيمنة في أوروبا و العالم الإسلامي ، من أجل إعداد أرضية مناسبة لطرح وتنفيذ خطته في تأسيس دولة اليهود

[1] للتفصيل حول هذه المؤتمرات، أنظر الأبياري ، فتحي : الصهيونية ، المرجع السابق ، ص 24-34 .

في فلسطين . وهذه المحاولات تعد من أبرز سمات الفكر الصهيوني ، حيث من خلال استراتيجية التعاون و التنسيق مع القوى الكبرى استطاع الفكر الصهيوني أن يحقق الكثير من أهدافه .

إن إحدى القوى الكبرى في الوقت الذي تأسست فيه الصهيونية كانت الدولة العثمانية بخلافة السلطان عبدالحميد الثاني . [1] وكانت فلسطين تحت رعاية الخلافة العثمانية ، لذلك كانت أهم الجهة المتعلّقة بالمسألة ، لذلك فقد اهتم بها هرتزل و اتصل بالسلطان ليبحث معه قضية استيطان فلسطين .

و قبل ذلك أود الإشارة إلى أن اتصال الصهيونية بالخلافة العثمانية قد بدأ قبل هرتزل ، حيث منذ اهتمام الزراعيين اليهود بفلسطين بدأت اتصالات مع السلطة العثمانية ، و " أسفر ذلك النشاط عن استصدار مجموعة من القوانين تساوي اليهود بغيرهم أي بالمسحين و المسلمين . كما أصدرت السلطات العثمانية قانون تمليك الأجانب سنة 1869. و من المعروف أنه قبل صدور هذا القانون لم يكن يحق للأجانب التملك في أراضي الإمبراطورية العثمانية بما فيها فلسطين . و اعتماداً على ذلك القانون ، أقدم عدد من أثرياء اليهود و الجمعيات اليهودية على شراء و استئجار أراضي شاسعة من الملاك الإقطاعيين ، وأخذوا يقيمون المستوطنات الزراعية عليها . [2] "

و قد وصلت اتصالات الصهاينة بالسلطات العثمانية إلى تحقيق الإستيطان الحقيقي .

و " البدايات المنظورة للمخططات الصهيونية بدأت عام 1877 ، وهو العام الذي أنشأت فيه أول مستعمرة يهودية على أرض فلسطين (بتاح تكفا) في أرض قرية (ملبّس) العربية بالقرب من يافا ، وشهدت السنوات (1877–1887) إنشاء أكثر من عشر مستعمرات ، بحلول عام 1900 ، أصبح عدد المستعمرات اليهودية أربعاً و عشرين مستعمرة. [3] "

وبعد تأسيس المنظمة الصهيونية ، قام هرتزل بالإتصال بالسلطان العثماني ، و عرض عليه مجموعة من الأعمال تقوم الصهيونية . حسب ماجاء فيها . بتنفيذها ، مقابل السماح لاستيطان فلسطين و تأسيس حكومة بيد اليهود فيها ، تقوم بإدارة شؤون المستوطنين.

و هذه الأعمال هي :

---

[1] ولد عبد الحميد يوم الأربعاء (16 شعبان 1258 هـ = 22 سبتمبر 1842م)، وهو ابن السلطان عبد المجيد الأول الذي يعد أول سلطان عثماني يضفي على حركة التغريب في الدولة العثمانية صفة الرسمية، وعُرف عهده بعهد التنظيمات، الذي يعني تنظيم شئون الدولة وفق المنهج الغربي... تعلم عبد الحميد اللغتين العربية والفارسية، ودرس الكثير من كتب الأدب والدواوين الشعرية والتاريخ والموسيقى والعلوم العسكرية والسياسية، وكان يحب مهنة النجارة ويقضي فيها الوقت الكثير، وما تزال بعض آثاره النجارية موجودة في المتحف. توفي والده وعمره 18 عامًا، وصار ولي عهد ثان لعمه "عبد العزيز"، الذي تابع نهج أخيه في مسيرة التغريب والتحديث، واستمر في الخلافة 15 عاما شاركه فيها عبد الحميد في بعض سياحاته ورحلاته إلى أوروبا ومصر ...
بويع عبد الحميد بالخلافة في (9 شعبان 1293 هـ = 31 أغسطس 1876)، وكان في الرابعة والثلاثين من عمره ، وهو الخليفة السابع والعشرون في الخلفاء العثمانيين . / عاشور ، مصطفى : عبد الحميد الثاني وجدل لم ينتهِ) في ذكرى ميلاده: 16 شعبان 1258هـ) ، في الإنترنت ، شبكة (إسلام أون لاين. www.islamonline.net (

[2] د. أسعد عبدالرحمن: في كتاب (مستقبل الحركة الصهيونية و المشروع الحضاري العربي)،المرجع السابق ، ص 90–91 .

[3] المرجع نفسه ، ص91، نقلاً عن : فواز أحمد طوقان، الإستعمار الصهيوني للأرض الفلسطينية (عمان : دار النفائس ، 1987 ، ص 23.

1- إنشاء جامعة علمية في القدس تغنى الشباب التركي عن الذهاب إلى أوروبا للتحصيل العلمي ، فيكون التحصيل هنا في جامعة القدس (عثمانياً).

2- الصهيونية تجعل سياستها الخارجية تسير على المخطط الذي يرتضيه السلطان بوجه عام .

3- تساعد الصهيونية الخزانة العثمانية في بناء أسطول و تجديد أسطول ، وتقوية السلاح الحربي .

4- تكون الصهيونية في فلسطين درعاً للسلطان ، إذا ناوأه يوماً العرب وطلبوا منه ما فيه إزعاج له .

5- تقوم الصهيونية بمساعدة السلطان في قضاياه الدولية ، مع الدول الكبار .[1]

هكذا تعامل هرتزل مع السلطة العثمانية ، في حين اعتبر مشروعه الصهيوني في كتابه (الدولة اليهودية) درعاً للإمبريالية بوجه البرابرة ، و قال بأن تأسيس الدولة اليهودية ضروري لكّل مَنْ . الدول الإستعمارية الأوروبية . يبحث عن شيء في آسيا .

هذا النفاق السياسي و التكتيكي يُعد من أبرز سمات الفكر الصهيوني في تعامله مع أية جهة .. يقول الأستاذ أسعد عبد الرحمن " : [2] إستهدفت الحركة الصهيونية من وراء اتصالاتها بالسلطة العثمانية الحصول من الباب العالي على حق إقامة وطن في فلسطين يتمتع بحكم ذاتي مقابل وعود يهودية بتسديد ديون الدولة العثمانية التي كانت تتخبط فيها آنذاك ، غير أن جميع جهودهم باءت بالفشل اثر رفض السلطان عبد الحميد مشروع هرتزل . "

و السلطان نفسه يقول في كتابه (مذكراتي السياسية) " : [3] لن يستطيع رئيس الصهاينة هرتزل أن يقنعني بأفكاره ، وقد يكون قوله : ستحل المشكلة اليهودية يوم يقوي فيه اليهودي على قيادة محراثه بيده صحيحاً في رأيه أنه يسعى لتأمين أرض لإخوانه اليهود ، لكنّه ينسى أن الذكاء ليس كافياً لحلّ جميع المشاكل. "

هكذا رفض السلطان عبدالحميد الأشياء المغرية لهرتزل . وهو يوضح سبب رفضه ، فيقول :

" لن يكتفي الصهاينة بممارسة الأعمال الزراعية في فلسطين ، بل يريدون أموراً أخرى ، مثل تشكيل حكومة و انتخاب ممثلين . إنني أدرك أطماعهم جيداً ، لكن اليهود سطحيون في ظنهم أنني سأقبل بمحاولاتهم ، و كما انني أقدر في رعايانا من اليهود خدماتهم لدى الباب العالي ، فإنّي أعادي أمانيهم وأطماعهم في فلسطين . [1] "

---

[1] نقلت جميع هذه النقاط عن نويهض ، عجاج : بروتوكولات حكماء صهيون ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 245.

[2] في (مستقبل الحركة الصهيونية ..) المرجع السابق ، ص 91.

[3] مذكراتي السياسية (السلطان عبدالحميد الثاني) ، عبدالحميد بن عبدالمجيد، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط5 ، 1406 هـ ، ص 34 .

[1] المرجع نفسه ، ص 34-35.

يبدو أنّ السلطان عبدالحميد قد فهم جيداً أهداف و طموحات الحركة الصهيونية في فلسطين ، لذلك كان حاجزاً كبيراً ، أمام مشروع الصهيونية الإستعماري . و هو قد أدرك سبب مساعدة الغرب للصهيونية ، و ذكر أحد الدوافع لهذه المساعدة ، يقول : " لليهود قوة في أوروبا أكثر من قوتهم في الشرق ، لهذا فإن اكثر الدول الاوروبية تحبذ هجرة اليهود إلى فلسطين لتتخلّص من العرق السامي الذي زاد كثيراً ، و لكن لدينا عدد كاف من اليهود ، فإذا كنّا نريد أن يبقى العنصر العربي متفوقاً علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين ، و إلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضاً تملكوا كافة قدراتها خلال وقت قصير ،وبذا نكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم .[2] "

و هكذا لم يستطع هرتزل أن يقنع السلطان عبد الحميد الثاني . خلال مقابلاته معه في الفترة مابين (مايو 1901 . يوليو 1902) . بفتح باب الهجرة إلى فلسطين ، و بذلك أدرك أنه هو العرقلة الكبرى أمام استعمار فلسطين ، و تجدر الإشارة إلى أن السلطان لم ينكر وجود اليهود في فلسطين ، بل أصر على تحديد الهجرة ، و أن تكون في أجزاء من الدولة العثمانية من غير فلسطين ، و أن تكون بإشراف عثماني ، وهذا لم يتلائم مع تطلعات هرتزل[3] .

إن إحدى القوى الكبرى التي كانت مهمة لتحقيق اهداف الصهيونية الإحتلالية هي بريطانيا . لذلك كانت دوماً محط الأمل الصهيوني ، و الصهاينة منذ اهتمام بريطانيا بمنطقة الشرق الأوسط . منذ بدايات القرن التاسع عشر . اهتموا بتكوين علاقات و اتصالات عميقة بالساسة البريطانيين ، إنطلاقاً من أن بريطانيا كانت " يومئذ... أكبر دولة إستعمارية في العالم لها برنامجها الخاص معهم . و بالتالي لن تتوانى عن مساعدتهم ، لأن الإنكليز أول من أقروا بضرورة التوسع الإستعماري ، قام التصور الصهيوني منذ البداية على تحول الدولة الصهيونية إلى قاعدة متقدمة للإستعمار الأوروبي و بالتعاون الخاص مع بريطانيا . [4] "

"ولقد وصف هرتزل انعقاد المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن عام 1900 كتعبير عن انتقال الصهيونية السياسية إلى لندن لكي تقدم نفسها للشعب الإنكليزي و تطلب تأييده السياسي ، حيث علقت آمالاً كبيرة على بريطانيا لتحقيق الوطن القومي .[5] "

"ولقد عبر (ماكس نوردو) عن استعداد انضمام الحركة الصهيونية إلى المخططات البريطانية مخاطباً الإنكليز قائلاً : (أنتم تريدون أن نحمي قناة السويس ، لكن عليكم السماح لنا بأن نصبح قوة قادرة على القيام بواجبها) . [1] "

إتصل هرتزل بالدولة البريطانية " و جعل معروضاته المغرية هكذا :

1. تكون الصهيونية ، شرقي ترعة السويس ، في فلسطين ، قاعدة لحماية الترعة في أي وقت .

---

[2] المرجع نفسه ، ص34.

[3] أنظر د. أسعد عبدالرحمن: المنظمة الصهيونية العالمية ، المرجع السابق ، ص 51-52.

[4] د. أسعد عبدالرحمن: في (مستقبل الحركة الصهيونية و المشروع الحضاري العربي) ، المرجع السابق ، ص 94.

[5] المرجع نفسه ، ص 94 ، نقلاً عن الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثاني ، ج6 ، ص 37 .

[1] المرجع نفسه ، ص 94 ، نقلاً عن : د. أسعد رزوق ، إسرائيل الكبرى (بيروت / مركز الأبحاث ، 1973) ص 204 .

2. نشر التجارة البريطانية في الشرق .

3 . والثقافة الإنكليزية أيضاً . [2] "

وهناك قوة كبيرة أخرى ، كان لها دور كبير في مجريات الأمور في القرن التاسع عشر و العشرين ، و كانت في منتصف النصف الثاني من القرن التاسع عشر تضم نصف يهود العالم .

و هي أحباء صهيون وقد اعترفت بها روسيا رسمياً ، يقول د. أسعد عبدالرحمن[3] :

"بعد اعتراف حكومة روسيا القيصرية (بحركة أحباء صهيون) عام 1891 ، بدأ هرتزل اتصالاته مع القيصر قبل انعقاد مؤتمر بازل بست سنوات ، وكان يؤكد للقيصر أن الصهيونية تعمل في الخفاء للقضاء على العناصر الثورية و الإشتراكية بين اليهود [*] . وأن مشروع استعمار فلسطين سيجلب العمال اليهود و العناصر الثورية اليهودية للمشروع . "

و " لقد كتب تيودر هرتزل... في مسودة خطاب إلى قيصر روسيا في عام 1899 :

إن البروليتاريين الفائضين سيرحلون عن روسيا . و هكذا ستضعف الأحزاب الثورية . إننا نناضل في كل مكان ضد الثوريين ، و نبعد الطلاب الشباب والعمال اليهود عن الاشتراكية و القومية ، حين نقدم لهم مثالاً قومياً أكثر نقاء. [4] "

وبعد هذه المحاولات " أصدرت حكومة روسيا وعداً لليهود على شكل رسالة ، و جهها و زير داخلية روسيا (فون بليفيه) إلى تيودور هرتزل يعبرفيها عن تأييد روسيا الحركة الصهيونية . ومن المعروف أن بليفيه كان أكثر الناس كرها لليهود ، [**] لذلك فالمشروع الصهيوني بالنسبة له ، هو إحدى الآليات التي تؤدي إلى تخفيض عدد اليهود المتزايد في روسيا و تحويل الشباب اليهودي عن الإنضمام للثورة . [1] "

نرى أنّ تعامل هرتزل مختلف عن تعامله مع بريطانيا ، حيث يعد روسيا بإبعاد العناصر الثورية اليهودية عن روسيا إذا نجح في تهجيرهم إلى فلسطين ، و كانت مسألة الثورة ضد القيصر هي من أكبر و أصعب المشكلات التي كانت روسيا تواجهها آنذاك .

---

[2] نويهض ، عجاج ، بروتوكولات حكماء صهيون، المرجع السابق ، ج2 ، ص 245-246.

[3] في (مستقبل الحركة الصهيونية و المشروع الحضاري العربي) ، المرجع السابق ، ص 92-93.

[*] إن روسيا آنذاك كانت تحكمها مجموعة من القياصرة ، وكانت تحت ضغط الحركات الثورية التي كانت تطالب بإلغاء حكم القيصر ، و قد بلغت الثورة ذروتها حين نجح الإشتراكيون في إنهاء حكم القيصر . اثر ثورة قاموا بها في أكتوبر 1917 ، وبعد ذلك بدأ النظام الشيوعي بالحكم في روسيا .

[4] نقلاً عن سكيدنيك ، يوسف ، الوجه الحقيقي للصهيونية : قهر اجتماعي و عنصري ، في (الصهيونية و العنصرية) ، المرجع السابق ، ص 375.

[**] **وهو الذي قام بمجازر اليهود في روسيا عام 1882 ، للمعلومات حول هذه المجازر راجع ص (258 . 259) من هذه الدراسة.**

[1] د. أسعد عبدالرحمن، في (مستقبل الحركة الصهيونية ..) المرجع السابق ، ص 93.

و ليس هناك وجود روسي في منطقة فلسطين ، لذلك فإن أنجح خطاب لإغراء القيصر كان الوعد بإبعاد الثوار اليهود ، و قد فعل ذلك هرتزل " كما وعد .. أيضاً رئيس الوزراء النمساوي بأنّ (الصهيونية ستقوم بدق إسفين في صفوف يهود (جاليشيا) الذين يتعاطفون مع الإشتراكية) . [2] "

وألمانيا هي القوة الأخرى التي لم ينس هرتزل أن يتقرب منها، و يغريها ببعض الأقوال ، منها :

1- مصالح ألمانيا و المصالح الصهيونية يمكن أن تكون في اتجاه واحد .
2- إذا كانت ألمانيا بحاجة إلى قاعدة مقابل ترعه السويس،ففلسطين بيد الصهيونية هي هذه القاعدة .
3- نشر التجارة الألمانية على أوسع نطاق ممكن .
4- أما الثقافة الألمانية ، أ فليس أن الألمانية وقد كانت اللغة المعتمدة في المؤتمرات الصهيونية ، هي الدليل على أن الصهيونية تنشر هذا في العالم الشرقي نشراً تقصر عنه ثقافات أخرى.
5- و هذه المساعدة من ألمانيا للصهيونية تجعل ألمانيا نائلة قصب السبق في الإنسانية الراقية . [3]

هكذا نرى أن مؤسس المنظمة الصهيونية حاول التقرب من القوى الكبرى ، وقد خاطب كل دولة حسب أوضاع و طبيعة هذه الدولة ، فيقول للبريطانيين ان الصهيونية سوف تكون الجسر الذي يمر به الغرب إلى الشرق (ثرواته و قدراته البشرية و الطبيعية و السياسية) .

ويقول في نفس الوقت للسلطة العثمانية إن الصهيونية سوف تكون درعاً لها ، وتقوم بمساعدتها في شؤونها الدولية والعلمية و العسكرية.

يقول د. أسعد عبدالرحمن " : [4] لقد اتبعت الحركة الصهيونية منذ البداية سياسة تقوم على إبراز المنافع التي يمكن أن تجنيها الدول من وراء المشروع الصهيوني . "

هذا و قد مات هرتزل " في إدلاتش ، قرب فينا ، بسبب مرض القلب ، في عمر 44 ، سنة 1904 ، ودفن في فينا ، لكن بموجب وصيته نقلت بقاياه إلى القدس في 1949 بعد تأسيس الدولة اليهودية ، ودفن على تلّ غرب المدينة ، هي الآن معروفة بجبل هرتزل... و بالرغم من أنه مات قبل تأسيس دولة إسرائيل بأكثر من 40 سنة ، إلاّ أنه كان المنظم النشط الداعية الدبلوماسي الذي جعل الصهيونية حركة سياسية ذات أهمية عالمية . [1] "

و بعده " خلفه في تزعم الحركة الصهيونية حاييم وايزمان روسي الأصل و بريطاني الجنسية . و بحكم شغله منصب مدير المختبرات الكيماوية التابعة للبحرية البريطانية قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى ، و علاقته بعدد من الساسة البريطانيين الإستعماريين ، استطاع إقناع أولئك الساسة بأن الكيان الصهيوني إذا ما أُنشىء في فلسطين فإنه سيصبح قاعدة تحفظ المصالح البريطانية في المنطقة . و

---

[2] نقلاً عن سكيدنيك ، يوسف ، في (الصهيونية والعنصرية) ، المرجع السابق ، ص375.

[3] نقلاً عن نويهض ، عجاج : بروتوكولات حكماء صهيون ، المرجع السابق ، ج2 ، ص246.

[4] في (مستقبل الحركة الصهيونية ..) المرجع السابق ، ص94.

[1] Encyclopedia Britannica ، المرجع السابق ، مادة. Theodor Herzl :

وايزمان هو الذي استحصل وعد بلفور في 2 تشرين الثاني 1917 الذي ينص على التزام بريطانيا بمساعدة الحركة الصهيونية لإقامة كيان يهودي في فلسطين . [2] "

و نص وعد بلفور هو :

"إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن في فلسطين للشعب اليهودي ، و سوف تبذل أقصى جهودها لتسهيل هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً أنه لا يجوز عمل شيء قد يضر بالحقوق المدنية و الدينية التي للطوائف غير اليهودية في فلسطين ،ولا الحقوق و لا المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد غيرها .[3] "

و بعد هذا القرار " اتجهت إنجلترا بكل قواها إلى أن يتم لها الإنتداب على فلسطين لتنفّذ ما وعدت به . [4] " و قد حققت بريطانيا هذا الهدف حيث " في مؤتمر سان ريمو (25 نيسان / ابريل 1920) تقرر وضع فلسطين تحت الإنتداب البريطاني [*] لرغبة الحركة الصهيونية على أن تلتزم بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور . وبدخلول بريطانيا إلى فلسطين كدولة منتدبة ، تضمن صك الانتداب في أحد بنوده نصاً يقول : إن مهمات الدولة المنتدبة هو تسهيل إنشاء الوطن القومي على وفق نص وعد بلفور الصادر عن وزارة الخارجية البريطانية في الثاني من تشرين الثاني / نوفمبر 1917 . [5] "

وحول دور بريطانيا في تفعيل الحركة الصهيونية و تحقيق أهدافها في فلسطين ، يقول حايم وايزمان : " لقد احتضنت بريطانيا حركة الصهيونية منذ نشأتها ، و أخذت على عاتقها تحقيق أهدافها ووافقت على تسليم فلسطين خاليةً من سكانها العرب لليهود في سنة 1934 و لو لا الثورات المتعاقبة التي قام بها عرب فلسطين لتمّ إنجاز هذا الإتفاق في الموعد المذكور . [6] "

وقد حققت بريطانيا ما وعدت به اليهودَ الصهاينةَ حيث أعلنت " أنها ستنسحب من فلسطين في الخامس عشر من مايو سنة 1948 ، و في هذا الموعد سلّمت بريطانيا البلاد لليهود بعد أن اطمأنت إلى أنهم قوة يمكن أن تستولي على الحكم . [1] "

و بهذا قد حقق الإتجاه الصهيوني هدفه القومي السياسي الديني غير المشيحاني ، وحققت الإمبريالية هدفين :

الأول هو : وضع حدّ للوجود اليهودي المتزايد في اوروبا ، الذي خلّف مشاكل عويصة بكل أنواعها .

---

[2] الطيار ، د. خليل إبراهيم ، في (مستقبل الحركة الصهيونية) مجموعة باحثين ، المرجع السابق ، ص 46–47.

[3] نقلاً عن شلبي ، د. أحمد : مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 110.

[4] المرجع نفسه ، ج1 ، ص 110 .

[*] إن مفهوم الإنتداب هو : أن الدولة المحتلة تدير شؤون البلاد المحتلة حتى يصبح سكانها قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم . فعند ذلك ينتهي أجل الإنتداب ./ المرجع نفسه، ج1 ، ص 111 .

[5] د. أسعد عبدالرحمن، في (مستقبل الحركة الصهيونية ..) المرجع السابق ، ص 94 ، نقلاً عن بديعة أمين ، المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية (بيروت ، دارالطليعة ، 1974) ، ص 155.

[6] نقلاً عن شلبي ، مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 111.

[1] المرجع نفسه ، ج1 ، ص 115.

و **الثاني** هو : إرسال المادة البشرية إلى فلسطين لتحقيق الأهداف الإستعمارية التي تكمن في البُعْدَين السياسي و الإقتصادي .

و كل ذلك قد حُقِقَ على حساب الشعب الفلسطيني (سكان و أصحاب الأرض الحقيقيين) و العالم العربي و الإسلامي جميعاً .

ثالثاً : الصهيونية .. قواعد و حقائق

إنّ الصهيونية كانت أحدَ الإتجاهات المهمة للفكر اليهودي في القرن التاسع عشر ، و ربما كانت أكبر الإتجاهات حجماً، و أوسعها انتصاراً ، خاصة منذ منتصف النصف الثاني من القرن التاسع عشر . و كان حلّ الإتجاه الصهيوني للمشكلة اليهودية مختلفاً عن كل الحلول السابقة للحركات اليهودية الأخرى ، و إن كان هناك اتفاقات مشتركة لكل الإتجاهات حول بعض القضايا المتعلّقة بخصوصيات الشعب اليهودي و مستقبله . لكن مع هذا تظل الوسيلة التي اختارتها الصهيونية مختلفةً عن جميع الوسائل المقترحة من قِبَل كل الإتجاهات في القرن التاسع عشر .

من أجل التركيز على هذه المسائل ، ولتحديد و تلخيص المعلومات التي أوردناها حول الصهيونية ، ولمقارنة الحلول و الأفكار التي أفرزتها الصهيونية و ترجمتها على أرض الواقع ، و من أجل توضيح جوابنا حول سؤال بات من الضروري أن نطرحه في نهاية كلامنا عن الصهيونية وهو :**هل حلّت المشكلة اليهودية في ظل أفكار و حلول الحركة الصهيونية ؟**

أرى من الضروري أن أسلّط الضوء على الصهيونية بصياغة جديدة ، وضمن نقاط تشكّل مجموعةً من القواعد الأساسية للفكر الصهيوني ، وبعد التعمق في هذه النقاط يتبلور الجواب تلقائياً عن السؤال المطروح:

1 . إن هناك أسباباً تقع وراء نشوء الصهيونية الحديثة في القرن التاسع عشر ، من أهمها :

أ . ظهور المذهب البروتستانتي المسيحي في القرن السادس عشر الميلادي ' الذي كان مؤيداً للنزعات الصهيونية ، ودعا إلى تجميع اليهود في فلسطين كخطوة حتمية لقدوم المسيح[1] .

ب . ظهور الأيديولوجيات القومية و الوطنية و نشوء الدولة القومية في أوروبا خصوصاً في القرن التاسع عشر[2].

ج . ظهور المشكلة اليهودية ، خصوصاً في أوروبا الشرقية ، و ما تعرض له اليهود من اضطهاد على يد الروس [3] ، وبذلك برزت إلى الوجود ظاهرة اللاسامية و انتشرت في كثير من البلدان ، وجاء الصهاينة في اواخر القرن التاسع عشر ليستغلوا هذه الظاهرة و يجعلوها سبباً آخر لانعزال الجماعات اليهودية ..

د . فشلُ حركة التنوير اليهودية (الهسكلاه) في تحقيق هدفها الذي كان دمج الجماعات اليهودية في المجتمعات التي كانت تعيش فيها. [4]

هـ . تطلعات القوى الإمبرالية الغربية في تحقيق المكاسب السياسية و الإقتصادية و الثقافية . حيث كانت تلك التطلّعات منسجمة مع أحلام اليهود الصهاينة ، لذلك كان هناك دائماً الإتفاق والتعاون بين الطرفين . و كانت محاولات فرنسا بقيادة نابليون لاستعمار فلسطين و من ثم بريطانيا حتى تأسيس الدولة الصهيونية بالذات ، قد أعادت روح الأمل و الحيوية للإتجاه الصهيوني غير المشيحاني .

ومن الممكن أن نقول إن مساعدة الإستعمار كانت أكبر . من حيث التأثير . من مساعدة ظاهرة اللاسامية في تمكين الصهاينة للدعوة بروح قوية . و ذلك بدليل أن معاداة اليهود كانت موجودة سابقاً و لكن لم تؤد إلى الإستحقاقات التي وصلت إليها الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر و النصف الأول من العشرين ، و هذه المساعدة كانت بسبب أن توطين اليهود في فلسطين قد أصبح يلعب دوراً كبيراً في أمور السياسة الدولية العملية . [1]

و .ضعفُ الخلافة العثمانية الإسلامية ، خاصة منذ أواخر القرن التاسع عشر .

وهذا جعل الصهاينة يؤمنون أكثر بإمكانية تحقيق حلم تأسيس الدولة في قلب مملكة الخلافة العثمانية . (فلسطين) .

هذه الأسباب كانت أهم دوافع نشوء الصهيونية الحديثة في اواخر القرن التاسع عشر . و كانت أيضاً خلفية مهمة لنجاح مؤتمر بازل الذي كان نقطة الإنطلاق الحقيقية نحو إنشاء الكيان الصهيوني وفق تخطيط دقيق وعمل دائب . كما أنه كان التجمعَ الأولَ الذي يجتمع فيه عددٌ لا بأس به من يهود

---

[1]أنظر صالح ، د. محسن محمد : الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية، المرجع السابق ، ص 5 .

[2]المرجع نفسه ، ص 5 .

[3]المرجع نفسه ، ص 5.

[4]المرجع نفسه ، ص 5 . و قد تكلمنا عن هذه الأسباب كلّها بصورة تفصيلية في الصفحات السابقة من هذه الدراسة.

[1]أنظر مسعود كريم ، و خليل إبراهيم حسونة : الحركات الهدامة ، المرجع السابق ، ص175.

العالم ليتدارسوا فيه شؤونهم و يقرروا مصيرهم متخطين جميع العوائق و الصعوبات التي تعترض طريقهم . و قد تمخّض عن هذا المؤتمر إنشاء المنظمة الصهيونية ، التي كانت نواة دولة إسرائيل و سندها القوي ..

2. إن الصهيونية الهرتزلية أكلت جهود الحركات الإصلاحية الاندماجية (حركة التنوير و اليهودية الإصلاحية) . وبالنسبة للحركات الأخرى ، فإنها تحولت عند تأسيس المنظمة الصهيونية أو بعده بسنوات إلى تيارات صهيونية دينية . أي بعد تأسيس المنظمة الصهيونية تمت صهينة كثير من الحركات الصهيونية . و ربما ذلك يرجع إلى وجود عناصر مشتركة بين الصهيونية و الإتجاهات الدينية اليهودية الأخرى (مثل الحسيدية و الأرثوذكسية و المحافظة) . و من أهم هذه العناصر : الإيمان بفكرة الشعب المختار الدينية ، وإن كانت الصهيونية أعطت لها طابعاً قومياً . و منها الإيمان بأن اليهود يعيشون في المنفى ، و أنه يجب أن يرجع اليهود إلى وطنهم ، و لكن الصهيونية أبدعت وسيلةً بشرية إستعمارية لتحقيق هذا الهدف ، في حين كانت الحركات الدينية تؤمن بأن إرجاع اليهود يجب أن يتم بأمر الله من خلال مبعوثه المخلّص (الماشيّح) ، لكن الغريب هو أن هذه الحركات قد انصهرت في المشروع الصهيوني الدنيوي (على الرغم من أن بعضاً من التيارات الدينية التي تأسست بعد تأسيس المنظمة الصهيونية قد قاوم وعارض المشروع الصهيوني الإستعماري (مثل ناطوري كارتا . [1] (إلا أن هذه التيارات مع الأسف قليلة جداً مقارنة بالحركات والتجمعات التي أيدت الحركة الصهيونية .

و بالنسبة للحركات ذات التوجه العلماني (حركة التنوير " الهسكلاه " و اليهودية الإصلاحية) فإن الصهيونية عارضت دعوتها للإنفتاح و ترك المفاهيم القومية اليهودية (الشعب المختار المتفوق على جميع الأعراق ، و الأرض المقدسة " أرتس يسرائيل") ، و التخلّي عن الغيتوات و الإنعزال الناشيء عن أسباب ذاتية و خارجية ، و إن أهم دعوات هذه الحركات و أخطرها للمشروع الصهيوني و مخططاته كانت الدعوة للإندماج و الإنصهار في المجتمعات التي تعيش فيها الجماعات اليهودية . لذلك

---

[1] **ناطوري كارتا**» : نواطير المدينة» أو «حُرَّاس المدينة» ترجمة للعبارة الآرامية «ناطوري كارتا»، وهي منظمة يهودية دولية معادية للصهيونية... ويرى أعضاء نواطير المدينة أن الصهيونية لا تمثل استمراراً للتراث الديني اليهودي أو تنفيذاً للتعاليم اليهودية وإنما رفضاً لها وانسلاخاً عن التراث الديني، بل إن الصهيونية من منظور الناطوري كارتا هي أخطر المؤامرات شيطانية ضد اليهودية. وفي اعتقادهم إن الهدف من إختيار الشعب اليهودي . حسب أحد التفسيرات الدينية . ليس تمكين اليهود

من السيطرة على العالم وإنما العكس، فقد اصطفى الإله اليهود ليقوموا على خدمته في الدنيا، وهم بهذه الطريقة يقومون على

خدمة الجنس البشري بأسره... بل إن الاختيار يفرض على اليهود واجبات أكثر مما يمنحهم من حقوق... و الماشيَّح المُنتظَر

هو وحده القادر على إقامة الدولة، وحين يعود سيؤسس مملكة الكهنة والقديسين. أما الصهاينة فهم يحاولون التعجيل بالنهاية .. ويدعون إلى العودة بقوة السلاح دون انتظار مشيئة الإله. ولذا، فدولة إسرائيل في نظر نواطير المدينة ثمرة الغطرسة الآثمة لأنها

قامت على يد نفر من الكافرين الذين تمردوا على مشيئة الإله... ويبلغ عدد أعضاء الجمعية(الآن) حوالي 60 ألفاً، وأكبر تَجمُّع لهم

في بروكلين في نيويورك، كما توجد جماعات صغيرة في لندن وأنتويرب ومونتريال وفي القدس . / موسوعة اليهود واليهودية ،

م6 ، ج4 ، ب3 ، مدخل (الناطوري كارتا " نواطير المدينة ") .

تصدت الصهيونية بقوة لتلك الدعوة ، وعارضتها بشدة ، وعملت على تطويقها و طمس معالمها و تأثيراتها بطريقين : .

أ . رفض فكرة الإندماج نفسها ، وقد فعل ذلك مفكرون صهاينة ، حيث شنّوا حملة فكرية واسعة ضد فلسفة الإندماج .

ب . توسيع دائرة اللاسامية ، و الترويج لها ، و تفخيم شأنها ، حتى يقتنع اليهودي بأنه منبوذ و مرفوض و غريب ، و ليس هناك مخرج أو حل لمشكلته تلك غير الهجرة إلى فلسطين و تأسيس كيان سياسي يضمن حقوقه و كرامته و استقلاليته . و هذا المنهج يعد من أبرز سمات المدرسة الصهيونية في الفكر اليهودي .. وقد تكلمنا عن ذلك كثيراً .

أمّا بخصوص الطريق الأول في معارضة الصهيونية لفكرة الإندماج . فإنّ الصهيونية إذا أرادت أن تحقق هدفها السياسي (تأسيس الدولة) فإنّ عليها أن تخنق دعوات الإندماج ، لأن فكرة الإندماج هي إحدى الركيزتين الأساسيتين اللتين تشكّلان مبدأ الحل اليهودي للمسألة اليهودية ، و الركيزة الأخرى هي فكرة تأسيس الكيان المستقلّ . كما يقول المفكر الإشتراكي ف.أ . لينين [1] " إن المسألة اليهودية هي بالضبط كما يلي : (الذوبان أو الكيان المستقلّ) . [2] "

فحين تشتت اليهود في أنحاء العالم المختلفة ظهرت حركات و نظريات دينية دعت إلى اعتبار الحياة خارج وطن الأجداد (فلسطين) العيش في المنفى ، و اعتبرت المنفى بأنه عقاب من الله لشعبه بسبب انحرافهم عن الديانة اليهودية . و منذ ذلك الحين أصبحت الجماعات اليهودية الخاضعة لسيطرة المؤسسة الحاخامية تنتظر الخلاص الإلهي من خلال مبعوثه (الماشيحّ) .

وطوال مدة الوجود اليهودي في الشتات أصرت الجماعات اليهودية على البقاء في الأحياء المنعزلة ، وكان هذا سبباً كبيراً في وقوع إضطهادات كثيرة ضدها ، وبذلك أصبح اليهودي يكره الأغيار وينتظر فرصة للإنتقام ، وبالمقابل أصبح الأغيار أكثر عداءً و عزماً على قهر اليهود ومنعهم من تحقيق أهدافهم العدائية . في ظل هذا الظرف انحصر حل المشكلة اليهودية في اتّجاهين : إما أن تندمج الجماعات اليهودية (خاصة في شرق اوروبا) في المجتمعات . أو تهجر من المجتمعات و تؤسس في مكان ما كياناً مستقلاً .

لذلك فإن خنق دعوة الإندماج أصبح من أكبر واجبات الصهيونية . وقد فَعَلَ الصهاينة ذلك بالفعل ، وهم كانوا على علم تام بأن " الخطر الرئيسي الذي يهددهم يكمن في عملية الذوبان الطبيعي للجماعات اليهودية... و لقد تحول وقف الذوبان بالنسبة للصهاينة إلى مسألة أساسية ، مسألة حياة أو موت . ولذا فإنهم يعتبرون الموقف من الذوبان كمقياس رئيس للإنتماء إلى الصهيونية . و قد كتب

---

[1] لينين) ظلاديـميـر 1870) : (. 1924) ، زعيم الثورة الروسية (التي ابتدأت في 11 آذار 1917 في بــتـر وطـر ا د العاصمة ، وبها انتهى حكم القياصرة) ، وهو مؤسس الحزب الشيوعي في روسيا السوظيـاتية أخذاً بتعاليم كارل ماركس الإشتراكية . / المنجد في الأدب والعلوم ، المرجع السابق ، مادتا : لينين ، ثورة .

[2] نقلاً عن س . غورانوف ، في (الصهيونية والعنصرية) المرجع السابق ، ج1 ، ص171.

الأيديولوجي البارز للصهيونية الروحية آحاد هعام يقول : (إن رفض الذوبان يعني القبول بتعاليم الصهيونية). و قد قسم الصهاينة فعلياً اليهودية الدولية إلى (حزبين) الصهاينة و أتباع الذوبان .[3] "

يقول عبد الوهاب المسيري " : [4] إن المنظرين الصهاينة يرفضون الإنصهار ، و يرون فيه شكلاً من أشكال الإنسلاب عن هوية يهودية حقيقية خالصة مفترضة . "

وقد أعلن بنسكر " أنه لا يعارض المساواة و ذوبان الناس من مختلف العروق... أما فيما يتعلق باليهود فإنّه يرى ، مثله مثل هرتزل ، أنهم أناس ينتمون إلى عرق (أكبر سمواً) و لن يجنوا إلا الضرر من الذوبان .[5] "

و يرى وايزمان (أول رئيس لدولة إسرائيل) " أن اليهود يشكلون كياناً دينياً قومياً غير قابل للإندماج أو الذوبان في الشعوب الأخرى ، وأنهم جميعاً غرباء " ، [1] " بل إنه كثيراً ما يتحدث عما يصفه بـ (وصمة الإنصهار) . [2] "

يقول س. غورانوف " : [3] إن الصهاينة يطمحون في الواقع ، من وراء تكوين سيكولوجية التفوق العنصري ، إلى خلق حاجز قوي ضد عملية الذوبان الطبيعية . و إلى تحقيق انعزالية اليهودية الدولية عن بقية الشعوب . "

من هنا نستطيع الجزم بأن الصهيونية حركة عنصرية [4] تسعى إلى تعميق الشعور اليهودي بالتفوق العنصري . و هذا المنهج مستمد أساساً من مفهوم الشعب المختار التوراتي .

وهكذا رفضت الحركة الصهيونية فكرة الدمج و نظرت للمشكلة اليهودية على أنّها تتجاوز حدود الزمان والمكان، و هي لا تربط بنظام إجتماعي أو اقتصادي أو مجتمع ما بعينه ، بل يرتبط بوجود اليهود أنفسهم في عالم لاينتمون إليه ، و لا يستطيعون أن يذوبوا في هذه المجتمعات ،و من هنا فليس هناك حل سوى العودة إلى أرض صهيون (أرض الميعاد) و إقامة الدولة هناك ، حيث يستطيع الشعب اليهودي أن يحقق حياته اليهودية الحقيقية الخاصة ..

---

[3] غورانوف ، في المرجع نفسه ، ج1 ، ص174.

[4] في (الصهيونية و العنصرية) ، المرجع نفسه ، ج1 ، ص 109 .

[5] نقلاً عن غورانوف ، في المرجع نفسه ، ج1 ، ص 177.

[1] نقلاً عن الحركات الهدامة ، المرجع السابق ، ص198 .

[2] نقلاً عن المسيري ، عبدالوهاب ، في (الصهيونية و العنصرية) المرجع السابق ، ص 109 –110.

[3] في (الصهيونية و العنصرية) ، المرجع السابق ، ص 177.

[4] العنصرية هي : أيديولوجية متعصبة للفئات الرجعية في القضية القومية ، وتقوم العنصرية على فكرة رئيسية ، مؤداها أن مجموعة محددة من البشر يتسمون بكونهم طبيعياً أسمى من غيرهم ،ويقصد بأسطورة تفوق أو نقص هذه الأجناس او تلك ، تبرير أو إثبات سياسة الحقد العدوانية ضد الكائن البشري . و عادة ما يتم توصيف السمات المميزة للجماعة المختارة سواء على

أساس فيزيقي يتعلق بالتكوين الجسمي ، أو على أساس حضاري خالص يتعلق بإبراز السمات الثقافية التي تميز الجماعة المختارة . وهناك أيضاً عدد كبير من السمات و القيم عادة ما ينظر إليها باعتبارها علامات على السمو و الإمتياز مثل العبقرية

العسكرية و التفوق التكنولوجي ، او كما يقرر الصهاينة أنهم أسمى الجماعات الإنسانية لأنهم شعب الله المختار/ .

السيد يسين : الصهيونية أيديولوجية عنصرية ، في كتاب (الصهيونية و العنصرية) ، المرجع نفسه ، ص 86 ، و مسعود كريم و خليل حسونة : (الحركات الهدامة) المرجع السابق ، ص222.

3. إنّ الصهيونية ادّعت أنّ فلسطين هي الوطن القومي التأريخي لليهود ، و ان لها الحق في المطالبة بالعودة إلى هذه الأرض . لكن إذا تعمقْنا النظر في بعض الحقائق ، سيتضح لنا أن أسطورة (حق اليهود في فلسطين) ليست إلا مقولة مناهضة للحقيقة التأريخية ، و أنها محاولة لخلق تأريخ مزّيف لفلسطين بأرضها و شعبها .. و هذه الحقائق هي : .

أ . إن إعطاء الأرض لإبراهيم جاء على أساس العرف السائد في المنطقة آنذاك ، الذي يؤكد على إعطاء الأرض مقابل حماية سكانها . يقول الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي : [5]

"النص الذي يستند إليه الصهاينة هو النص الذي يمنح كل أرض كنعان لإبراهيم : (و أعطي لك و لنسلك من بعدك أرض غربتك كل ارض كنعان) . سفر التكوين / الإصحاح السابع عشر ، الآية 8 ، ويكشف هذا التفسير للكتاب المقدس القائم على عزل النص من مجموع نصوص الكتاب المقدس ، و عن الإطار التأريخي ، عن تصور قبلي للدين ، فالواقع أن هذا العهد قد أعطي في ايام إبراهيم وفق نموذج العلاقات الإجتماعية في الشرق الأوسط كلّه في ذلك الحين إذ كانت كل قبيلة تتعاهد مع سيد ما لتعده بالطاعة مقابل حمايته . و يختم هذا الميثاق . كما ذكر الكتاب المقدس . بذبح حيوانات التضحية ! و يعد الختان رمزاً لهذا العهد (سفر التكوين . الإصحاح السابع عشر ، الآية 10) . "

ب . إن التوراة نفسها دليل على أن فلسطين ليست أرض إبراهيم ، و أنه تعامل مع أهلها و سكانها معاملة غريب . على سبيل المثال جاء في التوراة أن سارة زوجة إبراهيم " ماتت في قرية أربع ، وهي حبرون ، في ارض كنعان . و دخل إبراهيم يندب سارة و يبكي عليها . فلّما قام من أمام جثمانها قال لنبي حثّ : أنا غريب و نزيلٌ بينكم ، دعوني أملك قبراً عندكم لأدفن فيه ميتي من أمامي . [1] "

ثم يذكر هذا السفر أن إبراهيم اشترى حقل عفرون في تلك القرية . بأربع مئة مثقال فضة ، و دفن سارة فيها . [2] و جاء في موضع آخر من التوراة " و قال إبراهيم لكبير خدم بيته ووكيل جميع أملاكه : ضع يدك تحت فخذي فأستحلفك بالرب إله السماء و إله الأرض أنْ لا تأخذ زوجةً لابني من بنات الكنعانيين الّذين أنا مقيم بينهم . بل إلى أرضي و إلى عشيرتي تذهب و تأخذ زوجةً لابني إسحق . [3] "

ج . لا يليق بالله عز وجل أن يعطي أرضاً (تمتد من النيل إلى الفرات) لشعب خاص ، و يسبّب طرد و تشتت و عذاب شعب آخر ، بل الله إله جميع البشر و يعطي الأرض لجميع الناس ليعيشوا بعضهم مع بعض في محبة و سلام و حسن جوار ، و هذا لأن الله عادل في

---

[5]عن الذرائع الدينية و التأريخية للصهيونية ، في (الصهيونية و العنصرية) ، المرجع نفسه ، ص 38.

[1]التكوين 23: 2. 5.

[2]أنظر التكوين 23 : 12-20

[3]التكوين 24 : 2-5.

إعطاء مستلزمات الحياة للبشر جميعاً حتى يقوموا بعبادته على أكمل الوجه ، وهو يهتم بشؤون حياة البشر جميعاً ، لأنهم جميعاً مخلوق الله .

د . إن هناك حقائق تأريخية تبطل ادّعاء الصهاينة بخرافة حق اليهود التأريخي في فلسطين ، منها :

.1دخل بنو إسرائيل فلسطين غزاة من الخارج دون أن يكون لهم بها جذور أو تأريخ ، و استعملوا القوة الوحشية ليحصلوا على الإنتصار على السكان الأصليين . [4]

أي إن بني إسرائيل دخلوا إلى فلسطين بعد وقوع حرب دامية بينهم و بين السكان الأصليين ، هذا كان بسبب أنّهم ليسوا أصحاب ارض فلسطين ، بل اعتبروا غرباء ، لذلك قاومهم سكان الأرض الأصليون ، وهذا يعني أنّ بني إسرائيل جاؤوا إلى منطقة مسكونة ، و ليس إلى صحراء او منطقة خالية من السكان ، يقول غارودي " :[1] حين جاءت قبائل ابراهام في القرن الثاني عشر قبل الميلاد من أراضي (أور) فيما بين النهرين لتستقر في ارض كنعان ، فإنّها لم تأت إلى صحراء مهجورة ، و لم تكن أول من يقطن هذه الأرض ، فقد وصل إليها الأموريون قبلهم بثمانمائة عام ، و جاءهم الآراميون في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، و بعدهم بقليل نزل الفلستينيون في المنطقة الساحلية ، و لم يطرد داوود الفلستينيين و الآراميين . نحو ألف عام قبل الميلاد . إلاّ عن طريق الحرب " . و التوراة نفسها تعترف بوجود قبائل كثيرة في المنطقة كانت ساكنة فيها قبل مجيء العبرانيين. [2]

وبعد سقوط مملكة داوود " أصبحت البلاد ... إقليماً آشورياً في القرن الثامن قبل الميلاد ، و غدت فيما بعد إقليماً رومانياً ، ثم فارسياً ثم عثمانياً قبل أن تنتقل إلى أيدي المستعمرين الإنجليز . [3] "

و في العصر الحديث نرى الصهاينة يستخدمون المقولة الإستعمارية (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) . ، لتبرير سياساتهم الإستعمارية . خاصة في بدايات القرن العشرين . ، وهذه المقولة تستند إلى وهم أن فلسطين خالية من السكان . وهذا إهمال سافر لوجود سكان أصليين يعيشون منذ القدم في المنطقة . فعلى سبيل المثال " إن هرتزل لا يشير إشارة واحدةً إلى العرب في كتابه (الدولة اليهودية) (1896) الذي كان الأساس الذي قامت عليه الصهيونية .و قد أكد هرتزل في عام 1895 أن المشروع الصهيوني واضح للغاية و سهل التحقيق : (إعطاء ارض بلا شعب لشعب بلا أرض) . وفي ذلك الوقت كان يعيش في فلسطين أكثر من نصف مليون عربي . [4] "

---

[4]شلبي ، د. أحمد : مقارنة ألأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 92.

[1]في (الصهيونية و العنصرية) المرجع السابق ، ج1 ، ص40.

[2]أنظر على سبيل المثال سفر التكوين 15: 18-21 .

[3]غارودي ، عن الذرائع الدينية و التأريخية للصهيونية ، في (الصهيونية والعنصرية) ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 40.

[4]المرجع نفسه ، ص 41 .

.2لم يستطع اليهود أن يمدوا سلطانهم إلى كل فلسطين ،ووقفوا عند منطقة التلال الداخلية ، أما منطقة الساحل فقد ظلّت في أيدي السكان الأصليين . [5]

.3لم يعرف بنو إسرائيل بفلسطين حياة الإستقرار على الإطلاق ،وظل السكان الأصليون يناضلون ضدهم حتى أخرجوهم . [6] و ليس السكان الأصليون فقط هم الذين ناضلوا من أجل طرد بني إسرائيل ، بل " أحس المجاورن لفلسطين من الشمال و من الجنوب بالعنصر الغريب الذي دخل المنطقة ، فاشترك هؤلاء المجاورون في الصراع حتى قضي على هذا العنصر الغريب . [1] "

.4 احتلّ بنو إسرائيل أرض كنعان لمدّة " خمسة قرون. [2] "

"و زال حكمهم كما زال حكم غيرهم من الدول كالآشوريين و الفرس و الفراعنة و الإغريق و الرومان ، بينما ظلّ شعب فلسطين راسخاً في أرضه ، و كان الحكم الإسلامي هو الأطول حيث استمر حوالي 1200 سنة (636–1917) باستثناء الفترة الصليبية (90 عاماً) . وقد انقطعت صلة اليهود عملياً بفلسطين نحو 1800 عام (منذ 135 م . و حتى القرن العشرين) دون أن يكون لهم تواجد سياسي أو حضاري و ريادي فيها .[3] "

فإن كان البقاء طوال تلك الفترة في فلسطين مبرراً لادّعاء كون فلسطين الأرضَ التأريخيةَ لليهود ، فإن الغزاة الآخرين . على سبيل المثال الرومانيين (أي الإيطاليين حالياً) . يستطيعون أيضاً أن يدّعوا ملكيتهم في فلسطين .

إن الإحتلال لمدة ليس مبرراً ولا يعطي شرعية للإدعاء بوجود حق تأريخي لليهود في فلسطين . بل هذه الأرض هي ملك أولئك الذين عاشوا فيها منذ القدم (مسلمين أو مسحيين أو يهود) أي سكان الأرض الأصليين وهذا بالمفهوم البشري و إلاّ فإنّ الملك كلّه لله.

هـ . مع كل ما ذكرنا من دلائل إبطال وهم الحق التأريخي لليهود في فلسطين ، يجب أن نذكر أنّه كما كان اليهود القدماء غير أصحاب الأرض وكانوا غرباء فيها و لا ينتمون إليها بصلة تأريخية صلبة ، كذلك إن اليهود اليوم لا يمتون بصلة عرقية باليهود القدماء ، أي إذا أهملنا الدلائل السابقة ، فإن هذه الحقيقة تكفي لإسقاط ادّعاء اليهود الصهاينة اليوم بحقهم التأريخي في فلسطين ..

---

[5]شلبي ، د. أحمد : مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 92 .

[6]المرجع نفسه ، ج1 ، ص 92.

[1]المرجع نفسه ، ج1 ، ص 93.

[2]المرجع نفسه ، ج1 ، ص 93.

[3]صالح ، د. محسن محمد : الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية ، المرجع السابق ، ص4.

"إنّ أكثر من 80 %من اليهود المعاصرين . حسب دراسات عدد من اليهود أنفسهم مثل الكاتب الشهير آرثر كوستلر . لايمتون تأريخياً بأيّ صلة لفلسطين ، كما لا يمتون قومياً لبني

إسرائيل ، فالأغلبية الساحقة ليهود اليوم تعود إلى يهود الخَزَر [*] (الأشكناز) ، و هي قبائل تترية . تركية قديمة كانت تقيم في شمالي القوقاز ، و تهودت في القرن الثامن الميلادي . فإن كان ثمة حق عودة لهؤلاء اليهود ، فهو ليس إلى فلسطين و إنّما إلى جنوب روسيا .[1] "

وحول نفس الموضوع " يقول العلامة (لامبروز) : إن اليهود المحدثين هم أدنى إلى الجنس الآري منهم إلى الجنس السامي ، و هم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات إجتماعية و اقتصادية ، وانضم إليها في جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف صنوف البشر وجاء هؤلاء المتهوّدون من جميع الآفاق ، فمنهم (الفلاشا) سكان الحبشة ، و منهم الألمان ذوو السحنة الألمانية و منهم (الثامل) أي اليهود السود في الهند ، ومنهم (الخزر) و ينتمون للجنس التركي ، ومن المستحيل ان نتصور أن اليهود ذوي الوجه الحسن البديع و الشعر الأشقر أو الكستنائي ، و ذوي العيون الصافية اللون الزرقاء ، ممن نلقاهم اليوم في أوربا الوسطى يمتون بصلة الدم إلى إسرائيل أرض الميعاد أو يهود فلسطين القدماء ،الذين كانوا يعيشون بجوار نهر الأردن و البلاد المقدسة. [2] "

من هنا فإن الجماعات اليهودية مجرد أتباع ديانة خاصة و ليست لها أية علاقة بأرض خاصة ، بل كل جماعة تنتمي إلى وطن و جنس خاص ، على غرار أتباع الديانات الأخرى . إلا أن الصهيونية أنكرت ذلك و اعتبرت تلك الجماعات بأنها أعضاء قومية خاصة لها الحق التأريخي في فلسطين ..

---

[*]شرعت العروق غير السامية و التركية و الفنلاندية في التوافد الى اوروبا . قادمة من آسيا منذ القرن الاول الميلادي عبر الممر الأرضي الواقع شمالي بحر قزوين . و يطلق التأريخ على هذه الشعوب الوثنية إسم(الخزر) . وقد استقروا في أقصى الشرق من أوروبا حيث شكلوا مملكة الخزر القوية ثم بسطوا سلطانهم شيئاً فشيئاً بواسطة الغزوات المتكررة حتى سيطروا في نهاية القرن الثاني على معظم المناطق الواقعة في أوروبا الشرقية غربي جبال الأورال و شمالي البحر الاسود . وقد اعتنق الخزر

اليهودية آنئد ... وبنوا الكنائس و المدارس لتعليم الدين اليهودي في سائر أنحاء مملكتهم... وقد عاشت دولة الخزر ما يقارب الخمسمائة عام ، حتى سقطت في نهاية القرن الثالث عشر في أيدي الروس الذين هاجموهم من الشمال . وقد انتقلت الروح الثورية من الخزر اليهود الى الإمبراطورية الروسية ، واستمرت حتى ثورة تشرين الأول الحمراء سنة 1917 . إن غزو الخزر

في القرن الثالث عشر يبين لنا أن الكثير من الناس الذين نطلق عليهم إسم اليهود قد بقوا في الواقع داخل الإمبراطورية الروسية / .

غاي كار ، وليام : أحجار على رقعة الشطرنج ، المرجع السابق ، ص 49 .

[1]صالح ، د. محسن محمد : الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية ، المرجع السابق ، ص 4 . 5 ، وانظر قطب ، محمد : رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، المرجع السابق ، ص 72 . 73 .

[2]نقلاً عن شلبي ، مقارنة الأديان ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 75-76.

4. إن الصهيونية بقيادة هرتزل وجدت ضالّتها في الدول الإستعمارية لتحقيق استراتيجياتها الإستيطانية . لذلك منذ ولادتها اعتمدت على تلك الدول . وقد بحثنا ذلك بالتفصيل . ،وهذه السياسة هي التي تميز هرتزل عن (القلعي ، وكاليشر ،وهس ، و بنسكر) الذين اعتمدوا على الذات لتحقيق إستيطان فلسطين . و قد كانت مساعدة الإمبرالية السبب المباشر في نجاح الحركة الصهيونية لاحتلال فلسطين في النهاية . ونقصد بها بريطانيا بالذات ، التي ساعدت الصهاينة بحماس حتى استطاعوا تحقيق حلمهم الإستعماري في 1948 ، حيث تأسيس الدولة الصهيونية المعترفة بها دولياً .

وقد كانت المادة البشرية لإنجاح خطة استعمار فلسطين هي اليهود الذين كانوا مواطني أوروبا و أميركا و آسيا و أفريقيا ، أي كانوا عناصر غريبة احتلت أرض شعب عريق ساكن فيها منذ آلاف السنين . و لذلك نستطيع القول بأن الصهيونية ليست مجرد حركة متحالفة مع الإمبريالية ، بل هي إستعمار بذاتها .

5. بعد كل ماذكرنا من حقائق حول الصهيونية ، ينبغى أن نسأل :

هل الصهيونية استطاعت حلَّ المشكلة اليهودية ؟.

لتمكين الباحث من الإجابة على هذا السؤال ، نستعرض جملةً من المسائل ، ومن ثم نتركه ليختار الجواب .

أ . إن ادعاء الصهيونية بوجود حق يهودي تأريخي في فلسطين قام على أساس غير صحيح ، وإن فرضية علاقة اليهود المعاصرين بالقدماء فرضية غير صحيحة أيضاً وهي غارقة في وهم عنصري ، حيث تدّعي أن اليهود المحدثين وارثوا خرافة التفوق و الإختيار و القداسة من اليهود القدماء . و إنّ أيّ مشروع يُقام على هذا الأساس لهو مشروع باطل و خاطىء و غير قابل للإدامة في الوجود حتى النهاية .

ب . إن الصهيونية بمعارضتها لفكرة الإندماج و من ثم محاولتها قطع علاقة اليهودي ببلاده الأصلية من خلال تهجيره منها إلى فلسطين ، قد أضرت بمشروع التيار الإصلاحي الإندماجي ، الذي دعا إلى ترك المفاهيم القومية العنصرية، و التخلّي عن النظرة السلبية للحياة في الشتات ، والبدء بحياة طبيعية (مع التمسك بالديانة) من بين المجتمعات ، وهذا قد مهّد الطريق أمام الشروع بعملية التبشير مثل باقي الأديان ، و بذلك تخرج اليهودية من صورتها المنحصرة في أيدي مجموعة من البشر .

وقد كانت فلسفة الإصلاح و الإندماج من أجدر وأصح حل للمسألة اليهودية ، وكان من شأنها إنهاء أزمة الجماعات اليهودية من جهة ، و تخليص المجتمعات من المرض اليهودي من جهة أخرى . لكنّ الحل الصهيوني حوّل الجماعات اليهودية من جماعات مضطهدة إلى أداة للقمع و الطرد و التشريد بعد أن استطاعت الصهيونية تأسيس الدولة في فلسطين .

إن المسألة اليهودية نبعت من شيئين : **الأول** هو: وجود نظام إقتصادي إجتماعي خاص في أوروبا ، [1] و **الثاني** هو: طبيعة الجماعات اليهودية في تمسكها بالغيتو أو الإنعزال ، والمفاهيم التفوقية العنصرية . لذلك فإنّ حلّ تلك المسألة (أو حل ظاهرة اللاسامية) لابد أن يكون بشيئين :

الأول هو : مواجهة النظام الإقتصادي الإجتماعي في أوروبا .

الثاني هو : إنهاء الأساس العنصري الضيق للتفكير اليهودي، والتخلّي نهائياً عن المفاهيم القومية العنصرية ، والمفاهيم العدائية الظلامية .[1]

لكن المدرسة الصهيونية أتت بحل معاكس لذلك تماماً ، و حصرت الحلّ في إنشاء وطن سياسي لليهود . و بذلك فإن مخلّفات حلّها السياسي ، الإستعماري سوف تنعكس سلباً على مستقبل الجماعات اليهودية ، لأن حلّها جاء مخالفاً لما يطلبه الواقع و المنطق .. وقد أحس بذلك العالم الكبير (ألبرت آينشتاين) ، [2] حيث قال في ثلاثينيات القرن العشرين : [3]

"برأيي إن التوصل إلى اتفاق مع العرب على أساس حياة مسالمة مشتركة ، هو أكثر حكمة من إنشاء دولة يهودية . كما أخشى الأضرار العميقة التي ستلحق باليهودية نتيجة تغلغل القومية ضيقة الأفق في صفوفنا . "

و هذا الكلام دعوة إلى التمسك بيهودية روحانية ، والإبتعاد عن المفاهيم القومية . وإن كان قد أهمل حقيقة وجود القومية ضيقة الأفق في النصوص اليهودية ..

وقد دعا المفكر اليهودي المعاصر إسرائيل شاحاك إلى ترك هذه القومية الضيقة كسبيل وحيد لخلق بعثة حقيقية في اليهودية ، حتى تتلائم مع طبيعة الإنسانية النبيلة ، فيقول: [4]

"إن السبيل إلى ثورة حقيقية فى اليهودية . أى جعلها إنسانية والسماح لليهود بفهم ماضيهم ، اى إعادة تربية أنفسهم خارج طغيان الديانة اليهودية . يكمن فى ممارسة نقد صارم للديانة اليهودية دون خوف او انتظار فضل من أحد . يجب علينا الحديث ضد ما ينتمى إلى ماضينا كما تحدث فولتير ضد الأشياء التى تنتمى إلى ماضيه : أزيلوا الأشياء المشينة . "

ج . إن الصهيونية في محاولتها حلّ المشكلة اليهودية قد خلقت مشكلتين عويصتين :

---

[1] أنظر شراب ، مجاهد علي ، في (الصهيونية و العنصرية) ، المرجع نفسه ، ص211.

[1] أنظر شراب ، في المرجع نفسه ، ص 211.

[2] آينشتاين : ولد في 14مارس/ 1879 في وورتيمبيرج بألمانيا . مات في 18 أبريل/ 1955 في برينسيتون بأمريكا ، فيزيائي ألماني ، طوّر النظريات الخاصّة والعامّة للنسبية . حصل على دكتوراه في أكاديمية التقنيات المتعدّدة في زيوريخ (بألمانيا) في 1905، وفي نفس السنة نشرت الصحف أربع بحوث له ، كانت تحتوي اكتشافاً عظيماً في الفيزياء. جاءت الشهرة الدولية إلى آينشتاين في 1919 ، وذلك بإعلانه عن نظريته العامّة للنسبية. و بعد سنتين مُنِح جائزة نوبل في الفيزياء لاختراعه القانون الكهروضوئي وعمله في الفيزياء النظرية . و في سنة 1940أصبح آينشتاين مواطناً أمريكياً ، و قد واصل عمله في أمريكا في معهد الدراسات المتقدمة في برينسيتون حتى توفي هناك ، Encyclopedia Britannica . المرجع السابق ، مادة Einstein, : Albert .

[3] نقلاً عن غارودي ، دراسة في الصهيونية السياسية ، المرجع السابق ، الفصل الأول – الخرافة التوراتية.

[4] الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ، المرجع السابق ، ص 130 .

الأولى هي : اقتلاع الجماعات اليهودية من أوطانها الحقيقية، وبذلك قد أماتت فرصةَ الإندماج نهائياً ، وبعد أن حوّلتْ تلك الجماعات إلى جماعات مستعمرة ظالمة و قاتلة ، فقد أتت بها إلى ميدان للصراع الدائم ، و إلى حياة اللاإستقرار ، وذلك على الرغم من أنها ادّعت أن تأسيس دولة اليهود سيضع حداً للاإستقرار اليهود .

و**الثانية** هي : طرد شعب عريق في ارض فلسطين واضطهاد ما بقي منهم ، و خلق صراع ساخن دموي مع دول المنطقة و العالم الإسلامي عموماً . وقد جاء المستعمرون الصهاينة إلى فلسطين . بعد أن خطط لذلك في مؤتمر بازل بقيادة هرتزل . لإعاقة أية محاولة لإحياء السلطة الإسلامية في المنطقة و العالم ، بعد أن تفككت في العقد الثالث من القرن العشرين .

من هنا نسأل : **هل حلُ المشكلة بخلق مشاكل أكبر و أوسع خطورةً يُعد حلاً ؟. !**

د . إن وجود عنصر غريب . الذي خلقته الصهيونية . في قلب العالم الإسلامي من المستحيل أن يستمر للأبد ، و إذا نظرنا إلى واقع العالم الإسلامي و بالأخص واقع الحركات الإسلامية النامية . التي بدأت بالظهور منذ عشرينات القرن الماضي . فإنّنا سنصل إلى نتيجة صلبة ، وهي :

ان المشروع الصهيوني يُنظر إليه كخطة شيطانية و خليه سرطانية في جسد الأمة الإسلامية ، و بالتالي فإن وجود مولود الفكر الصهيوني (الدولة الصهيونية) إلى أمد طويل بات من المستحيلات في هذا الميدان الصاخب الساخن المتحرك كلّ لحظة ، وفي ظل السياسات القمعية التي تنتهجها الدولة الصهيونية . لذلك فإن تأسيس الدولة من قِبَل الصهاينة لم يكن حلاً للقضية اليهودية قطعاً.

ويقول غارودي " : [1] تتمسك الصهيونية السياسية بالإستثناء و التفرقة ، تعزيزاً للفكرة القائلة بأن اليهود لا يستطيعون العيش بأمان في الشتات (الدياسبورا) و لكن في دولة منفصلة فقط . كما لو أنّ الدولة ، و حتى الممالك ، مهما بلغت من القوة ، لم يجتحها أحد ، ولم يلحق بها الخراب ، ولم يتناهب الغزاة أهلها .. "

---

[1]دراسة في الصهيونية السياسية ، المرجع السابق ، الفصل الأول – الخرافة التوراتية .